

الْبَخِيلُ

الطبعة
مكتبة مصير
شارع كابلوسكي. الجزائر

محمد بن الحاج

ملخص كتاب الأبطال

لخصه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

ملخص المحاضرة الأولى " شهرس "

البطل في صورة الله

موضوع هذا الكتاب هو الكلام عن عظماء الرجال - تاريخ عظماء الرجال هو التاريخ بمخلفه ١ - فائدة ذكرى العظماء - أهم ما في الفرد أو الأمة دينها - ما هو الدين ٢ - الوثنية وآراء العلماء ٤ - في كل دين عنصر من الحق ٥ - حقيقة الوثنية وكيف ابتدأت ٩ - عظمة الكون ٨ - في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ١٠ - أكبر آيات الخلق هو الإنسان - كان الأقدمون أفهم منا لجلال هذا الكون ١٢ - معنى عبادة الأبطال ١٣ - ضلال منكرى البطولة ١٤ - عقيدة إجلال الأبطال فطرية في الإنسان - أبعد الإنسان من إجلال الأبطال هم الفرنسيون - والفرنسيون مع ذلك يقدسون فولتيرهم ١٦ - فضيلة إجلال الأبطال هي الصخرة الراسخة التي تجمع الدول من السقوط ١٧ - وثنية قدماء النرويج - جزيرة آيسلندة مقسرة تلك الوثنية ١٨ - أول من حوّن أخبار هذه الوثنية ١٩ - أول عواصم هذه الوثنية هو الإيمان بأن القوى الكونية هي أرواح كبيرة ملهشة مقدسة - فسرقي ما بين فطر المتوحشين الكائنات ونظفنا إياها اليوم ٢٠ - جوهر هذه الوثنية ٢٢ - رأى وثني الشمال في خلق الدنيا ٢٣ - تشبيههم الحياة بشجرة

وأنه لا يتقيد بالشفايد والعادات ٦٣ و ٦٤ - اختلاء النبي بنفسه واعتزاله الناس شهر رمضان ٦٤ - ابتداء البعثة - حقيقة الإسلام وكلمة حايث فيه ٦٥ و ٦٦ الوحي وجبرائيل ٦٦ و ٦٧ معنى كلمة محمد رسول الله - فضل السيرة عديجة التي هي أول من آمنت به ٦٧ - الدعوة إلى الإسلام وما لاقاه النبي في ذلك - المادة التي اجتمع فيها أربعون من أقرباء النبي وما أظهره علي من المروية والنجدة وفضل علي ٦٨ - استيلاء قريش من عمل النبي - إشارة أبي طالب على النبي بأخفاء دعوته وعزيمة النبي - استمرار النبي في تأدية الرسالة ووجوده الشدايد ٦٩ - تألب قريش على قتل النبي ومهرته بعد ذلك إلى المدينة ٧٠ - الرد على الطاعنين على نشر الإسلام بالسيف ٧١ - عدل الطبيعة ٧٢ - كان الإسلام خيراً من النصرانية في تلك الأوقات ٧٣ - إتيان الإسلام على وثنية العرب والمقائد الدائمة في تلك الأيام ٧٤ - القرآن وإعجازاه ٧٥ - من فضائل القرآن الإعلاص - الإعلاص منشأ الفضائل ٧٦ و ٧٧ - المعجزات في نظير الإسلام ٧٧ - الرد على متهمي الإسلام بشهوانيته ٧٩ - تواضع النبي وقشفه ٨٠ - مكرمت النبي - براءة النبي من التصنع والرياء ٨١ - ما كان النبي بهيأث - التلاصص بالمحققين من أظفح الجرائم - من علال الإسلام التسوية بين الناس ٨٢ - الزكاة في الإسلام - اللجنة والنار في نظير القرآن - الصيام في الإسلام ٨٣ - منزلة الإسلام في نفوس المسلمين - تأثير الإسلام في العرب وفضله عليهم ٨٥ .

٨٥ - تأثير البط ٢٥ - تأثير أودين في رسم الشمال ٢٦ - ربيع أودين - رأى حور حين في أودين ٢٧ و ٢٨ - كل نعت كان في الأساطير - كيف صار نوصي بـ ٢٩ و ٣٠ - اختراع أودين حروف الهجاء - شعر ٣١ - إفرط - مع الشمال في حب أودين ٣٣ - إعلاص - أمم الشمال في وثنيته ٣٤ - فرق بين وثنيته في الأول وفيما بعد - عقابهم كما في الآء - الشجاعة هي غصم أصول الشرايع ٣٥ - عرافات الأساطير ٣٥ .

ملخص الخاضرة الثانية

البطل في صورة رسول

محمد - الإسلام

من أكثر العار القول إن عملاً كذاب - ومثل هذا القول نتيجة أجهال الكفر وغيث القلوب ٤٩ - الرجل الكاذب لا يستطيع أن يثنى بشياً من الطوب فكيف يوجد ديناً - على المرء أن يستر في جميع أمره طبق قوانين الطبيعة - عمال أن يكون الرجل الكبير كاذباً ٥٠ - إعلاص الرجل الكبير ٥١ - كلمات الرجل العظيم ضرب من الوحى - المفوات لا تترى بصدق الرجل العظيم ٥٢ - من أكثر المفوات أن يحسب المرء أنه يرى من المفوات ٥٣ - العرب وصفة جزيرة العرب - التدين - سفر أيوب كتب في بلاد العرب ٥٥ - الحمر الأسود والكعبة - بر زمر ٥٦ و ٥٧ - مكة ٥٨ و ٥٩ - مولد عمده (عليه السلام) ٥٩ - نشأة النبي رقيام حمله وعمه بزيته وسفره للشام والتقاءه ببحر الأرهب ٥٩ و ٦٠ - أمية النبي ٦٠ - صدق النبي منذ فتائه - الاتسام الصادق والكاذب ٦١ - عينته الحادثة وقصته مع السيدة خديجة ٦٢ - إعلاص النبي وصدق نبوته وإنه كان نافذ البصيرة لا يتقيد بالاصطلاحات - من مزايا الرجل العظيم نظره من خلال الظواهر إلى البواطن

ملخص المحاضرة الرابعة

(الطل في صورة قسيس)

لوتر - البروتستانتية - نوكس - البيوريتانية

من هو القسيس ؟ - القسيس الحقيقي ١ - كان لوتر ونوكس قسيسين مصلحين ٢ - كما أن العظماء يتبن الأديان كذلك قد يهدمونها وقد يكون المدم ضروريا ٣ - الإنسان سائر في حرج الرقي ٤ - فساد العقائد وتفتش الشك والإلحاد من أسباب إصلاح الأديان ٦ - معنى الوثنية وسبب مقاومتها الأتباء إياها ٨ - لوتر قس مقاومه مسألة الفسق وما شابهها ١٠ - من الخطأ الظن أن البروتستانتية حمت عبادة الأبطال والتقنة برعساء الدين ١١ - البروتستانتية منشأ الملكية الصاعدة - الرأي الشخصي في العبادة ليس أمراً حديداً في العالم ١٢ - ليست القوضي نتيجة البحث الحر ولكنها نتيجة الكذب وضعف الإيمان ١٣ - لا بأس على غير العظيم أن يعتقد رأي العظيم - مولد لوتر ١٤ - أبو لوتر - لوتر وهو تلميذ ١٥ - موت « الكسيس » صديق لوتر بالصاعقة وتأثير ذلك عليه ١٦ - لوتر وهو قسيس ١٧ - تأثير الإنجيل في نفس لوتر - رؤية لوتر مدينة رومة لأول مرة ١٨ - غواية البابوية إذ ذاك ١٩ - كان البابا يبيع الناس عفواً لله - تحكك أحد أتباع البابا بلوتر في قرينه ٢٠ - ثورة لوتر ضد البابا وكتابه رسالة يرد بها عليه - مقاومة البابا للوتر وأسر به أحرار كتاباته ٢١ - حتى لوتر على البابا وأحرقه لائحة البابا ٢٢ - كان لوتر قس مقاومه أضايل البابا كالأتباء في مقاومة الأصنام ٢٣ - حفلة ورمز وظهور لوتر هناك ٢٤ - تأثير دعوة لوتر في نهضة أوروبا ٢٥ - مما امتاز به لوتر توريته في وجه

ملخص المحاضرة الثالثة

الطل في صورة شاعر

دانتي .. شاكسبير

العظيم يمكنه أن يكون عظيماً في كل فن ٨٧ - الفرق بين الشاعر والنبي - ويل الذين لا يفقهون السر إلا - هي الموجود في الكائنات ٨٩ - فضل الأتباء والشعراء على الناس ٩٠ - الفرق بين الشعر الحر والكلام الحر - حقيقة الشعر ٩٢ - لا يزال في الناس غريزة إحلال العظيم على الرغم من الشك والكفر والاستغفاف التفضية في هذه العصور ٩٤ - إحلال الناس لدانتي وشاكسبير ٩٥ - غموض تاريخ دانتي - صورة دانتي ودلائنها على أخلاقه ٩٦ - مولد دانتي ونشأته ٩٧ - كل شعر لا يصلح أن يتغنى به فما هو شعر - الشعر الكاذب مؤلم ١٠٢ - الطبيعة لا تكشف أسرارها إلا للولوع بها والحب لها الملخص - الحب الصادق أول مهاد إلى عجايا الحقائق ١٠٥ - حديث الفأدة فرانسيسكا وعاشقها ١٠٦ - من لم يعرف القسوة لا يعرف الرحمة ١٠٧ - فرق عظيم بين ما يخرج من أعماق النفس وبين ما يخرج من ظواهرها ١١٢ - العمل فسي صمت خير من العمل في حلية - قيمة كل امرئ ما يحسن ١١٤ - شاكسبير وعظمت ١١٥ - روايات شاكسبير ١١٧ - أصبح قياس لمقدار عقل الرجل ١١٨ - قيمة المرء بمقدار بصيرته - ما يجب على الشاعر الكاذب ١٢١ - أعمال المرء وأقواله دليل عليه - البصيرة مستحيلة الوجود بلا أثر ولا أخلاق ١٢٢ - الطبيعة والحقائق للخصيس الليم عظم - كان شاكسبير غير متعمد ١٢٣ شاكسبير للإكلير أفضل من الهند - ستهب الهند ولكن شاكسبير لا يلهب ١٢٧ .

تدين دون إزاحة الدماء - ومن مزياه التسامح - ومن مزياه الشجاعة ٢٥ -
 مده مزياه للوثر ٢٨ ر ٣٠ - وجه لوثر ودلائله على أخلاقه - آخر كلمة
 للوثر ٣٠ - تشعب البروتستانتية ٣١ - رحلة القسيس تينثال إلى بلدة لوثر
 وترجمته الإنجيل هناك ٣٢ - جامعا كامبرج وأكسفورد في تلك الأوقات -
 تأثير الإنجيل في أدب الإنكليز - الإنكليز قبل الإنجيل ٣٣ - تأثير الإنجيل في
 أخلاق الإنجليز ٣٤ - البيوريتانية في أول أمرها وأخلاق البيوريتاني
 ٣٥ ر ٣٦ ر ٣٧ ر ٣٨ ر ٣٩ - البيوريتانية في أمريكا ٣٩ - تأثير البيوريتانية
 في أسكوتلندة تاريخ نوكس ٤١ ر ٤٢ - إخلاص
 نوكس ٤٣ - شجاعته ٤٤ ر ٤٥ - نوكس مع الملكة ماري ٤٥ ر ٤٦ -
 التسامح الحقيقي ٤٧ - مذهب نوكس ٤٩ -

ملخص المحاضرة الخامسة

«البطل في صورة كاتب»

100

الكاتب صنف جليل غريب من البطولة ٥١ - الكاتب صنفان جيد وردى
٥٢ - طيبة الرجل الكاتب ٥٣ - أكبر كتاب القرن الثامن عشر هو جوتا ٥٤ -
كلما الآن عن أكبر أبطال القرن السالف جونسون وبارنز وروسو - الشكوى
من احتلال نظام الختم ٥٥ - مسألة الكتاب والكاتب أصل كل احتلال ٥٦ -
صناعة الكتابة أعجب ما أبدع الإنسان - فضل الكتب ٥٧ - منشأ الجامعات
٥٨، ٥٩ - الكتب خير الجامعات الآن - الكتاب هم الكمية للتعلة في الأمم ٦٠
- ما الأدب إلا حلاء لأسوار الله ٦١ - تأثير الأدب في الحكومة ٦٢ - الكتاب
أشرف نتاج الفطن للبشرى ٦٣ - مع خطورة شأن الكتاب فإنهم في أسوأ حال

٦٤ - لا ضير على الحر أن يكون فقيراً ٦٥ - كيف يعرف الكاتب الكبير الذي يستحق المنة ٦٦ - من أسوأ الأحوال ترك الكتاب للصدف ٦٧ - جاء الفوضى الكناية أصل سائر الأمراض فدأوه تشفى المجتمع - في الصين يحاولون اختيار ملوكهم من بين أدبائهم ٦٨ - من أكبر الآفات الإحساد والكفر - الإحساد في القرن الثامن عشر ٧١ و ٧٢ - أصل الآفات الشك ٧٢ - الكفر المحض عتد من الشك ٧٣ - الإيمان نية الذهن الصحيح - ليس الشك نفسه جريمة ٧٥ - مضار الشك في كل شيء ٧٦ - أولى بالإنسان أن يهتم بأمر نفسه - وأحق الناس بهذه النصيحة أولئك الذين يطوفون الأرض لإصلاح الناس ٧٨ و ٧٩ في أزمان الكفر كان يعيش جونسون وبارنز وروسو ٧٩ - جونسون ٨١ - حكاية الحذاء ٨٢ - تعاليم جونسون ٨٥ - كتابات جونسون - أسلوب جونسون قاموس جونسون - العرة بالمعنى جون ألفاظ ٨٦ - اللورد بوزيل صاحب جونسون وأكبر مقدسه - المظلة لا تنهب بأجلال الأبطال ٨٧ - روسو - الجلد والصم هما أول شروط البطالة ٨٨ - أخلاق روسو - قصة روسو مع السيدة حليز ٨٩ - حديث روسو مع زاهره الريفي ٩٠ - مكانة روسو من الكتابة ٩١ - إساءة العالم روسو ٩٢ - روبرت بارنز ٩٣ - والد بارنز ٩٤ - بارنز وهو صبي ٩٦ - بارنز أكبر توابغ البريطان في القرن الثامن عشر ٩٧ - حديث بارنز الساحر ٩٨ - ميرابو وبارنز ٩٨ و ٩٩ للحكومة وبارنز - أنهم صفات بارنز الإخلاص ١٠٠ - إجلال الأبطال هو العزاء عن شقاتهم ١٠١ - وفلة بارنز على كندرج ١٠٢ - الشهرة ضياء يهلك حقيقة الرجل ١٠٣ - ما عاناه بارنز ١٠٤

ملخص المحاضرة السادسة

البطل في صورة ملك

كروموويل - فايسلون

الثورة في العصور الحديثة

الثورة الإنكليزية

خلاصة أعمال المصنع الإنساني هو الامتناء للى أعقل الرجال وتقليده للحكومة واعطائه الخضوع والطاعة ١٠٥ - أعقل الرجال هو أيضا أكرمهم وأكرمهم ١٠٦ - الأمانى والأمال ١٠٦ - أصل كل حنة جعل غير لكفنه على رؤوس الأعمال ١٠٨ - موضوع حقوق الملوك للقدسة وبطلانه ١٠٩ - تفصيل حقوق الملوك ١٠٩ - الثورة الفرنسية حق وإن كان حقا ملتصقا في شروط المحجيم ١١١ - توارث الثورة الفرنسية وعدم احترامهم الأبطال ١١٤ - مذهب الحرية والسلوة ومعناه ١١٥ :

المحاضرة الأولى

« البطل في صورة إله »

نشأ يضفى وإياكم هذا المقام وتواليه للكلام شيئا عن عظماء الرجال ومظاهرهم على مراسم الحياة والأشكال التى تشكلوها فى تاريخ البشر وآراء الناس فيهم ومآلات أحداثها من الأعمال - للكلام عن الأبطال وعظمت استغلفتهم به أعالى أزمانهم وعما صنعوا هم من جلائل الأمور - ولعل هذا مبحث عريض لا اتى موفيه حق - مبحث لعمرو الله قصى الغاية يشق على نزع الخواطر مرماس ويقع وراء حجب الأوهام متناه. وما ظنكم بمبحث هو التاريخ بحدائقه إذ فى اعتقادى أن التاريخ العام - تاريخ ما أحدث الإنسان فى هذا العالم - إنما هو تاريخ من ظهر فى الدنيا من العظماء ، فهم الأمم وهم المكيّفون للأمور وهم الأسوة والقادة وهم المدعون لكل ما وفق إليه أهل الدنيا وكل ما بلغه العالم ، وكل ما تراه قائما فى هذا الوجود كاملا متفقا فاعلم أنه نتيجة أفكار أولئك العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس ليؤدى كل ما ناطقه به القدرة الإلهية من تخير ، فروح تاريخ العالم إنما هو تاريخ أولئك العظماء ، وظنى أنه مبحث لن يسهه هذا المقام !

يبد أن من أسباب الغناء أن فى ذكرى العظماء كيفما كانت نعمها وفائدتها ، والرجال العظماء لا يزال بعد موته ينبوع نور يندلق ، فليس أحسن من مجاوتته شيء - نور يضئ ، وكان يضئ ظلمات الحياة وليس هو كسراج أشعل ولكنما نجم شبيهه يد الله بين أشباهه من مراكب الأفق ، هو كما قلت ينبوع نور يتدفق بالحكمة ومعاني الرجولة والشرف الكبير ، وهو الذى فى شعاعه أنس الأرواح وروح النفوس ، وممتعة الخواطر. وليس فى ظنى أن أحدا منكم يحسم بومة عن تلك الناهل العذبة كيفما كان طريق المورد. ويقتضى أن نظرة فى

تواريخ الأبطال الشئى الصنوف الذين أنا أخذ الآن فى سرد سيرة هم جديرة أن تكون بمثابة نظرة فى مخ تاريخ البشر وصميم لبايه وما أتعنتى لو أستطيع فى مثل هذا العصر الذى ضعف فيه إجلال الرجل للرجل أن أفهمكم شيئا من معانى عظيمة الأبطال وجلالهم ، أى من معانى البطولة ، والبطولة فى مذهبي هى العروة المقدسة التى تقف ما بين الرجل العظيم وبين سائر الناس ، ما أتعنتى لو أتيت ل ذلك ولكن محاول وبأقل مجهودى.

لقد قيل - وصنفا ما قيل - إن أهم ما فى الرجل جهه - والأمة مثل الفرد فى ذلك - ولست أذهب بالنقطة الذين إلى النحلة التى يتخلها الفرد وللذهب الذى يتسبب إليه والقواعد الملية التى يعلنها ويشهد بها ، فقد ترى الرجل الذى ذلك شأنه يسفل إلى أدنى حضوض اللوم والخسة على الرغم من خسة ممسكه بقواعد الدين فهنا ما لا أسميه الدين ، هذه الإمرارات والاعتقادات أبعد ما تكون فى الحقيقة من الدين إذ هو اعتزاف والقرار لم يصدر إلا من ظواهر الرجل وبوادية - أعنى من ناحية اللسان والقوى الروحية - وذلك أقصى ما عنده . ولكن جوهر المسائل للرجل والأمر الذى عليه يرتب سائر الأمور هو ذلك الشئ الذى يعتقد حتى الاعتقاد ويوفق به كل اليقين ، فيما يتعلق بالرباط الجوهرية التى تربطه بهما الكون الجسم الأسرار ، وفيما يتعلق بواجبه فى هذه الدار وظليته - ذلك هو دينه وربما كان إلهاده وكفروه - هو اعتقاده أنه متصل بعالم الإلهيات أو بلا عالم مطلقا - فإذا علت عن الرجل ذلك علمت أى رجل هو وأى شئ ، يجدر به أن يصنعه فى هذه الحياة ، لذلك كان أول سؤالنا عن الرجل أو الأمة ما ديانته أو ديانتهم . هل هى الوثنية أو تعدد الآلهة - أعنى تخيل سر الوجود تخيلا حسيا وعبادة القوى الطبيعية ؟ أم هى النصرانية والاعتقاد بعالم سرى حقيقى وتخلد الروح وارتماز الوقت على عالم الأبدية ، أعنى بذلك استبدال دولة الأسرار للقدسة التى هى أشرف وأسمى بلولة الوثنية وعواملها من قوى الطبيعة ؟ أم هى الشك والريبة ؟ هل هناك عالم مضمى وسر مجهول لم لا ؟ بل ربما كان إلهادا محضا وكفرا ميتا . فنحنى أن الإجابة عن هذا السؤال هو إبطاؤنا روح تاريخ

الفرد أو الأمة إذ أن أعمال الأمة أو الفرد إنما هى جنات أفكارهم ، وما تحت ظواهر الآثار إلا من مستمر الضمائر . ومن ثم أقول : إن دين الأمة هو أهم ما لديها ، فحديرت بنا فى هذه المحاضرات أن نجعل الوجهة الدينية من أنسب وجوه البحث وأكبر أركانها ، فإنه متى أجدنا معرفة هذه روح الخلقاء عن كل شئ . وقد جعلنا أول أبطالنا « أودن » الرجل الذى كان يعبد قلماء السويد والترويج وكان قطب دائرة الوثنية فى تلك الأقطار ، ولننظر برهة إلى البطل فى صورة معبود وهو أقدم أشكال البطولة.

حقا لقد كانت الوثنية شيئا من أعجب الأشياء لا يكاد يتصوره الوهم . وهل كانت إلا متكاثرات أضاليل وسفالات وأباطيل ؟ قد نبتت فى الحياة القارة فالتفت أعيانها واستأشبت أدغالها وعجمت على اكتشاف الحياة غواشى قباها ودواجى ظلالها ! عما لا يكاد يصدق به العقل أو يتصوره الوهم أن ناسا عقلاء أبطالاً صابرين يعيشون عيشة كذلك ويعتقدون عقائد كهاتيك ، أسمى يعيشون رجلا منهم ! لا بل يعيشون الخشب المستند والأحجار وما إليها من أصناف الحيوان والجساد ، ويصورون لأنفسهم خليطا مشوشا من كل أضلولة وأبطولة فيخسبونه فلسفة الكون - أما والله ما أحسب كل هذا إلا حديث عرقة.

يبد أنه لا شك فى أنهم كانوا يأتون ذلك . كانوا وهم رجال مثلنا يعتقدون تلك الكفرات القطيعة المنكرة ويعتقدون إليها ويعيشون بها عجباً أى عجب ! وخلق بنا أن تطرق مليا وتأمل والأسف ملء قلوبنا ما يوجد فى نفس الإنسان من أصباق الضلال وظلمات الجهل . فإن ما أشرت إليه من مستكر المدهشات قد كان فى الإنسان ولا يزال بل هو فى جميع الناس وفيها أيضا.

بين الجدلين جماعة ليس لديهم من القول فى الوثنية إلا كلمة واحدة ، إذ يقولون هى باطل وغش وإنه لم يؤمن بها عاقل قط وإنما هى أكلوبة لتفت لجناع أناس لا يصح أن يسموا عقلاء ! وأرى من الواجب علينا أن نلغ عن الآدميين وعن أعمالهم وتاريخهم أمثال هذا الحكم الجائر ، وإنى لأدفعه الآن عن

الوثنية وعن كل ديانة حاول أن يسو بها الإنسان دعواً ما في هذه الحياة. فلم يك دين قط إلا وفيه عنصر من الحق، ولو لا ذلك لما انتقلت أمة من الأمم ديناً ما - ولا ننكر أن الأخلاقيات والأخلاق تكثر في الأديان ولا سيما في عهودها المتأخرة إذ يتورها الرحمن والاضمحلال. ولكن الكذب ما كان قط للمسبب الأول للأديان - إنه ما كان قط للأديان حياة وقسوة بل كان داعياً ونذيراً أحاطوا - فاعلموا ذلك - أصلحكم الله - ولا تنسوه : فإني لأظن أن من شر السفسطة وأخس الباطل أن يقال إن ديناً من أديان الموحدين كان منشؤه الكذب ، فإن الكذب لا ينشأ عنه شيء قط وليس من شأنه أن يحدث ويولد ، وإنما من دأبه أن يفتي ما أصاب ويقتل كل شيء حتى لو حاولنا أن نخيض علماً بأمر ما فإنيته من ناحية أكاذيبه ، كان ذلك جديراً أن يحقق عنا حقيقة. وهي ما لا ينكشف لنا حتى تنفي تلك الأكاذيب البنية كأنها كمراس ومفاسد واجب على كل امرئ امتصاص شائتها سواء من الأديان والأصناف والأعمال ، إذ أن - الإنسان - حينما كان - عدو الأكاذيب بل لأرى الحق حتى في وثنية أهل التبت (من أقاليم الصين) لقد ما دونه الجهاد الصادق النظر الصريح القول للستر « توتر » في حديث سفرته إلى تلك البلاد ، نجد أن هؤلاء المبتدئين عقيدة أن الله يرسل كل حين إلى الأرض بشراً يمثله ويحمل صورته وهو بمثابة اعتقادهم في بطريق أو بابا ، أو بمثابة اعتقادهم أن هنالك رجلاً هو أفضل الرجال قاطبة - وأن هذا الرجل يمكن الإهداء إلى معرفته من بين سائر القوم : فاما أن الله يرسل في كل جيل رجلاً يمثله ، فهذا هو الحق الكائن في عقيدة هؤلاء ، وأما كون هذا الرجل يمكن معرفته من سائر الناس فهذا هو خطأ المذهب للذكور : وانسأوسة هذه الأمة طرق إلى اكتشاف الرجل الأفضل من بين سوفيهم ليولوه زعامتهم - طرق وأيم الله عقيدة ولكنها ليست أحق من طريقتنا نحن إذ لا نقول تنوياً علينا الابن الأكبر من أسرة بعينها (الأسرة الملوكية) والأسفاه !!!... ولكن أرجع إلى ذكر الوثنية فأقول : إنه قد يرعى لنا أن نفهم معنى الوثنية متى سلمنا أولاً أنها كانت في حين من الأحيان ديناً صحيحاً في اعتقاد أهلها ، فلتوقن كل

اليقين أن الناس كانوا يؤمنون بوثنتهم حتى الإيمان ولم يكن بهم دخول ولا خروج ولا نوم ولا مرض ، بل كانوا مع ذلك أصحاب العقول والحواس أيقاظاً قد صورهم الله على صورنا وخلقهم كخلقنا لا فرق بينهم وبيننا بحال من الأحوال. لتوقن كذلك أننا لو كنا وحدنا معهم لأنما بما كانوا به يؤمنون ولكننا وهم سواسية في سائر الأشياء. وإن قد علمتم متى ذلك فعليكم أن تسلكوني ماداً كانت تلكم الوثنية ؟ يقول آخرون من ذوي الجدل - وهو قول أوجه - إن منشأ الوثنية هو شعر الشعراء ، أعني أن الشعراء كانوا يرون أرواحهم في الكون ثم يخرجون تلك الآراء والإحساسات في رموز من الأقاصيص وضروب من الخجاز والتشبيه بالأشخاص والحيوان والجماد جرياً على قانون أساسي من قوانين النفس البشرية ، وهو أن كل ما جرى في وجدان المرء من إحساس شهيد لا يرى بنا من إحصائه بواسطة النطق ، ومن رؤيته بخلا عيبيه في شيء منظور حتى كأنما هو شيء حتى ذو حقيقة تاريخية ولا شك في أن هنالك قانوناً كذلك وأنه من أرسخ قوانين النفس البشرية وأرأسها وأشدّها تأصلاً واستمكناً. ولا شك أيضاً في أنه قد كان لذلك القانون دخل عظيم وأثر قوي في أمر الوثنية. وإنني وإن شهدت بشيء من الصحة لتلك النظرية التي ترجع بأمر الوثنية كله أو حله إلى الرموز الشعرية ، لكنني لا أعددتها النظرية الصحيحة. وإنني أنشدكم الله : هل كنتم قط مؤمنين ومسترشدين في ظلمات الحياة بقصص ناظم وحيث شاعر ؟ أما وركم إن الأمر لأخطر من ذلك وأحل وأخروج إلى الجدل منه إلى اللبس. إن أمر الحياة من أكبر الجدل وما أمر المات وما عساه يحدث بعد المات بلهو ولا عيشت ، بل إنه الجدل أمر من كل جد ، والحق أمر من كل حق. فقد رأيت أن أولئك القائلين في الوثنية بأمر الرموز الشعرية وإن كانوا قد أخذوا في منهج الحق لكنهم لم يلبثوا الغاية. فالوثنية ولا شك رموز شعرية وتغلب بالرموز لا حصر في وجدان الناس وأذهانهم عن الكون ومظاهره ، وكذلك كل دين إنما هو رمز وتغلب يختلف باختلاف تلك الآراء والإحساسات.

ولكنى أرى رأى هذه الفئة رأيا منعكوسا يقولهم عن النتيجة إنها السبب وعن الغاية إنها الأصل. فإن الناس ما كانوا ليحطوا بعمل الأقساميص الشعرية أول حاجهم وأكبرهمهم ، وإنما أكبرهمهم هو أن يعرفوا أى عقيدة يتحلون فى هذه الكائنات ، وأى سبيل يسلكون فى تلك الحياة. وماذا يرجون وماذا يخشون وماذا يأتون وماذا يتركون. أإذا أخرج الشاعر قصة موقفة جعلها رمزاً لمعتقدات حيله ؟ أمحسب أنها أقدم عهداً من تلك المعتقدات ؟ كلا بل كانت المعتقدات أولاً ثم أنشئت القصيدة رمزاً إليها ومثيلاً لها. فالمقيدة لجمال والشعر صورة ، والعقيدة حقيقة والشعر ظلها. ثم هو مهسا بلغ فى مراتب الجذب فزاد هو لعب وفكاهة وهو من عت الخاطر إذا قيس إلى تلك الحقيقة الراسمة فى النفوس التى يحارل به تمثيلها. فقصارى القول أن الرموز الشعرية هى نتيجة الحقيقة لامتسيتها ، فعليها إذن فى شأن الوثنية أن نبحث من أين جاءت هذه الحقيقة - وماذا كانت ؟

تذكرون ما توهمه أفلاطون من أنه لو ولد إنسان فى حجرة فى جوف الأرض فتركه حتى بلغ أشده وكمل عقله ، ثم أخرج بفضة إلى ظاهى الأرض فلذا الشمس بارزة فى موكب الألائها. ماذا يبلغ به الغضب والابتهاش من منظر لا تروح نراه فلا يحرك فيها ساكناً ؟ ولكن ذلك الرجل يراه يعنى طفل قد برأهسا الله من شوايب أكدار الحياة فوؤيتهما فى متهى الصفاء ثم يراه كذلك بعقل ناضج. فليس عجيباً أن يرقص قلبه طرباً لذلك المنظر الباهر ثم يتفد بعصره السابق إلى ما أودع الله ذاك المشهد من روعة الجلال فيجر له ساجداً. فاعلموا معشر الإخوان أن أول رجل مفكر بين شعوب للتوحشين - أول إنسان بدأ يفكر إنما هو كذلك الإنسان الذى تخيله أفلاطون جامعا فى طبيعته بين الطفولة والرجولة. كذلك كان أول للفكرين من قبائل التوحشين ساجدا صريح الطبع كالطفل ، مع قوة الرجل وعصفه ، كانت الطبيعة أمامه بلا اسم ولم يكن قد حصص ذلك لكون العديم النهاية وما به من شتى للناظر والأصوات والأشكال والحركات العالمة للعلة فى اسم مركب من ثلاثة أحرف ، كما فعلنا نحن حينما سميناها

« كونا » و « طبيعة » وما شاكل ذلك. ففلوينا جلالة العظيم فى إنشاء لفظ حقير. ولكن الرجل للتوحش كان كل شىء حديداً فى نظره لم يتفقه عنه حسب الأسماء والألقاب ، عاريا أمامه ساطعاً لعينه مشرق الزروق سافر الحسن وضاء الجمال يجار فى كتههم وهم ويعجز عن وصفه اللسان. فثائر جلال الكون فى نفس ذلك الإنسان القديم للتوحش (المفكر) كثنائه فى نفس الشاعر أو الفيلسوف أو النبى فى المصور الأخرى. بلى أنها الإخوان إن للكون لو تدبر الإنسان واعتبر لموقعا فى النفس أى موقع ، وروعة فى القلب أى روعة. فلكم الأرض المفضراء ميسوطها وحالقتها وما بهتر عليها من ملثف النبات ومعضوشب البروض ، وتلك الجمال الراسيات والأنهار الجارية والبحار ذات البحر جصرة والضحيح والجلجلة والمعجيج ، وقبة الفلك الزرقاء تعزف فى أمواتها كل عصاة وهو جاء يخدم من السحب كل دحة وطفاء ، أنا تسبح بالديعة المدرار ، وأوتة يدفع الحريق وصواعق النار. ما هذا أنها الإخوان ؟ بلى ما هذه أما ظاهراً فقد عرف العالم عنه شيئاً وأما الباطن فلا ورىكم ما عرف ولين يعرف. هنا سر عميق لا يفتح معه علم عالم ولا تجرمة كيمائى إنما أولى بالره فى مثل هذا المقام الإذعان والحشوع ، وللحعل هنا لفيد من العلم ، وما يستفده التوحش الجاهل من جمال الطبيعة بشعوره ، أكثر مما يكسبه المتدبرين العالم بمظناره وكيمائه. ماذا صنع العلماء فى أسرار الكون إلا أنهم زادوها غفاه واكتسما بالبأسها برقع من الأسماء والاصطلاحات ؟ هم يسمون البرق كهربا ، ويلقون الدروس والخاصرات فى ذلك ثم يولدون مثال هذا البرق من الزجاج والحريز. ولكن ما هو ذلك البرق ؟ وما الذى أحدثه ؟ ومن أين جاء ؟ وأياك يذهب ؟ لا أكذب الله قد أظهر العلم أشياء كثيرة ، ولكن بس ذلك العلم الذى يريد أن يحجب عنا جلال ذلك الكون الرابع الذى يتضاغل العلم فى حضرة ، ويذل لمزته وعظمتته ، ويظهر على جبهه المائل كبريته فى ههب الريح ، والحق يقال يا إسمائى إن هذا الكون على الرغم من العلم ودعواه لا يزال عصية للمصائب ومعجزة المعجزات.

عل كفى بالزمن معجزة - بذلك الشيء الفائق العد والحصر للكرم والبر
 للكرم والكرم ، دأبنا يجرى ويتلف عملا ساكتا كيار البحر الزاخر
 حيث نطق فوقه وسائر الكون كميالات تظهر ثم تغيب ، وأنفس لا تكاد
 تصبر حتى تبيد . أما كفانا بذلك معجزة ؟ ليس ذلك حليماً أن يلحم الستة
 فلا نطق ؟ وعافا نطق يا الله من هذا الكون الحافل ؟ ماذا كان يستطيع للتوحش
 القديم أن يفهم منه وماذا عسانا نحن نفهم منه ؟ ليس أقصى ما نستطيع أن نعلم
 عنه أنه قوة مركبة من ألف قوة وأنه شيء ونحن شيء آخر ؟ هذا كل ما
 يمكننا معرفته . الكون شيء ونحن شيء غيره قوة في قوة ، فحينما ألقيت
 البصر قوة ، ونحن بين هذه القوى المختلفة قوة بمحولة خفية . وليست ورقة ملقاة
 على ظهر الطريق تغنى بعد الذبول إلا وفيها قوة . وإلا فكيف كان يتأقن أنا أن
 تغنى ؟ ولعمري ماذا يقول المحدث المفكر (ولا إسماعيل والفتكر بختمان)
 في هذه القوى الفعالة الدالة الخفية هنا لا تكل ولا تنى ولا تقتر ، ولا أول ما ولا
 آخر ولا مبدأ ولا نهاية - ماذا يقول فيها إلا أنها معجزة راقية ، وقد يساعدا
 عنها المؤمنون فيقول أحدهم لأخيه هي صنع الخالق اسم يحيى العلم بمتظاره
 وآلاته فيجعل يخلقها ويديرها كأنها هي حجة مينة توضع في الزجاجات وتباع في
 الحوانيت ولكن للعقل الإنساني السليم القطرة مازال يرى في هذا الكون شيئاً حياً
 - شيئاً يحار فيه الذهن إلى أقصى المرجح ، أولى الأشياء بنا إزايه - مهما بلغ علمنا -
 أن غنى الرأس له إسلا لا ونكسر البصر حشية ومهابة ونعيد إن لم يكن بالنطق
 فيها الصمت !

وكذلك كان شأن الإنسان القديم التوحش إزاء هذا الكون الباهر فقد كانت
 عين فؤاده نقية الرؤية جليلة الإنسان لم تنفصها حجب الكبريات ولم تتراكم
 أمامها سحب الاصطلاحات والعمليات فكان الكون في نظره إلهي النسبة بل
 هو الإله ذاته أما تنظر إلى ذلك التوحش الغابر إذ يصف اليد والقلوات قد أضل
 السبيل فإذا الكوكب الوفا قد طلع له كأنه ماسة تلهب بالألاء أبهر عما يرى أهل
 هذه المصور فيضئ فؤاد ذلك الضال كما يضيء له السبيل ويشرق في نواحي

نفسه كما يشرق في نواحي الأفق وكأنه مقلد في وجه السماء تنظر إليه من
 أعماق الأبدية وتشرف له عن رواق السر القديم ونور اليقين ألا تقهقرون بعد ذلك
 كله كيف كان التوحشون يعبدون النعم ويصرون ما نسميهم عباد الكواكب ؟
 هذا هو ما أكرهه سر الوثنية أعني إقراط المعجب والانحلال من الشيء حتى
 يصير تقديساً وعبادة وكذلك كان كل شيء في نظر أولئك الأقدمين رمزا إلى
 شيء إلهي أو إلى إله .

وهل ينكر أن في فعل الأقدمين هذا عنصراً من الحق ؟ أفلو حققنا النظر له لما
 كنا نصوره في كل نجم بل في كل زهرة - إلى أنها ظاهراً نحن لا نعبده الله الآن
 على هذا النحو ، ولكن ألا يزال من مزايا الشاعر والدلائل على شاعريته أنه يرى
 في كل مخلوق جمالا إلهيا ، وأن كل شيء صاغته يد الله إنما هو نافذة يشرف
 منها على أعماق الأبد ؟ نحن نسمي من كان له نظرة على استجلاء غوليف
 الجمال في كائنات الله شاعراً ومصوراً وثائفة وعبقرياً ، أقهر كان القدماء
 التوحشون إلا كذلك ؟ ألم يكبروا والشعراء سواء في تعرف بدائع الخليفة ؟ وإن
 لم ينطقوا بالقصيد ليس عملهم هذا أحسن على كل حال من عمل الرجل الجامد
 البليد ومن عمل الحصان والجمال وما أدراك ما عملهم ؟ هو لا شيء !

وإذا كان كل ما نراه هو رمزا من رموز الخالق إذن فأكبر رموز الخالق
 وأعظمها هو الإنسان ، إن جوهر النفس الإنسانية وذلك السر الكائن فينا الذي
 يسمى نفسه « أنا » - والاعجابه ما أحرأنا على صياغة الألفاظ لسمان تفضيل
 في سميتها الآفاق - هذه النفس هي نفس من الله ، وكذلك الإنسان هو مظهر
 الخالق في الأرض ليس هذا الجسم وهذه الحياة البشرية ليأساً لتلك السر المجهول
 الذي نسميه الله ؟ قال الصالح « توفيل » : ليس في طول الكون وعرضه إلا
 معبد واحد وهذا هو جسم الإنسان وحفا لا شيء أقدم من هذه الذات
 الشريفة ، وما الركوع بين أيدي الرجال إلا خشوع الذات الإلهية بادية في
 صورة الإنسان ، فلما لمست جسم إنسان فقد وضعت يديك على عرش الله !
 وهذا الكلام حق لو تدبرتموه بالفكر الناقب كيف لا ونحن القصة الكبرى ومسر

له الذى لا ينال - ولا طاقة لنا بفهمه ولا ندرى كيف تكلم فيه بيد أنه قد يمكننا أن نعلم ذلك عنه إن شئنا وحسبنا ذلك وكفى.

هذه حقائق كان الأقدمون أسرع إلى إدراكها منا نحن ، نعم ، إن الأقدمين نزل تلك الدس كانوا يجمعون إلى صماء أنفس الأطفال عتق لأرواح الرجال الذين يحسبون أنهم تنبؤ الأرض والسما والسماء درية وعرفوا كل شئ ، منحرد وضع الأسماء والإصطلاحات ولكنهم كانوا بدلا من اللغو والمط في شئان الكائنات ينظرون إليها رجها لوجه ، والروح والإحلال حشو قلوبهم ، أولئك كانوا أنفسهم لأيات الله في كونه وأدرك لسم الله فى عييله ، هم كانوا يعرفون - ولا يفس فى عقولهم - كيف يبدون العبيبة وأحسن من ذلك عرفانهم كيف يبدون الإنسان ونفى بالعبادة كما قدمت الأفراد فى العجب والإحلال إلى ما لا نهاية له وذلك ما كان فى طافتهم إتيانه من سويادات أفئدتهم وعقولهم كانوا ما يكون وأرجح ، وطلى أن عبادة الأبطال قد كانت أشرف أركان الوثنية وأكسرم عاصرها ، وأن ملهيب الوثنية الذى شبهته بغاية ملتعة قد نبت من عدة جذور فكل إحلال لكونك من الكواكب أو شئ من الكائنات كان كانه أحد جذور تلك العبادة ولكن إحلال الأبطال هو أذهب تلك الجذور فى الثرى وانعمرها عبادة وأخودها على سائر الجذور بالعناء الطيب.

وبذا كانت عبادة الجحيم لم تغل من حكمة فما بالك بعبادة الطفل ! وعبادة البصلى هى كما قلت الأفراد فى إحلاله إفرط لا حد له ، ولا أحسب إلا أن الأبطال ما برحوا موضع إحلال الناس حتى فى هذه العصور زانه لم يجل من صلب الإنسان معنى أشرف من إحلاله لم هو أعظم قلرا منه ، ولست عمتلى - إن قلت إن هذا المعنى هو الأكثر المعال فى حياة الإنسان ، أو قلت إنه الأسلم الذى يقوم عليه الدين . لا أقصد الوثنية وحدها بل كل دين لأشرف وأصدق - كل دين كان إلى وقتنا هذا . وهل ترون معشر الإخوان فى دجنا التصرفية إلا أنها عبادة وإعجاب من صميم القلب وضراعة وخشوع لذات إلهية عليه إلهية ،

هى ذات أشرف الأبطال قاطبة - ذات من لا أنجيه ها ! بل أودع الصمت للقدس بغير ذلك الأمر للقدس

وإذا اخترنا من قمة الدين إلى منازل أحط وأدنى وجدنا فى جميعها من أحوال الوضع للشرىف وولاء الحق للتحليل ما يتأثر الإيمان فى الدين ، إذ الإيمان إنما هو الولاء لى أو بطل مقدس ، ومنا تولى وللاء الصغر لكبير الذى روح المجتمع إلا موعا من عبادة الأبطال ؟ عبادة الأبطال إذن هى أساس المجتمع ، والترتب والفرج الذى يقوم عليه التماسر والتواصل هى ما يجوز أن نسميه « هيرواركى » أى حكومة الأبطال . فأهل المروج والترتب فى الأمة هم لها تماثية الأوراق للمالية كلها يمثل الذهب ، وإن كان الكثير منها لسوء الحظ موزرا ، فقد عتسل الأوراق المالية ويعيش بها وإن وحد بينها المورر فأب أن تكون كلها موزرة وذلك ما لا يقام عليه ولا يحتل ، إذن تنور الثرى وتقوم الثارات ويصاح بالمتفرطية والخرية ونسابة وغيرها بد منى وحد الثرى الأوراق كلها موزرة لا يبال بها من الذهب كثير ولا قليل ، أخدمهم السياس مائلى يصيرون لا ذهب ، ولم يكن قط ذهب . والحقيقة أن الذهب - وأسمى به عبادة الطفل - موجود برغم كل شئ ، فى كل دن وكل بقعة ولن يضى حتى ينسى لإنسان

هنا فى هذه العصور رأى باطل هو إنكار وجود الأبطال بل كراهة وجود الأبطال . أذكر لمعشر القاد بطلا - « إلام » « بوثار » مثلا فإداهم قد انبرو بشو به - لا يأخذون فى إحلاله بل فى أحد مقاسه ، ويسر لنقاس عنه رجلا عاديا صعيما ضيلا ! ثم يقولون إن ما يسب إليه من العظمة هو مستعار من إحوال عصره وطوب وقته فالوقت هو الذى أحذنه وشهره ، هو ليس الوقت وكل ما جرى على يديه هو من فعل الوقت لا فعله - هذا والله أفس وسخف ، أيقول القاد الوقت هو الذى أحدث ذاكم للرجل ؟ وآأسفاه ! لقد طاب صاحب الأوقات تادى أن البطل ولا بطل أين العظمى ولا عظمى . تصرخ الأوقات يا للثى مذهب ملازما صيحة فى واد ونعمة فى رماد ، وما ذاك إلا أن البطل أو للثى لم يكن وقت القاد موزرا ولم يكن الله قد أرسله رحمة للعالم . وبعد أن

يخرج صوت الوقت ولا يجيب قنار أركانهم وينتهم بيتاته ويصمه الخراب والنلف ، لأن البطل لم يلمح كره حيسا صاح يستجده !

والحقيقة أنه ما كان عصر من العصور ليخرب وتلف لو قد أتبع له رجل كبير يجمع بين العقل والتقوى - بين عقل يعرف به حكمة العصر ، وعزم بعضى به فى الإلاع العصر حاجته ، وفى هذين صلاح العصر وفلاحه . ولكنى أشبه العصور الصميمة الواحدة المصيبة بالكفر والبلاء والحيرة ، وأنها لها الشائكة العاجزة وأحوالها المخططة المصطربة يحبو بها سائق الشقاء إلى غاية النلاف - أشبه كل هذا بحطب ياس ميت ينظر من السنداء شهابا يشعله ، وما الرجل العظيم مرسلًا من قوس الله يجيش فى صدره العزم ويعنى فى عزوفه اليأس إلا دأكم الشهاب ، وما كلمته إلا شقاء العدة والتمام ، بطرح ويختبئ الأهواء ومستتر العقائد ، ثم لا يهيب الحطبت حتى ينهب من كل جانب دراكده . ولكن المتقد يحسب أن الحطبت هو الذى أوجد ذلك الشهاب عنى لا سكر أن الحطبت كان فى شدة الحاجة إلى الشهاب ، فأب أنه أوجد الشهاب ! به الله من سعادة أولئك القناد وحققهم ! أما أنه ليس أدل عنى حقيقة امرئ ولاومه من عدم إيمانه بالعظماء ، ليس أدل على حكمة جيل من الأجيال وصعته من عهده عنى سور الله المقدس وإيمانه بهدط اليأس الميت هذا والله أقصى منتهى الكفر . إذ أن الرجل العظيم ما يرح فى كل أن مستقد جيله من وهدة البلوس والشهاب الذى لولاه ما شئت الدار فى الحطبت ، وليس ناربح الدم إلا كما قلت مجموع سم أبطله .

أولئك القناد الأصاغر يبذلون الجهد فى ترويح سوق الكفر وشتر أعلام الصلال ، ولكنهم لا يملحون إذ مزال يظهر الرجل العظيم من آن إلى آن فيدومى بحقه باطلهم وباد هو راحق ، وإذا هم قد ظفروا من مذاهبهم فى مثل بيت الحكيموت أو كوهى ، ثم لن يستطيعوا مهما حارلوا أن يتفلسفوا من قلوب الناس عقيدة هى أن إحلال العظماء فطرية فى طبيعة الإنسان لا تزول مهما اعتورها من الفساد والرهق ، وإحلال العظماء باقى ما بقى الإنسان فالكاتيب حوتسون له من صديقه يوزوعل أضرع مقلس وعجل ، على أنهما كانا فى القرن الثامن عشر أشد

العصور كغرا وفجورا . ولأمة القرونسوية الكاهنة تزامن بفولتيرها وتظهر عبادتها لأبطال فى أغرب صورة حيسا أمطروه بالأرهار حتى كاد يهرق بها ويختنق بها فحقا إذا كانت النصرية أعلى أنواع تقديس البطل مان الفولتيرية من أسهل أنواعه ! فما أعجب أن يقع ذلك التقديس ولدت العبادة لرجل كانت حياته تقصر حياة لمسيح وكاد شيطنا مربد . هذا مع أن أمد السلس من مصيبة التقديس ولا إحلال هم مرسو هذا الجبل . وما طبت يقوم كداد الاستهزاء بكل شئء مذهبه وشعارهم فليس فى نفوسهم موضع للإحلال والإكبار . ومع هذا دسظروا كيف كان صنيعهم بفولتير . يدخل فولتير باريس عالنيا من رجليه طولية شيعا فانيا متهدما قد تجاوز الرابعة والثمانين ، فيحسون أنه نوع من الأبطال أمضى حياته فى عارية الضلال والطلم وكشف أمور المافقر من أرباب الناصب - إنه بالاحتصار عى جاهد جهاد الأبطال وإن لم يمتك فى ذلك إلا محطة غريبة . نعم إنهم يحسون أنه إذا كان الاستهزاء هو أكبر الأمور ، فولتير إذن هو أكبر الناس - هو الإمام الأعظم الذى يقفون أثره ويتعجبون منزلته ، فهو فى الحقيقة إلههم الذى لا يصلح إلا هم ولا يصلحون إلا له ، ولذلك عبده فرسا من الملكة ماري أنطوانيت إلى الخاروس الذى على باب « سالت دينيس » ، بل لقد جعل « الرجال من أولى الملة والحياه يتكروون فى أرياء عدمه العنادق لتسهل لهم رؤيته ، ويصبح الفولتير يقرسه : استعدى أبها الفرس فذلك تسيرين بالمسيو فولتير ، وقد شبه أحد كتابه تلك مركبة تخزق بربر سراس مذنب (نجم دى ذيل) قد ملأ جميع الطرقات ديله ، ثم كادت السيدات يتسبفن لأحد شعرة من مروه لبقى لم تقور بها أثرا ظاهرا ، ودحرا ثيبا . وم يكن بين سكان فرسا من شريف أو فاصل أو جمل إلا كاد يعتقد أن فولتير أشرف وأفضل وأجمل .

أجل إن البطل ما زال مصورا منذ « أردن » إلى « حوتسون » ومن للمسيح إلى أسقر قسيس فى كل مكان وزمان ، وسيكون ذلك ما دام الليل والقهار لأنه ما ما إلا من يشفق الأبطال - يشفقهم ويكلمهم وينحنى ، كدار لهم ، وهمل يتسنى الانحناء لغورهم ؟ بل ألا يحس المرء أن فى إحلاله لمن هو أرفع منه رضة لصفه ؟

يشرب أتعابها لرباب البراكين ومن عجزوا عنها أنها تنقى بضعة من أشهر العام مطوية في أجواف العواصف لسوء الإلحاح مع ذلك في فصل الصيف لألاء جمال موحش فقر - وهي وسط الغياب الخضم تسمو صعدا مكفهره الجبيرة جهمة الطلعة تنمو بها لمح اللع كعاريق الشيب من الحامة الشمطاء وتور فيها البايح الحارة حتى تنمو مراحلها وتظهر (شقائقها) إلى غدران من مسائل الكوبريت وكهوف بركانية مطلية كأكاما الجبيرة آثار معزوك لتكايح جيوش احييد والار - في هذه الجبيرة وهي أبعد ما يرحى أن يكون به تاريخ مرقوم عثر العاترون على تاريخ الوثبة التي يحصدها وعلى شاطئ هذه الجبيرة القفر مستنق من تربة مشيبة قد تعيش فيها الأنعام والإنسان من عصور هاتيك الحسم ومما يجود به اليهم وكأما كان ناس هذه المنطقة المخصصة قوما شعراء أعنى فزى صلبور جياشة بالمحامي والسنة بها ناطقة ، فكلمنا تأملت علمت أنه كان يفتونا شيء كثير لولم تبعت البراكين تلك الجبيرة من قعر المحيط طبع بعمرها طويلا الأكاسيات ! الحقيقة أن معظم شعراء الشمال القدماء كانوا من أمالي « إسلاندة » .

وكان بالجبيرة في أوائل أمر للسبحية قسيس نصراني يدعى « سيمند » لعله كان يرال برع به عرق إلى دنى آياته الوثنية فأحد يجمع عددا من أغانيهم القديمة - مما قد طال عليه تقدم فأسمى حوشيا مهجورا - وكان توحيديا صوفيها عليه مسحة دينية ، وهذه المجموعة هي ما يسميه أدباء الشمال الس « الأنداز » أول « أدا » لشعرية وهي كلمة مشكوك في اشتقاقها ، لعل للسراد بها « السلف » وبعد قرن من ذلك جاء رجل من سادة الجبيرة يدعى « ستورو سولسون » وكان قد تلقى العلم من حفيد القسيس « سيمند » فكسب فيما كتب تاريخا حافلا لعقائد الوثنية وجعله نثرا مفصلا يشفور من النظم فعناء كتابها بلهما موقفا يربا من كل أثر لتعمل والكلفة وهو ما تسميه « عقو الخاطر » وهذا الكتاب هو للمسمى بال « أدا لثربة » بفضل هذين اللذين وشى أغاني غيرهما حبها « إسلاندى » وبعض ما كتب عن جميعها من الشروح والحواشي بين « إسلاندى » وغير إسلاندى مما هو للآن مستمر في البلاد للشمالية قد

وحمل جمال في صدر المرء إحساس هو أشرف من ذلك وأقدس ؟ وأنه ليسرى ويشى نفسى أنه ليس في طائفة المسقسطة والاستهزاء والفجور والحدود أن تعذب من نفس الإنسان تلك العزيرة العظيمة - عبادة الأبطال - هذا وإن أجيال الكفر التي تعقها الدهر والثورات تكون مملوكة بدلائل الاصحلال واللبس والحرب ، وإنى لأرى في عريسة عبادة الأبطال الصخرة الراسحة التي تنقى الدور الساقطة في مهاويها فتسمها من الصباغ في أعماق الخراب - فبدأ انتهت السورة المشهورة إلى تلك الصخرة وقفت بها ريشا تهيب عسها لنهوض ، ثم تشوع ترقى وتصلد حتى تعود إلى أحسن مما كانت عليه . وهكذا يظهر لي أن عبادة الإنسان للظلم هي الصخرة الحية وسط كل مقوط وتدهور - هي النقطة الوحيدة الثابتة في التاريخ الثورى الحديث والإكاد هذا التاريخ كاسر لا يعرف عصفه قراره ولا تعرف سعته ضابطا .

كذلك أمد أن الوثنية ووجهها الحق وإن كان لها ظاهر مشهور . كيف لا والطبيعة ما زالت تظهر صنع الله وما زال البطل يجل . ومن هذا وذاك تألفت الوثنية وإن اتخذت من الأشكال والأوضاع المظفر والمكر ، وطى أن وثنية قدماء البروج أمتع لنا من كل ما عداها لأنها (أولا) آخر الوثنيات عهدا . إذ ما زالت مشهورة حتى القرن الحادى عشر . فعدا لما نفاة عام كان أهل الإسكاندينيا يعبدون « أودين » ، ثم هي هامة لنا من حيث إنها دهانة آياتنا لولئك الذين ما برحت دماؤهم حارية في عروقنا ولذيق تشبههم في عدة وجوه . ففصحا أيها الإسموان أن يكون بين معتقدنا ذلك الخلاص .

(وبعد) فسنق نظرة في عقائد أولئك القوم لحمة أسباب ، ولنعم أن ذلك من الممكن ثم من السهل لأن تاريخ هذه العقائد قد قلر له الحفظ فسلم عسى تقبلات للدهور وغوائل الخلدان .

هي تلك الجبيرة المسحة للسنة « إسلاندة » التي يخر علماء طبقات الأرض أنه استأرها زوال نارى من قعر البحر - وهي بقعة موحشة باب جرداء

استطيع أن تعرف بعض اليقين ونبصر تلك الوثنية وسها لوجه ولتسلس قبل كل شيء أنها دس باطل بل تأملها على أنها فكر قديم ثم ننظر أما يمكننا أن نتذكر لها وبرنامج إليها شيئا ما.

إن أول خواص هذه الوثنية في رأيي هو الإيمان الصريح بأن القوى الكونية هي أرواح كبيرة مدهشة رائعة مقدسة ، فذلك الأشياء التي تلقى فيها الآن علوم الطبيعة والملك والكيمياء كان هؤلاء القلاء القلاء يهندسون لرايتها ويركعون لها إجلالا ومهابة ، أختي أن ما نراه نحن العلم كانوا يرونه هم دينهم وعبادتهم ، كانوا يصورون من القوى الكونية الصلابة المعروفة جانا ومسرده « جوتان » محالين حساما شيئا غوا شع للصور لهم طابع الشياطين والأبالسة وخلص النار وروية البحر من هذه الجبان والسرقة ، أما القوى الدافعة كعمرارة الشمس والنفس فهي آلهة وبين هذين الفريقين تنقسم دولة الكون وهذا يمشان مفردين كل فريق في حجة ثم لا تخمد فقط يههما نائرة الحرب ويسكن الآلهة الخلة (اسخارد) في السموات ويقطن للمردة في بقعة قضية مظلمة غراب امهما دار المردة « جوتهميم ».

عجب كل هذا ، أنا لا أراه باطلا ولا عرقيا ، وكل من أصاب بالناظر الناقب ليايه وسيرة وسر عسبار الفحص عصفه وغوره كان رأييه فيه رأيي ، فتقوة النار التي تخفى نحن ما بها من آية العجب في طي اسم كيماري تخطفه حجابها لروعة هولها ، كان القلاء يرونها عفرينا سريع للحركة تخفى اللذب من قبلة المردة « جوتان » . وكذلك حسب قبائل للتوحشين من جزائر « لادرون » . هكدا ذكر أحد رحالة الأسبان - النار وكانوا لم يروها قط من قبل ، بوعا من الشياطين أو صربا من الآلهة بمضيك إذا مسسته وبعش بأكل الخشب . وكذلك أرى أنه ما كان في قدرة أي كيمياء قط أن تخفى هنا ما بالنار من عجب لولا ما يعجبها من الحلق والمهارة - ما هي النار ؟ - أما للجليد فقد رآه كاهنهم القديم شيطانا فظيما أشيب الرأس واللحية وسائر الشعر - للارد « هوم » أو « رايم » ، وهي كلمة بطل استعمالها إلا في بعض أودية «سكونلاتند» وهكذا لم يكن

الجليد عندهم كما يراه الآن شيئا ميتا ، ولكنه شيطان حي نراه إد أسمم اللبس بسوق أفراسه البلق إلى كهف حيث يقبل عليهم بمشط شعورهم . وهذه الأفراس البلق هي سحب البرد ورياح الجليد ، أما بقوه فهي حلاصه السح ، ثم إن هذا الشيطان يضرب تلك الجلايد بعين عفرته فتعطر وتصلح .

ولم يكن الرعد عى تلك الأوقات مجرد كهرباء وإنما كان الإله « دوار » - (تاندار) (١) إله الرعد ، وهو أيضا إله حرارة الشمس ذات الخير والبركة ، وإنما زجاجة الرعد هي غضبه وسخطه . وما اجتشاد السحاب السود وازدحامهم إلا تقليب حين ذلك الإله وكسر حاجبه . وما الصاعقة تنقض من السماء إلا السنن للامع يظهر من كفه ، ثم هو يدفع عجلته للصعقة فوق قتل الجبال ، ملوئها وقمقماتها هو حلحلة الرعد وتراه من غضبه ينفخ في خيته الصهواء فليكن حفيف الريح قبل الإرعاد ، و« بولندار » الإله الأبيض الجميل العادل المنعم (الذي وجد البشرى الأول أنه أشبه شيء بالسنيح) هو إله الشمس ، أجمل الأشياء الطاهرة . وإحدى العجائب والأسرار رعب من جميع السكبين وعلم الملك ! ولكن أعظم الآلهة في طي هو ددث ادى عثر على أثره العام «الاشفتاني الألماني » « جريم » ، وهو إله « وش » أو « وش » (٢) إله العطب ادى يعطيا كل ما يطلب ! ليس ذلك أخص دعاء النمى الإنسانية وأعظم أنصوات الفروح ، وإن لم تكن بعد دعاء مهديا وصورتا مقحبا . هذا أبسط رة الإنسان وهو مع ذلك عصر جوهري في أحدث مناهب الدين .

وأذكر من باقي الآلهة «آجور» إلهة الزوينة ، وذلك لأن الوثنية بهير «قرنت» (٣) ما برحوا الآن متى أبصروا الماء قد طما في حالة نكد - وهي حالة عطرة - صاحوا « حنرا فإن آجور قادم » . صعبا لهذا النمط قد بقي بعد زوال

(١) كلمة إنكليزية معناها « الرعد » .

(٢) كلمة إنكليزية معناها « طلب » .

(٣) نهر يانكلترا .

تلك القرون كان دينا طمعى عليها الماء ففرقت في عيابه إلا ذنابة قسمة ما يروحت
بالصبار بادية ا وقد كان أسلاف هؤلاء الوثنية في المصور العابرة يؤسرون
بالإلله آخر ، وما ديك إلا لأن تلك القبائل الشمالية السائلة قد برت ببلادنا
قديما وضربت في أنسابنا ، فلما مزيج من السكسوني واللاتيناريكي الشمال.
ولا أرى بين أحد هذه الثلاثة والأخريين إلا فرقا سطحيا مثل ما أرى بين
النصراني والمسلم والوثني.

وعن إليهم الأكبر « أودين » ستكلم قريبا إن شاء الله. ولكن اعزمو فيل
ذلك ماذا كان جوهر الوثنية الاسكانديمية أو الشمالية : هو الإيمان بقوى الكون
وعتبارها إلهية رائدة شخصية - أعنى آلهة وأبالسة ، ولعله قول مقول ومفهوم ،
وكذلك كان العكر الإنساني في طفولته يفتح لرؤية الكون أمثال متعشا مشغوع
بالمحب وأهنية ، وقد أرى في هذا الطام الوثني معنى حرا جريا شريعا وسنذجة
قوية لم تهدب جد تهديب ، محاللة برشاقة الوثنية اليونانية وحسنتها ، والحسنى يقال
إن مذهب الوثنية الشمالية ما هو إلا فكر صريح قوى من العكر العميق الطمر ،
يفتح في قلوب صحبة حدة لرؤية الكائنات رؤية وجه لوجه وقلب وقلب ،
وهو أرن خصائص العكر لصحيح في كل آن. ملست ترى لندك الوثنية
الشمالية ما كنت ترى لأختها اليونانية من الرقة واللعب ، إنما تبين فيها قوة
ساذجة وحفا مألوفة وإخلاصا جم كبيرا. وإنه لمس العرب أن يهبط من صرح
الوثنية اليونانية الديدع مصفوفة صوره ، مصوفة دمه ، في يندع نظام ، وأجمل
مستق إلى بيوت الوثنية الشمالية ، فخرج في أمتها آلتها وتغمر الليل لتشر به مع
« آجير » إله الروبة ، ثم يرسلون « نوراً » إله الرعد ليحصر المرحل من ديار
الشياطين. ويهبط « نوراً » إلى تلك الديار ، وبعد الجهد الجهد يأخذ المرحل
فيلبسه على رأسه ككلبسة ، وينقلب راجعا وقد عاب تحت المرحل وبلغ المرحل
مواطع قديمه ! وكذلك ترى لهذا النظام الوثني صخامة جوفاء وجسامة شوهاء ،
وقوة هائلة إلا أنها لم تهدب ، فهي كقطط للارد كبير القدم مسيح الخطوة ،
لكنها قدم عاترة وعطوة طائشة. فانظروا - أسلمحكم الله - ماذا كان رأيهم

في خلق الدنيا.

لما تجارب الجليل والفار حدثت ربيع حارة تكون منها ماردي اسمه « يجر » ، ثم
احتال الآلهة حتى قتلوا ذلك المارد وأخذوا جسده فمعلوه دنيا ، فأما دمه فذلك
هو البحر ، وأما جسده فهو الأرض والصخور عظامه ، ثم جعلوا حاجبيه مسكنا
لمن أعنى الجنة أو « أسخارد » ، وجعلوا جمعته قبة السماء ، وما بها من دماغ
فهو السحاب ، فهذه استعارة طرفها في المشرق والأخر في المغرب وأصلها في
الأرض وفرعها في السماء - آراء جسام ماردي هائلة ما زالت بها المصور تنهيه
جبروتها ، وتتلل طليانها وتغول عن الطيمة المارديه إلى الصمة الإلهية ، والثانية
أقوى ولا ريب من الأولى. ما رالت بها المصور حتى حوتنها إلى أفكار
شاكسيريية ، ومعان لوثرية^(١) ، فأزلعت الوثنيون القدماء هم آباء أديان مثلما هم
آباء أجسامنا.

ويجسني منهم كذلك تشبيههم الحياة بشجرة جذرها في مملكة الموت ، ثم
يسمو ساقها صعدا إلى السماء فينبش فواكب فروعها على جميع أنحاء الكون ،
وهذه هي شجرة الوجود. ويجلس عند أصلها في مملكة الموت ثلاثة أقضية (جمع
قضاء) : الماضي والحاضر والمستقبل ، يروون جلتورهم من البير القدسة ثم يند
أفرعها وما يجرى بها من يراق وأرهار والممار ، وسقود أوراق وأرهار والممار.
ويكنى بهذه عن الجوادث والحن وصروف الزمن وتقديت الحلال . محمد أفرعها
بكل هذه الأمور في جميع الأمكنة والأزمان. أليست كل ورقة من أوراق هذه
الشجرة ترجمة إنسان ، وكل عيط من عيط تلك الورقة كلمة أو فعة ؟ وأفرعها
تواريخ الأمم ، وروساها صوت الحياة صادرا عن الأبد إلى الأبد. فإذا تنفس في
علاها النسيم تنك زفرات القلب الإنساني ، وإن صاححت بين أفتانها الماصفة
مذاك صوت الآلهة. هذه شجرة الوجود . هي الماضي والحاضر والمستقبل . ما
كان وما يكون وما سيكون . تصريف فعل « يكون » تصريفا لا نهاية له ، فإذا

(١) نسبة إلى لوتر ركن الذهب الوثنيستاني .

ونحسب أن مثل هذا الرجل كان موجوداً في أمة الشمال وهو الذي كانوا يدعونه الإله أودين - وكان لهم أستاذاً وإماماً في أصولهم الروحية والجنائية ، ويطلا كثيراً لا تقدر قبته ، أوط إجلال الناس به حتى صدر عباده ، ولا جرم فإنه أهل لذلك ، أما كان أودين قصة الطبق بالمكر بليليل ، ومصائب أخرى كانت إذ ذاك من المعصيات ، فما لهم لا يشكرون آلايه من حيات قلوبهم ، أما حسر لهم لمر هذا الكون ، وعرفهم ماد يجب عليهم في هذه الدار وماذا ينتظرون في الدار الآخرة ؟ وانطلق الوجود وأحصى الحياة ! فهو منشئ الوثنية الشمالية. وأكبر طغي أن أودين هذا أول مفكر من أمة الشمال كيما كان اسمه ، كان ولا شك رجلاً يعيش بين الرجال ، وهو ما كاد ينشر رأيه في الكون حتى ناز في جميع الأدهان مثل رأيه تماماً ، فكأنما كان مكتوباً على صحائف الأدهان بالحبر المعطى ، فما هو إلا أن فاه بكلمته حتى انكشف غطاء الحبر فظهر واستبان وكنتك ما زال قلوب الرجال المفكر على العالم هو الحادثة الكبرى لم سائر الحوادث !

ثم لا ننسى شيئاً آخر أحسب أن فيه بعض البيان لمشكلات تاريخ الوثنية الشمالية لك « أهـ » وذلك أنها ليست نظاماً فكرياً واحداً متماسكاً ولكنها مجموعة نظمات شتى الأصول والأزمان ، ولئن يعرف الناس قط لتاريخ هذه النظمات وكيف تتقلب من صورة إلى صورة بما أدخله عليها مفكر بعد مفكر ، إلى أن ليست الطبيعة التي تراها لها في كتابك لك « أدا » كلا ولئن يعرف ما صعب « أودين » نفسه وماداً عسى أن يعرف من الأبناء عن « أودين » ، بل أنى يعرف عه آباء وكيف يكون له تاريخ . وعجيب أن يكون « أودين » هذا بكسائه الوحشي ولحيته الوحشية ومقلته الرقادة الوحشية ولحيته الحشنة الشمالية بشراً مثلاً تناله آخر الدنيا وأفراسها ، ويعشى على مثل أرجلنا وأقدما عجيب أن يكون مثلاً حنوك القدة بالقدرة ثم يكون قد أنى كل هاتيك للمعشيات والعرايب ! ولكن هذه المراقب قد بادت وبسات الصنيع إلا اسمه أودين : إذ أن لفظة

(الأبطال)

أسمه معشر الإخوت كيف أن جميع الأعمال البشرية تتسلسل وتتصل ، وليس واحد منها إلا واحد بعض الآخر متداخلاً فيه . وكيف أن الكلمة التي ألقها حيث اليوم مسعارة من جميع العالم مد جوت أول لفظة على لسان أول مكتم بد تسلم كل ذلك رأيت أن لا تشبيه قط أصدق من تشبيه الشجرة هذا مع ما أجبه وما أجله إذا قسموه باستمارة أهل هذا العصر التي تشبه الوجود فكفة « مكية الوجود » ، بل أرى تشبيه الأقدمي أشرف من أن يقاس بتشبيه الناحرين وأهل ١ حقاً إن مذهب أولئك الوثنيين الشماليين لعجيب محالف لما يعتقد غير في الطبيعة ، فمن أين أتى ؟ من أفكار كولونيك الشماليين ولا سيما من فكر أول رجل شمال وهمه الله قوة المكر - أول شمال باهمة عقرى كما يسعى أن يسميه ١ وكم فبر هذا الرجل قد عاش في العالم من رجال غير ذوي فكر ، ثم يدك منهم إزاء هذا الكون الرابع مقابل إلا للعجب الأبهم كالذي يحسه الخوا ، أو العجب المنفرد بالسؤال والبحث للعجب الكاد يغير طائل كالذي ينشر به الإنسان ، حتى أتى الرجل للفكر الكبير - الرجل المعسرى الذي يوقد فكره راقد الأفكار في جميع الأدهان ، وكنتك شأن للمفكر أو النص الرحامي فإن ما يقوله قد كان كامناً في نفوس العامة وكفراً بحسوته ويطهفون على أن يطلقوا به ولكن لا سبيل ، فما هو إلا أن يطلق ذلك البطل حتى تنور جميع الأفكار من مكانها كأنما هبت من رقاد طويل ، فتجوب الدعوة أشرع إجابة فرحة به فرح السارى بالصباح . ولا غرو فإنما هو خروج من المدم إلى الوجود - من اللوت إلى الحياة - فبا سقى الله عهد ذلك الرجل الكبير فإنه جلد أن يسمى شاعراً وكبيراً وعقرباً وما شاكل ذلك ، وإن حسبه أهل عصره ساحراً وصاحب معجزات ومسدى آياد وآلاء ونيا وإله ١ والفكر متى أتيث قل بنام بعد مبعثه أنها ، بل يعود معدن أفكار تصدر عنه طائفة بعد طائفة ، وتزكو غرسه في رجل بعد رجل وجيل بعد جيل حتى يمتد كماله ، فإذا بلغه لم يكن لمة بحال للنساء ، وإنما يقلع ذلك الغرس ويخل مكانه لنوره .

« أدوين »^(١) أصبحها « أدوين زداى ». ولعل في هذه اللحظة أناسا ينطقون هذه فميس يوحى لأدوين تاريخ، وليس فيما رجم فيه المرحومون ما يستحق أن يذكر.

قد رجم المورخ « سورو » رجما لم يحفل به على وصوح سخائه بل سمعه بأمرى لكتاب الثقة أو الثقة، وذلك أن أدوين كان أميراً وعارفاً بطلاً فى بقعة غرب البحر الأسود به اثنا عشر تابعا كلهم سيد عشيرته. ثم إن بلادهم صارت بهم معمورة إلى ناحية الشمال حيث برلوا بعد أن فتحوا تلك الأقطار وإن هذا لأمر أدوين استخرج الحروف الأجدية والشعر وعبرهما ثم ال به الأمر إلى. تحده أهل إسكندرية إليها معبودا. واعتبروا أتباعه الاثنى عشر أباء له وأمه كذلك، هذا ما لا يشك فيه للمورخ « سورو » ولكن المورخ « جرمانتيكس » وهو آخر من أهل الشمال أشد ثقة برأيه من « سورو » لا يصعب عليه أبدا أن يخلق لكل عرافة من عرافات القدم، أصلا وحقيقة، ثم يدون ذلك كما لو كان حادثة عادية وقعت ببلاد الديس، روك أو غيرها. وحتى المورخ « تورموس » بعد هذين بقرون وهو يا للأسف عام ومختوم، يصنع تاريخ لروم أدوين إذ يقول إن لودوين قدام أوروبا عام سبعين قبل الميلاد، وعما أنه هذه لأقوال ظنون أساسها الشك قد كشف بطلانها الرمز، فلا حاجة بي من هذا إلى تعيينها بل حسنى أن أقول إن تاريخ أدوين كان قبل عام ٧٠ بأحد عشر طويبة وأرمان مدينة! ولا أرى أدوين وتاريخ وجوده ووقته وسائر تاريخه إلا شئنا قد عاب عما لليلة وسط الآلاف المولعة من غابر الأعوام

ينجىء بعد ذلك للمورخ « حريم » الألمانى فيسخر وجود « أدوين » بامرة، ويشت قوله بعدم الاشتقاق فيقول إن لفظة « فوتام » التى هى أصل كلمة « أدوين » المصولة علما على الإله الأكبر لدى جميع الشعوب الوثنية فى كل مكان - هذه اللفظة التى تتصل حسبا زعم « حريم » باللفظة اللاتينية

(١) إنكليزية معناها يوم الأربعاء.

« فادير » واللفظة الإنكليزية « ويسد » إلخ - معناها التقيس « الحركة » « القوة »، فهى الاسم اللاتى للإله الأكبر لا المحروق. قال حريم: وهذه الكلمة اسم لله عند قدماء الإسكسئون والجرمان وسائر الأمم الوثنية، والنفوت المشتقة منها كلها فى معنى مقنس وأكبر وما شاكل - محسن وأبى الله ما قال المسيو « حريم » ثم لا سمعنا إلا الإدعاء للسيد المذكور فى جميع المسائل الاشتقاقية مسطر ولتفتع بأن كلمة « فوتام » أو « أدوين » يراد بها « الحركة » و « القوة ». فما الذى يمنع أن تكون اسم الرجل يعطى محرك كما أنها اسم لإله؟ فاما من حيث إن المعنوت المشتقة منها كلها فى معنى مقنس وأكبر. أليس قد اشتق الأسبانىون من اسم بطلهم الكبير « لوسى » حينما غلا بهم تقديمه لعملة « لوسى » نمنا لكل شىء أوط جلاله حتى قالوا بستان لوسى وورد لوسى وغادة لوسى: ملو أن ذلك استمر لأصبحت كلمة لوسى وهى نعت من نفوت الأسبانية معناها ملائكة الجمال أو لوسى الجمال. ولقد قال آدم سميت فى مثاقه على اللغة: إنه ما من نعت إلا وكان فى الأصل اسم لشىء شارك الشىء الأصل فى صفته، فكلمة أحضر مثلا كانت فى الأصل اسم لشىء شديد المحصرة. ثم إن الناس كلما أبحروا شيئا فيه محصرة - عشيا مثلا - قالوا عشب أحصر، وما تزال قول ساعسة ذهبيا وعظاما حديديا فكل النفوت فى زعمهم « سميت » كان أصلها أسماء أشياء ولا سمعنا أن نعلم رجلا ونقضى عليه بحد مسائل اشتقاقية كهذه! ولا شك من أنه قد كان لأولئك القبائل القديمة رجل كان أول امتداد وقائد. وحقا لقد وجد فى وقت ما رجل هو « أدوين » أو مثل « أدوين » يصير بالعلم ويلبس باليدى وليس من المعنوت، بل بطلا مصورا من لحم ودم!

فأما كيفية مصورة الرجل « لودوين » إليها - الإله الأكبر - فهذا ما لا أحسب أن أحدا يجيب أن يفلسف فيه، وقد قلت إن أهل عصره لم يعرفوا لإحلالهم إياه حلا، بل لم يكن لديهم إذ ذاك سيران يرون به الإحلال. فإن أردت أن تصور إحلالهم ذلك فزعم إحلالك لبطل من أكبر الأبطال وحجتك يزيد

هذه وذاك فهو كما قلت بطل في صورة وحشية أولية ، ولكنه بطل عبرى كونه النعم . شريف الخلق . فإذا كنا نحن أبناء القرن التاسع عشر لا نزال نحسب بذلك الرجل ، فماذا كان إعجاب أودين في القرن ١٠ من هذا ؟ حقا لقد كان عندهم بطلا بل نيا بل إلها ، أو بصارتهم هم « فوتين » أي « أودين » ومعناها القوة الكبرى ، والمكر وعماكم الله فكر في أي صورة بنا وعلى أي شكل ظهر حتى لأحسب أن « أودين » هذا هو من قبيل أكثر أبطال العالم . وحسبكم برهانا فكره الكبير في قلبه الوحشي العميق . أعلام ترون في كلماته الخشنة جلور ألفاظ إنكليزية لا نزال نستعملها ؟ وما وجوده في تلك العصور المظلمة بضالته وهو نجمها اللامع وشهابها الساطع .

فجدير بنا أن نرى فيه نموذج الرجل لشمالي وأشرف بني جلدته ، ثم ما كاد يظهر في قومه حتى تمحرت قلوبهم له عن إخلاص الولاء وأصدق العبادة ، فهو الجدر الذي أبيت أشياء جمّة ، ولا نزال نماره بانعة يرف رونقا في جميع أرجاء الحياة البيوتونية . حتى أن كثيرا من أسماء بلادنا واسم يوم الأربعاء كما ذكرت مشتق من لفظه « أودين » . أعلام ترون بعد ذلك أن آثار الرجل قد تجاوزت إلى بلادنا ، وأن أفرعا من فروعه قد امتدت إلينا ومن ذلك الجبل ذاك الوري .

فإذا كان الرجل أودين قد باد وهلك ذكره ، فهذا ظلّه الواسع للديد ما زال يشر أعلامه على تاريخ الأمم البيوتونية جميعه ، لأنه متى سلما أن أودين كان وقتا ما إلها أمكننا أن نفهم أن نظام أفكار الأقدمين أو عندهم نظامهم أو بالاعتصار كل ما كان لديهم قبل مجيء هذا الرجل قد أخذ بعد مجيئه وتعاليمه في طريق آخر ، وليس هيئة جديدة ، إذ جعل جميع الأمم البيوتونية ينقشون على ألواح ضمائرهم كل ما قال ذلك الرجل وعلم بحروفه وشعره وأصبح مذهبه ملهمهم ورايه رأيهم . وكذلك شأن الرجل الكبير في كل حين . أو ما ترون في العقائد الإسكندنافية التي يصعد ظلها المائل من أعماق ظلمات الأعصر الخاليات فيتشتر على الأفق الشمالي صورة الرجل « أودين » ؟ نعم الفكر فكر كيما

كان ، وما كانت حياة الرجل العظيم لتكون قط عبثا وما تاريخ العالم إلا مجموع سير أبطاله .

يبد أنى أرى في صورة ذلك التاريخ القديم شيئا مرققا للأمة ، وهو إفراط أولئك القوم المتوحشين في حب بطلهم وإن شاب ذلك الحب سذاجة وعجز . نعم إنه وإن شابه منتهى العجز فلقد كان في منتهى الوفاء والشرف ، وهو فوق ذلك وجدان قديم خلقه الله حين خلق الإنسان . وأما لو أمكننى أن أفهمكم ما لم أرل أعتقد منذ زمن بعيد من أن هذا الوجدان هو عنصر الرجولة الحيوى وروح تاريخ الإنسان في هذه الدنيا . لكان لكم في ذلك غنية عن كل ما سوف أتقيه عليكم من هذه المحاضرات . نحن لا نريد أعظم رجالاتنا الآن كلا ولا نقرط في إجلالهم بل نقتصد يا للأسف في إجلالنا لهم الأم اقتصاد ! فهذا وربكم شر ونكر ، ولكن خلقوا العالم من المعطاء أشر وأنكر وأدعى وأمر .

وكذلك ترى في ملهب هؤلاء الوثنيين على علاته فضلا وقيمة ثمينة ، وهو وإن لم يكن اليوم بحق فقد كان في يومه حقا . أليست كأنها صوت آبائنا الأول يصبح من أعماق القرون العائرة ، يهيب بنا نحن أبناءهم الذين لا نزال عروقتنا تزخر بدميلهم يقول : « هذا رأينا في الدنيا ، هذا كل ما استطعنا أن نصور به لأنفسنا سر هذه الحياة وهذا الكون ، فلا تحقروا عماكم الله رأينا ومبلغ جهلنا ، واجعلوا بدل احتقاركم لنا شكرا لله الذي رفعكم فوق درجات فأصبحتم بحمده أكثر منا إشراقا على كونه وأصبح رؤية ، ولكن لا تحسبوا أنكم بلغت القمة فإن رأيكم وإن فضل رأينا لكنه ما زال جزئيا ناقصا ، والأمر أعظم من أن تناله مدارك إنسان لا أثناء الزمان ولا خارج الزمان . وكأني بالإنسان بعد أن تمر عليه من هذه اللحظة آلاف السنين بالرقى والتهوض ، لا يزال يجد أن أقصى جهده هو الإنعام بطرف من أطراف هذا الكون ، فإن الأمر كما قلت أكبر من الإنسان وليس في وسعه أن يفهمه ، وكيف وهو شيء عديم النهاية .

الإيمان بأن الكون شيء إلهي مقدس ومناجاة للمرء للقوى الخفية البادية آثارها فيح حول من الكائنات ، هو عنصر غرائبات الإسكندنافية وسائر

شروع. ولعل الوثنية الإسكندنافية أصدق في هذا الأمر من جميع ما عدلها إذ لا تكبر حواصها. وهنا الإخلاص هو عزوتنا على خلق ذلك المذهب مما يرمي وثنية الوثنان من الرقة والتهايب، فقد أحس أن هؤلاء الشماليين كانوا مأمورين بضعفة نعيم نصيرة زروج يقطي، وقلوب صحيحة مخصصة جمعت بين معبر سخونة والرجوبة، بين سداجة في شرف إحساس وعمق في نشاط وصف، ورجل في شعف ورجل في شجاعة، فله أولئك القوم ما كان أشجعهم وضد فيه وكذلك يرى هذا الإيمان بالبيعة قد كان أكبر عاصر الوثنية، فأما الإيمان بعظمة الإنسان وأجباته الإلهية والأدبية وإن لم يكن معقوداً من يرضه. فهو العنصر الأهم في الأدبين والأطهر والأصفى. وكذلك ترى أن الإنسان يذهب في نزل أمره إلى الطبيعة وقوةها فيتراجع لها ويعيدها، ثم يعرف أنه لا قوة في الحقيقة إلا القوة الأدبية وإن أهم الأمور هو تغييره بين الخير والشر، بين النحر والخرم إلا بعد تصرف الدهور الطويلة.

فما من حيث المخرجات المذكورة في كتابهم المسمى «أدا» فهي كما ذكرت أنها أحدث عهد من مدة «أردس»، ولعلها لم تكن في نظر أولئك الأقوام إلا ضرباً من اللهو والعكاهة ولم تكن إيجلاً لهم ولا توراثة. إذ أن العقيدة كما قدمت لا بد أن توجد أولاً ثم تزدحم حولها الأقاصيص الشعرية الضفاف الجسد بالروح. ولا أحسب العقيدة الشمالية إلا أنها كانت قبل نظم الأشعار حية فعالة في نفوس أهلها، وكذلك سائر العقائد تكون أنشط وأقوى كلما كانت أسكت وأصمت.

وما يرى في كتابهم «أدا» ذلك الكتاب للهم للعظم، يؤخذ أن عروس لعقائد لم تكن إلا ما يأتي الإيمان بالمتنحين، وهم الآلهة للوكلون بانتخاب من ينص علىهم بالقتل في ساحة الوغى وحرمة الحرب، ثم الإيمان بالقضاء القدر وهو أن من قضى عليه أن يموت قتلاً فلا مرد لذلك القضاء ولا مفر، ثم الاعتقاد بأن أول واجبات المرء هو أن يكون شجاعاً. أليست هذه الثلاثة هي أعظم أصول الشرائع العظمى شريعة لوثر وشريعة محمد؟ بل أريدكم وشريعة نابليون

نصف، بل هي سنة إنسان يتم كاد وكيمياء كاد. وهي السلك الذي يؤلف عاء فكره جمع، وخيصة من منه مسح ثوب عقده وهوؤلاء المسجون سقوبور الشجعان الذي قصوا في معرك القتل إلى قعدة «أودس»، أما الأربعة لأحساء وحساب الأدلاء فسردت في ديوار «هيللا» إنهم المرب هذا هو عيما أراه روح، سنة «شعاليه جميعها»، فقد كان أولئك لأقوم يعقلون أن «شعاعة رشي كشيء»، وإنها على الحار كركية فرص مخوم وصريرة لارب، ونهم ستوحسوب سحط «أردس» وبسترلور عهده إذا هم لم يشجعوه في جميع لموطل فاصروا بركه ثم سروز في ذلك معسى عبال كبير؟ حق به لواجب أبلدى وفرض سرمدى حتى اللحظة، كما كان حقا في تلك المصور أن يكون الإنسان شجاعاً، وما زال أول واجبات المرء أن يقهر الخوف. وحقا إنه يسمى أن تقنع دبر الخوف فيه لا سبيل إلى «عمل حتى يصنع ذلك» فإذا لم يعمل المرء خوف زرع صهوه وحت قدمه كاد خفيف أن تخت بعسه ويعصده صبه، ويكون لعنه تقيدية لا استقلالية وفكره زور وبطلا بصورهما عس نفس ديل وصف حيد وسعت ترى أنه يستخلص باب مذهب الأودس من قنبره لأفنى حقا في هذه ساعة كيف لا وبك أول وحساب إنسان أن يكون كما قدمت شعاعاً، وأن يحصى قدم في سبه، ويكون رجلاً في كل ما يجرب ويرز. ثم هو في جميع ذلك يؤمن بقضاء الله وقدره وما رز صبر مرء مدى خوف وصهره على بحس هو ميرل فصله ومقياس رجونه في كل أن ولا سلك في أن شعاعة أولئك الشماليين الدماء كانت وحشية جداً، وقد رزى بلزوح «سوزو» نهم كانوا يرون الموت في غير مواطن الحرب عاراً وسمه

سسر على حيد «صناه نفوسا» وبسعت على غير الطلابة تسيل وماد من مستند حصف نهمه ولا طلل ما حيث كان قيل فإذا أحس أحدهم دهر الأجل واقتراب الموت الطبيعي، أحدث آخره في «أودس» إلى «أودس» ليصبح له في جناحه مقاماً وكان الملوك إذا

شرب مائه مياهه ثمروا أنفسهم أن يخضعوا على سعي ، ثم عرسا السعيدة في
 مسير = "أغلا" د ب في حشمة ، حشمة المسير ، فيردا سنان بها را حشر
 تار وحب به لريخ ، تاجحت هي بدينها السار وطار في أركانها شواظها .
 وكذلك باقي الطال العظيم بين أختها ، الماء وحوائح الخواء قبرا - شعاعة وحشية
 ودية حجر ، سامه وكسب شجاعة ، حجر من لا شيء ، ثم أي حدة رؤساء ودية
 فعد ، ب سرعة ومضاء قد كانت نونك البحر من أولئك الشماليين الكائن
 من شبه مستعمر على صخور مسية صامتين مغلى الشقاء غير شاعر ، بينهم
 قد أوسه صهي السمانه والمجدة - يكافحون البحر الشائر وعصارست أمواج
 رندة حبه وبيده ، بل يكافحون الرور بحر وكين ما عسهما أولئك ،
 حارب راف وملايك ولسون ، لقد ذهب زلزال الأطلال وما يرمي بعضه
 عاصفه ساعتر كهو مبروس ، لا يني أي مائر غائمون (أحد أنصار سوان في
 شعر سوان) مصاعل في حبيب مسعد راحل من أولئك ، أنصار
 سمير ، راحل مثل « رولف » أو « رولو » أسير نورماندى فذلك الملك
 البحرى الفاتك ، فاني أرى له الآن يد في حكومة إنكلترا وإن كان قد مرت

وہ یکن در عاقلہ کن ما فعلہ اوست لاقوم من حولان ہی شعار و من
محروب و برفاع بناء عدة اخیال ، لان دشت م یکن ، لا تبارح برسانہ لعلہ ی
مہ یقرب مسود نہ رشت ان من اوست دشت اسمالیں من ک ، بنف فضع
شعار ، عقی ملوک دیں کال من سانبہ فضع : عادات ، و عی - لک معنی و سہ
مہ دشت ، و فضع اضعف یلوج « سکت » - حسب و معنی ان ہزارہ سبوت
مخبرہ فضع عقی محروب - دلی ان محروب و حہ لا برری ائمہ زود بخیر شعار ،
انہ دشت فضع و بہ معنی برہ اوری لأحسب ان - عمارت فضع - بلا
ہ ہ (۱) عداد ، اقصی نہ لک - فضع حاصلہ بصادہ ، معنی الضدہ

والعامل الصادق ، لا يدعُ أمراً إلا ويتأمله برفق وصدق ، وما ذلك إلا لأن الشجاعة الصادقة هي الأساس لكل هذه الأمور ، والشجاعة الصادقة شيء ، والقسوة والمظاهرة شيء آخر ، فقطع العتاب ضرب من الشجاعة الصادقة قد أبداه أولئك القوم ضد الغايات وضد الظلم الوحشي من قِوى الكون لئلا يفسد الطبيعة أو أرمسهم في سدى الطريق الذي همجهوا ٢ إذن فلا يعد لله تلك اهمة وهاتك الشجاعة ٢

ويظهر أن تعليم أودين قومه فضيلة الشجاعة وإحابة القوم إياه ، لإصابة قوله هورت في موسيم وطهم أن كلامه أن حتى جاء به من السماء ، وبه لذلك إليه - يظهر له أن هذا هو أول بذرة نبئت منها الديانة الشمالية وفروعها من الخرافات على اختلاف صيورها والزئيف والرموز الشعرية والقصائد والنقص والأناشيد والأغاني إلخ. أقول نبئت ! عجباً عجباً ! إنما يقال نبئت للشيء الحي . وقد قلت إن هذا المذهب الوثني لم يك إلا ظلمة خالكة يورق في جوفها ذهب أودين كالسحبه في يدجور ، بعد زكها عظيمة حية . تديرها رعاكم الله ذلك . هذه الظلمة هي مدعى المتوحش جاهل - ذهب تلك الأمة البربرية "شمالية" يصور وينتهي عنى أن يبيسه الله البضة والفضة فيستمر بل ما شاء ، الله في فضله وطقه أعم أن يعكر بذرة تبست وتمو ثم تمو ، ثم لا تزال تنمو وتمو كشجرة احد متى خست بذرة منها فقد حصنت من شجرها عنى ما لا نهاية لعدده . وذلك أن البذرة تخرج شجرة ، فأى فروع هذه الشجرة أصاب الأرض صار فى الحال جذرا لشجرة جديدة تبست فروعها فتصير جذورا ، وهكذا إلى ما شاء الله ، ويعكر حتى لا تموت . وأول من فكر من الرجال على طهر هذه الأرض فهو بادف جميع - ثم الدسي والثالث . بل كل معكر صادق إنما هو من قبل «أودس» . بل شئت فعل إنما هو «أودس» على البكرة ، ثم هو قد عبث الله لعدم الدس رأيته على الله وعلى الكون والإنسان ، وليست طل صورته على أنجواه من تاريخ العالم

تعد ولكن ممكنة الموت هيئتك معيلة جدًا إلى جهة الشمال» فيسمر الرسول في
 سسه حتى مات ممكنة ويرث يونس خذله، عود هو رخص منك المنك قد
 قضى عليه لا عافيه فقد محتوما لا مفر منه وقد تبت ملكه حوت أن يطلقه
 ، لا يلو ردت ديك إليه صر ثم إن امرأته تطلب من جده أن يهرب
 في سنة في ذلك فحدث صعب ، ونحى الروحاني مع آخر أخته ثم دخل
 « يونس » حبه في « يونس » ورسول روجه « ب » حامد عيسى سبيل
 يونس - يونس وجمعه ؟
 وحقيقه - شجيرة يسوع الرحمة - يسوع السدق و يعرف و تكوم
 و يرسلة و تر يونس خدم و شاف وقد قد المبرح « أفلاست » نيس من
 يت يفره و سحابة أن خد يونس هؤلاء القوم في إليه الرعد ريفعا مؤسما ؟
 ولا تخف ، لا عر من رعمه ، بن ترى أنه لا بد عوراه الشمس و يصف الخلو
 جميل من م حبة نرعد ، وف كاد الرجل الشمد يرتاح ، يسمين بن
 « نور » و حبه حبه خدف بالصورين ، و يلاعب ويدسه ، و كان ذلك
 « به عده هو به المطرزة الشمسية أيضا ، أعنى إليه العمل والأمن والمظفر
 و البركة ، و صجب دلاج و ريفيه في العرس والعورث ، ثم إن « نور » يسه لا
 يرتفع عن مبرة جميع الأعمال الخدسة السوقية ، وما يزال يذهب إلى ديار
 الشب طين ليلال عماريت الملح والجديد ويقرها ، وفي بعض هذه الأقاويل ما فيه
 من الفكاهة والضحك .
 فمن دلت ، ذكرنا من أن « ثورا » يذهب إلى ديار « المردة » ليحلب
 مرجل « عسر » حتى يصعب فيه آده ساد الشعر ، فندخل عسه « عسر » نبح
 لا يسه و يخب ، و رسة و كد و كلما رمى بهصره عمودا من القعد انطلق من
 حده عرته طويل صخب وعريادة يأخذ « ثور » المرحل فيلسه في
 رسة عاد هو و دونه ، دت لأنه مرسل مارد - « همير » الذي
 أن من حده ، ثرة حسه من

فأما مرأيا ذلك المذهب الشعرية فهذا ما لا موضع له ههنا ، كلاً ، لا كثير
 أهمة وقد توحد أشعار سوية حادة حارة ولكنها على كل حال صرت من
 النهو أصابعها إلى قواعد الدبس ناس متأخرون ، وما أحسب أنه قد بقي من
 أشعارهم إلا الأعتى . وأمثال هؤلاء المتأخرين لا يزال منهم من يتم بالأشعار
 شأن المصورين المحدثين لا يروحون بضرورة ، لا من صميم القلوب كما كان
 قديما للمصورين وكما هو الأصل في التصوير والباعث عليه ، بل رعا نيس من
 القلوب آتية فاعلموا ذلك ولا تنسوه .

وقد حاول شاعرا « جري » أن يصف لما عيشة أولئك الوثنيين القدماء
 وحاب حبه الشاعر يون ، إذ ترجم « الإبيده » فلم يؤته الشعر على يبرز روح
 هو مرموس ، وحسب جري أن حية أولئك القوم كانت موحشة مظلمة
 تعرف عليها غلال الروح والرعب مصورها كذلك ، ولم يدرك أن أهم عناصرها
 هي وعورة كوعورة صخورها وعشوبة كعشوبة قفارها ، إلى أنس لا وحشة
 والشرائح لا انقباض ، وشيء من الفكاهة والضحك بين مناظرها المبهمة
 ومشاهدتها الزهية . يو كان القوم غايه في السعادة لم يجلبوا في تصوير آهنتهم
 ذوا قانع هذه آده إلى ما من إليه إخوانهم الروان من ذوا قانع الزاينة سمييه ،
 فكاني بأولئك الشماليين لا يجذب في وقتهم مسحة لأن يفتو مبهوتين مرتدين
 المراكص أمام ملهشات المرسح ، ثم يهجن جلا سناحتهم وصدقهم واستقامة
 مظهرهم ، فمن ذلك ما يتخيلون من أن « ثورا » إليه الرعد يقطب حبيبه في
 حق صدق ، ويقص على سيمه قصة تبيض من شدتها مفصل صديعه ، به
 نجد كذلك الترجمة نادية في أجمل مظاهرها في جرائداتهم نكت ، فمن ذلك أن
 « يونادر » إليه الأبيض إليه الشمس الكسرية للمع الجميل كحوت ، فبه يدغر
 في الطبيعة شتا ، لا يقبوا فيه عن دواء ، ولكنه مات وقضى الأمر فتبعته أمه «
 فرحا » و سولا سمه « هر مودر » نبحث عنه ويصوت الرسوب سح من وسعه
 ، يمتح في زينة مستعصمة مظلمة ، ومصرحات ممتعة مشككة ، حتى يبلغ
 القسوة وسقمها الذهني . ويقول له الحارس « نعم ، لقد عمو « يونادر » ههنا

صخور وشجيرات حتى إلى حين الليل سواداً ، كان جانب من جوانبها دهاب فوجدوا فيه مكاناً خافوا به . فلما سجدوا لليل وانهم صرحوا وصوبوا ، « ثورا » معية واعتبر الباب منحرفاً للقتال ، وجعل صاحبه يحركها وما يزال فزعاً بالتمسك من جرحها ، فوجأ غرمة صغيرة فعادها بها و قد نوراً بالباب يرقب عدواً منها حتى ولا عدو ، ولما أصبحوا وجدوا أن الصوضاء يمكن إلا شجيرة ماردة جسمه ويكنه مسالم . المارد « سككرومير » وكان قائماً بأبيه منهم و قد كان حسوداً فساداً به ، إنما هو إحدى صفاتي ذلك المارد قد أنقذها إلى جانب عديداً أراد النوم ، وكانت الفرقة التي عاذا بها هي بيت الإبهام ولم يكن للفتارة بيت لسان الأصابع ، يا لها من فتارة عتيقة !

ثم إن المارد « سككرومير » صرحهم سبحانه اليوم يحمل حقبتهم ، ولكن « ثورا » ارتاب المارد وعزم على قتله متى أم وكسدت آتاه وهو رافد فصر به معموله ضربة تصدع الصخر الأحمر فلم يعلل المارد أكثر من أنه اتته وحك وجته وقال : ورقة سقطت . ثم عاد إلى نومه فأرسل « ثورا » على وجهه ضربة أشد فله يث من المارد كثير من به خمس دقائق ، ما هي إلا حصاة . ثم قام فصب عليه « نور » بيديه جميع ضربه حدثت أثر بوجهه مارد ، فما راد على . فصع شجيرة وقال : أحسب أن بهذه الشجرة غصافير ، وإلا فما هذا الذي سقط على ؟ ثم إن « سككرومير » دحى أصحابه باب حديقة المردة وكاد يذم هو وشراب ، فداولوا « ثورا » كأسا وسألوه أن يشتف ما فيه يجرعة واحدة فكفر فيه ثلاثاً طويلاً وما كاد عذرت . فقالوا له : طفل ولا ريب . ثم أومأ له إلى فتحة فسألوه : أيقدر أن يرفعها ، فحاول « ثورا » فما استطاع أن يرفع بعد يده . سجدوا إلى إحدى د. ميا . فقالوا له : ما أنت يا هذا يرحل - انظر لثمة إلى مثل لمجور حانه فكيف . سجدوا بها فعداها ثورا رجها . وكذا فعل مثل

وما هموا بالرحيل تبعهم رئيس المردة وقال ثورا . عدت عليت وحسن لا تخجل فإن هي الأمر صراً أنا كاشفه لك . فاما الكأس التي حاولت أن تشرب فلم تقلد مثل البحر ، وحصلك أنك أهدفت به جرحاً ، ومن ذا الذي يا ثورا

صيح أن يهرب جرحاً ثم حرة نسي أردت أن ترميها فلك هي الحية التي تنف جرحاً . لارص فمست أجزها ونصم أركانها ، فقل لي أكتت محاولاً برفعت . فما تخرب عدم ؟ ولما انفجرت فهدد هي الدهر وأخرم واللوم ، ومن . من صارح : من لا إنسان ولا إليه فإنها علاية لكل شيء . ولما نصرت الثلاث نسي ضربها فثار . تنظر إلى هذه الأودية الثلاث « فهي من صنع صرباك » فطر « ثورا » إلى رفيقه فإذا هو المارد « سككرومير » وهذا المارد هو الأرض ذاتها ، وما فتارته إلا أحد الكهوف ، وأمس المارد فلم يبق له ثم إن ثورا نحت بصير حديقة مردة فد. هي قد صارت هواء ولم يبق إلا صوت لما د يفت به سحراً « ثورا » لا يعود إلى ديار مردة »

هذا من رموز شعره مذكاه لا من لأقويل السوية الحديثة ، ولكن ليس بها مني جرح من عذرة عذرة وذهب بربر ؟ نعم ذهب نفى وأصغى كما يوجد في جرحات يونان . كتب نود صعه وأرشد معرب وقد أرى لسلك لمارد « سككرومير » فكاهة جميلة أساسها الحد والاعتبر والجزر كأنها قوس قزح وسط الروبة السوداء ، ومن هذا القبيل كانت فكاهة شاعرنا المفضل « بين جوسون » وهي فكاهة تجرى في دماغنا حسماً يحمل إلى الأمل أكاد أسمعها الآن من أقصى عايات أمريكا يصدق بها كاتبها الكبير « أرمسون » .

ومن الرائق الكبير من أفكار القوم ذلك الذي في الصورة الآتية ، وهو أنه يقوم حرب بين - والآفة فتنتهي موت الجميع وحرب الكون ، ولكنه صوت مؤلفك رئيساً يتحدد كون ذو سماء أجمل ونهى ، وأرض أنصر وأطلى ، وإليه أشرف وأقوى يعمل بين الناس جميعاً . ففجيب من هؤلاء الناس كيف أذكروا بطريقتهم الحشنة ومنهجهم اللوم سر القيامة والبعث ، وهذا فيما أراه القاتلون لأساسي لكل مخنوق أحدثه الدهر وأقامه في دهر الأمل^(١) . قانون قد نفذ إليه بعد دورى الإخلاص والبصيرة وسيمد ما دام الإنسان

يعرفون ويتفهمون) ما كملهم دينا وشرعا، وما تقديس لشجاعة بالأمر عن
به لا حسب بلا أن عرفانا بعض الشيء عن وثنية أمانا شيء مصد، مثل أن
الذين لا يبرح منه على عروضا - وراك ثم شعر سست - أثر، وشعورا به حبر أن
عمن صفت بالناصي كد وفهمنا له نصفي وألقب، والمصطفى تعلمون ميراث لنا
رأى ميراث، وهو جزء من الحقيقة التي هي مجموع كل عصر وكل أمة فملنا
بجميع خبر من جهتنا به. وقد جاء في كلام «حايي» أن رجلا اسمه
«مايسو» سأل أستاذه بأي الأديان الثلاثة أنت مؤمن ؟
وأجاب «بجميعها، لأن من اجتماعها يتكون الدين الحق» .

حزبان بن الخرافة التي يذكر فيها "حزب صهور" «ثورا» هي الأخر
... أنه هذا الشاب، ولعلها مما يجمل إلى "حزب صهور" الخرافات حيناً وفيها
شعر الصورية مشفوع برقة حزون عسى ما تقول من عهد نوينية
... من سسل "عذاب والشكوى رحل من مخاض نوينية" في أول سسل
... سيرة "بيلاد البرويج"، وهذا فحواها: "ييسا الملك" «أولاف» أمير سروج
... نمت حتى كانت له اليد الطولى في هدم صروح الوثنية وشر الوثنية مصرته في
... ساحة في حاشيته على سرجل البرويج يتقل من ثمر إلى ثمر ويث
... من الرعية أو يصلح من أمورهم، إذا عرست سادى الوقار أصيب الناح
... سسل الصورة مهيب للطلعة قد طرا، ثم كان من حديثه ما أعجب الملك وراعه،
... ولكنه ما لبث أن غر لحمة كلامه فخطب الملك قائلاً: "نعم أليها" الملك
«أولاف»، ما أحل هذا الشاطئ يزهر في رواق الصبح، وما ألقى خصرت
... حتى نصرته "فهدا السهل وحيدا" حين، وهيت لك بيت والبرية والسعد
... وكفى ذكر أنك ما كنت تمتعا بدك بولا ما مهده لك «ثورا» من أمر "بيلاد".
... و... وصاه لك من شأن الملك، فكم كدح دونه المردة، وكم دفع عنه لأدسة
... من "ألقى في ذلك من يوم أرويان (شديد) وهيار عصيب"، لأن بد است
... "أمر تاسبيت" «ثورا» ودعت ذكره "فيا أليها" لاساب سه من رقتك
... من "أمرك عسى حذر!" "فل العرب ذلك وفط حبيب"، وعسى لمن
... "شبهه فودا هو قد عاب عن الأبر" وكان هدا "حزب صهور" عسى مرسح
... العام

والذي لأرى باعث حزون وشحن في ذلك الصوت .. آخر أصوات الوثنية
الذي فنى معه «ثورا» والعالم الشمال بأكمله فناء لا رجعة بعده، وكذلك
... حليل ورائع وعظيم فالى البناء مصوره، وما من شيء حسب "البا سرج" غيب
... لا "حزب بالمرق بيتنا ومنه نار حبات الظلم ونجوم شخص، ونور وعسا سة" سود
... ع

إلى إيهامكم أن جميع هؤلاء من طيبة واحدة ، وأنه لم يحدث الخلاف العظيم بين أئمتهم والآخر إلا لطيفة التي يكسونها هم ، أو الطريقة التي يستقبلها بها أهل زمهم .

لقد أصبح من أكثر الناس على أي فرد متدين من أبناء هذا العصر أن يصمي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن عمداً خداع مزور ، وأن لنا أن محارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السقيمة للمصلحة ، فإن الرسالة التي أودعها ذلك الرسول ما زالت تسراج للنور منذ اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا ، حلقهم الله لأذى علقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين المائقة المحضر والإحصاء كذبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ، ولو أن الكذب والغش يروحان عند علق الله هذا الروح ، ويصادقان منهم مثل ذلك التصديق والتسويل ، فما الناس بالبلية ومجانين ، وما الحياة إلا سحاف وعيث وأضلوبة كان الأولى بها ألا تنحاق .

فوالأسف ! ما نسوا مثل هذا الزعم وما أضعف أهل وأحقهم بالرأى والرحمة (وبعد) معنى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات إلا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السمهاء ! فدها نتائج جيد كسر ، وعصر محدود والحاد ، وهي دليل على حيث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان ، ولعل للعالم لم يرقط رأيا أكثر من هذا والألم ، وهل رأيت قط معشر الإخوان أن رجلاً كافياً يستطيع أن يوجد ديناً عجيباً ؟ والله إن الرجل للكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب ! فهو إذا لم يكن عالماً بمصالح الخير والنجس والواب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذي يبنيه بيتاً وهو تلب من الانقراض وكتب من انحلال للرد ، نعم وليس حدثوا أن يبنى على دعائه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، ولكنه حدث أن تنهار أركانه فيهدم فكانه لم يكن . وإني لأعلم أنه على المرء أن يسهر في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة ولا ابت أن يجيب طلبته ، وتعلمه بغيره . كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار وإن زعموه حتى يملوه حقاً ، وزور وباطل وإن زعموه حتى لوهموه صدقاً ، وعنه

المخاصرة الثانية

(البطل في صورة رسول)

(محمد - الإسلام)

مثل الآن من تلك المصور الخسنة .. الوثبة الشمالية إلى دين آخر في أسرة العرب ، وما هي إلا نقلة بعيدة وبوّة شاسعة بل في رعدة ورتقاء بره هنا في أحوال العالم العلمية والتفكاره .

في هذه طور الجليل لم ير الناس في بظلمهم إلهياً بل رسولاً يوحى من الإله ، وهذه هي الصورة الثانية للبطل . فأما الأول وأقدم الجميع فقد ذهبت إلى حيث لا تعود أبداً ولن ترى الناس يولجون البطل مهتماً عظيم ، بل لن نسا .

أكان من أن يس قد نهم عمدوا إلى رجل يرويه ويلبسونه فقالوا هذا خائن ملكون ؟ أنا لا أظن ذلك ، إنما يقولون هذا القول في رجل يتذكرونه أو كانوا يردد على أن هذا نصيب لي يكون قد ، وليس بوجه السط من ثمة مصاعد ولو بيع مسرى العصاة

لقد كان اعتبار الرجل العظيم إلهياً غلبة وحشية فاحشة . ولكن دعنا نقل . إن الرجل العظيم ما يرح في جميع الأزمان ليزاً من الأفكار لا تدرى كيف تفسره ولا كيف يستقبله ومعلمه ! وليس أهم مرابا جيل من الأجيال هو كيمية . استقبله لوجه العظيم ، وسواء استقبله كإله أو كشيء أو كيمياء كان ، فذلك هو السلوك الأكبر ومن طريق إحسانهم عن هذا السؤال وكيمية مدبرهم في ذلك الأمر يمكننا أن نصور صميم حالتهم الروحية كما لو كان من علال باءة

فإن الرجل العظيم إذا كان مصدره واحداً - أعنى من ددت الله فهو جس واحد : « لودين » أو « لوتر » أو « جونسون » أو « باوتر » وأرجو أن لو فلق

- والله - ومصائب أن يتعبد الخاسر شعوبا وإنما بهذه الأصليل وتسود الكلبة
وتفقد بهاتيك الأباطيل ، وإنما هو كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية
المرورة تحت لها الكذاب حتى يفرجها من كنهه الأثيمة ، وبحيق مصابها بالعير لا
به . وأنى مصاب وأنكم ؟ مصاب كمصاب الثورة الفرنسية وأشباهها من
الذين والذين تصيح بحلأ ألفهاها « هذه الأوراق كاذبة » .
أما الرجل الكبير عاصمة ، فإني أقول عنه بقية إته من الخال أن يكون كاذبا ،
فإني أرى الصديق أساسه وأساس كل ما به من فعل ومعملة . وعندى أنه ما من
رجل كبير - مؤابوا لمؤابيون أو بارزون أو كرمونيل - كفه للقيام بعمل ما إلا
وكان الصديق والإخلاص وحسب الخبير لول باختلافه على محاولة ما يحاول . أعنى
أنه رجل صادق فإنه جاد مخلص قبل كل شيء . بل أقول إن الإخلاص -
الإخلاص المبرر العميق الكبير - هو أول خواص الرجل العظيم كفيما كان . لا
أريد إخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر للناس بإخلاصه . كلا من هذا
حقير جدا وأيم الله - هذا إخلاص سطحي وقبح - وهو في الغالب ضرور
وفته ، إنما إخلاص الرجل الكبير هو مما لا يستطيع أن يتحدث به صاحبه ، كلا
ولا يشعر به ، بل لأحسب أنه ربما شعر من نفسه بعدم الإخلاص ، إذ أين ذلك
الذي يستطيع أن يلزم منهج الحق يوما واحدا ؟ نعم إن الرجل الكبير لا يفخر
بإخلاصه قط بل هو لا يسأل نفسه أحمي مخلص ، أو بمسألة أخرى أقول إن
إخلاصه غير متوقف على إرادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم
لم يرد . هو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله .. حقيقة لا يستطيع أن
يهرب من حلالها الباهر مهما حاول . هكذا خلق الله فنه ، وحلقة دمه على
هذه الصورة هو أول أسباب عظمت . هو يرى الكون مدعنا ونجما وحقا
كالنوت وحقا كالملمة . وهذه الحقيقة لا تقارقه أبدا ، وإن فارتقت معظم الناس
مساروا على غير هدى ومحيطوا في غياهب الضلال والعمياء ، بل تظل هذه
الحقيقة كل لحظة بين حنيه ونصب عينه كأنها هي مكتوبة بحروف من الذهب
لا حلك فيها ولا ريب . ها هي أها هي أفتعرفوا - هذاكم الله - أن هذه هي

أول صفات العظيم ، وهذا حله الجوهري وتعريفه وقد توجد هذه في الرجل
الصغير فهي حذيرة أن توجد في نفس كل إنسان عائله الله ، ولكنها من لوازم
الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيمًا إلا بها .
مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا أصليا صمد الجوهري كريم العصور ..
فهو رسول مبعوث من الأبدية المجهولة برسالة إليها ، فقد نسميه شاعرا أو نبيا أو
إلهيا . وسواء هذا أو ذاك لو ذلك فقد تعلم أن قوله ليس بمأخوذ من رجل
غيره ، ولكنه صادر من لباب حقائق الأشياء .. نعم هو يرى بطل كل شيء لا
يحجب عنه ذلك باطل الاضطرابات وكادب الاعتبارات والمعادت والمتصنات ،
وسخيف الأوهام والآراء . كيف ؟ وإن الحقيقة تستطع لحيه حتى يكاد يمشى
بنورها ، ثم إذا عثرت إلى كلمات العظيم شاعر كان أو فيلسوف أو نبي أو فارسا
أو ملك أو تراثا ضربا من الوجوه ؟ والرجل العظيم لم يضرى محموق من هؤلاء
الادب وأحشاء الكون ، فهو جزء من الحقائق الجوهريه للأشياء . وقد ذل الله
عنى وجوده بعنة آيات أرى أن أخذتها وأجدهم هو الرجل العظيم الذي علمه
الله العلم والحكمة ، فوجب علينا أن نصمى إليه قبل كل شيء .
وعلى ذلك فمسا بمد عمدا هذا قط رجلا كادبا منصعا يتلوع باخيل
والرسائل إلى نية ، لو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائق
والصغار . وما الرسائل التي ألقاها إلا حق صراخ وما كلمته إلا صوت صادق
صادر من العالم المجهول . كلا ما عمدا بالكادب ولا المصق وإنما هو قطعة من
الحياة قد تفطر عنها قلب الطمعة ، فإذا هي شهاب قد أصاب العالم أجمع . ذلك
أمر الله وذلك فصل الله بزيه من يشاء ، الله هو الفصل العجيب . وهذه حقيقة
تدفع كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين .
وهب محمد (عليه السلام) عذاب وهوت - وأنى يمدن لا يحظى . إنما
المصصة لله وحده - فإنه ليس في طاقة أية مصورات أو عظمات أن تروى بتلك
الحقيقة الكبرى ، وهي أنه رجل صادق ونبي مرسل .

الذين والمساكين كما كان يسط من عسرين وجود البلاد ويهتضضراء ويقعان دات نمواه وأكلاده . وكان الأعراي صامتا لا يكلم إلا فيما يعنيه إذ كان يسكن أرضا قفرا تخالما بجرا من الرمل بهطلتي حمرة الهار طوله ، ويكافح بحر وجهه معحات القر له .

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيفحس وأما بالعشى فيحصر ولا أحسبه أناسا شأنهم الأبراد وسط اليد والفقار ، يحاذون ظهورهم الطبيعة ويأخون سررها إلا أنهم يكونون أذكاء القلوب حذاء الخواطر عقافات الحركة ثقتي المنظر . وإذا صبح أن الثرى هم أنيسو للشرق ، فالعرب ولا شلتك طليابه . ونحن أقول لقد كان أولئك العرب نوباً أوفياء العوس ، كان أحلاهم سيول عفاقة طاه من شدة حمومهم وقوة لإنتهم أحسن سور وأنشع حاجر ، وهذه وأيكلم أم الفضائل وفرة الشرف الباذخ . وقد كان أحلاهم يسميه ألد أعدائه فيكرم مثواه وبحر له ، مواد أرسح الرجل حليح عليه وحمله وشيعة ثم هو سد كل ذلك لا يحجم أن يقاتله متى عادت به إليه العرص وكان العربي أغلب وقته صامت فاد فقال أفصح . ويرسم أن العرب من عصر اليهود والمفحة أنهم شاركو اليهود في سرارة الجدة وعثاقهم في حلاوة الشمال ورقة الظرف وفي ألمية القوية وأريكة القلب . وكان لهم قبل زمن غمد (عليه السلام) متانسات في الشعر يترورها يسوق عكاظ في جنوب البلاد ، حيث كانت تقام أسواق التجارة بداية انتهت الأسواق تشاهد الشعراء القصائد انباء جائزة يحمل للأجود قريبا والأحكم قايمة ، فكان الأعراب بطلاة ذور الأطباء الوحشية الوحرة يرتاحون لفنانات القصيد ، ويحذون لوزاتها أية لمة فيهاقون على النشد كالقراش ويهاككون

وأرى للعرب صفة واضحة فيهم وأحسبها حمرة الفضائل جميعها والحمد بخافيها ، ألا وهي اللتين . فأنهم ملد كانوا ما يوحا شديدي التمسك بأنهم كفيما كان ، وكانوا يسلون الكواكب وكثيرا من الأكائات الطبيعية يرونها مظاهر للخلق وذلائل على عظمتة فويلنا وإن يك خطا فليس من جميع

وأزنا على العموم بهسه الطغوت ويحمل من الجريبات حجتا تسمر عما لخلقناق الحلية . نعمت ، أنكسب الشئ أنه يخلو منها إنسان ؟ إن أكر الطغوت عددي أن يكسب نيرة أنه نيرة من الطغوت ما بال الشئ لا بد كرون سى الله داود ؟ ألم يرتك داود أقطع خرائم وشيع 'لاثام ؟ ألا ما أمون سر الدروب وأصغر حطر لأعلاط الجوانات والقتشور - إذا كان لبابها كرمها حبر' شربها ، وإن في النوبة الصوح والدم الصادق وروح الصمير ولدع الد كره أكر مكسر السينات ومظهر لأدران لروح من كوران الشوائب ، أيسب النوبة أكرم أعمال البرة فائمة وأنفس أعماله ؟ أما ألام الدم هو كما قلت حسنا ليرة أنه نيرة من كل دم وكل نفس هذا شأنها فهي في نظري مطعمة من الوفاء والبررة ، سعاد عن شتى والرحر - أو هي بيعة أو إن شأ فقل هي نقيبة نقاء الرسل الخاف ألميت وأنى 'حسب أن سورة داود وباريحه كما هو مدون في مر اسيرة لأصدق أنه على ارتقاء بره في معارج للكرامات ، وعلى حرب العقل والورى - حربا طائلا سهرم فيهم عقل هويعة نصممع حاله وتوتره نقي مشعبا على الأفراس ، ولكنها حرب بعور نهاية ، مشوعة أبدا نالكان ، والنوبة واستنهاض النورم الصادق الذي لا يدرج بمحمد بعد كل هويعة يا وويل النفس الإنسانية ؟ ما أسد حضيها من صمما وقوة شهواتها ؟ ليست حياة 'إنسان هي هذه الدنيا مسسلة غيرت ؟ وهل في استطاعة البره خلاف ذلك ؟ وهل تطلى في ظلمات هذه 'نظامه لا الاعتساف والتعيط ؟ فما بهض من غيرة إلا لأخرى وبس هذه وبذلك حسب وغرابت وسهت ورمات . وإنما الأمر نظام هو أيطغر على هواء بعد كل هذه الجاهدات ؟ وإذا انصممع عن كثر من الجريبات ما دام اللباب حقا والمصوم صحيحا ، وما كانت الجريبات وحدها لفرقا حقيقة إنسان .

كانت عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة ، وكانما خلق الله البلاد وأهلها على نظام وثاق فكان لمة شبه قريب بين وهورة جيلها وهورة أخلاقهم ، وبين رجاء منظرها ورجاء طليانهم . وكان يطف من قسوة قلوبهم مراح من

وحوهه ، وفي مصوغات الله ما برحت بوجه ما ومورا به وذلائل عليه كسما
لما قنمت بعض معجزة للشاعر وفصيلة أن يكون ما بالكلمات من أسرار
حسان - حلال - ز « أسرار الجمال للشعري » ، كما اطلع السلس على
سسته ٢ ، وقد كان هؤلاء العرب عدة أنبياء كتبهم أسناد قبيلته ومرشدتها حسنا
نفسه مع سمة زانية ثم ليس لهم من سرهم لتساعفة ت ينس ما في
حكمه سمع وري مسلد وثق تقوى وإخلاص قد كان هؤلاء لسوء التفكير ٣
وعند تعق سقاد أن « سفر أيوب » أحد أجزاء لتورة كتابا لنفسه قد كتب في
بلاد العرب وزعى في هذا الكتاب فصلا عن كل ما كتب عنه أنه من شرف
ما سطر براع ودوت يد كاتب ، ولا يكاد المرء يصدق أنه من آثار العرب لما
فيه من عمومية الأفكار مع شرفها وسورها - عمومية تخالف النقص والتعيز ،
وحسب الكتاب شرفا أن يكون يضرب بعرق في كل نفس ، وتمت حصة في
كل قلب ، ويكون كالبصيرة بعضى إليه مستهى السبل ، وكالأدراج لتصانيع شراعه
جميع الأنوف . والكتاب المذكور هو أول ما جاءنا عن مسألة المسائل - حياة
الإنسان وفعل الله به في هذه الدار . وقد أثنانا بذلك في نصح بيان وأشد
إخلاص وأحسن سهولة . ولاني لأبين فيه العيون الصيرة ونقلب سعد الفهم نعم
عشيق ، فهو الحق من حيث حفته والطر الراسب في قرارة كل شيء وصميم
كل أمر - مادي وزر حاشي ألا تذكرون ما جاء فيه من ذكر القوس « الله
الذي أودع الرعد حجرته » « فهل ترى صهيبه إلا قهقهة لرؤية الرماح ٤ » « هذا
والله أجود الاستعارة ، وما أحسن أن في عالم التشبيه كله ما بمائل ذلك ٥ »
يقاربه ذلك إلى ما في الكتاب المذكور من آيات الطرح الشريف والتواكل
الحسن الجميل وما قرأت فيه قط إلا حسنت قلب الإنسانية بزم شجى
ووجها ، ودمع الإنسانية ببيض حرقه وكعما ما لها من رقة في شدة ورافة هي
قوة وما أشبهها إلا بسحر اللبلة الصالحة - رقة نسيم في حلال مشهد عظيم ،
ولا بالكون وكل ما فيه من أنعم وعمار وليل وبهار وما أحسن أن في جميع
الوردة شيئا يذنيه فصلا وقبلة

والبحر الأسود كان من أنعم معبودات العرب ، ولا يزال للآن بحكة في
الباء تسمى « الكعبة » وقد ذكر المؤرخ الروماني « سيبلاش » الكعبة
قائل : بها كنت في مدته أشرف معابد العالم حرا ، وأقدمها ، وذلك قبل الميلاد
خمسين عاما . وقر المؤرخ « سيمتاردى ساسي » : إن « البحر الأسود وما
كان من وحوم السموات » وذاه صبح ذلك فلا بد أن إنسانا قد بصر به ساقطا من
البحر والبحر موجود الآن إلى جانب البحر زمزم والكعبة مبنية فوقهما ، والبحر
تعمون سطر حيشا كان سار مغرح ، تبخص من البحر الأصم كالطية من
الموت ، فما بالكم بها إذا كانت تفيض .

بذكرية لا ظل في صححانها ولا مساء لكن قورها الدهر عوم
تري الآل فيها يلطم الآل مائحا وبارحها لسموم للوجه العظم
أصل : « كاهنهما وكاسي بوجاهها دون اللثام ملثم
وقد شق لها اسمها رمم من صورت نفجرها وهديره والعرب تزعم أنها
أبحست تحت أقدم حجر وإسماعيل فبصا من الله وصعد ، وقد قدسها العرب
والبحر الأسود وشادوا عليها الكعبة مد الآل من السنين . وما أعجب هذه
الكعبة وأعجب شأنها ، فهي في هذه الآونة قائمة على قواعد عبيها الكسوة
السود التي ترسل كل عام ، والتي يبيع ارتاعها سبعا وعشرين دراعا حوها
دائرة مرذجة من العمد ، وبها صغوف من « مصاييح » وبها نقوش ورخارف
عجيبة . وتوقد تلك المصاييح لتشرق تحت الحوم ، بشرقة مهم أثر المصاييح هي
ونعم ميزات العار هذه كعبة المسلمين ! ومن القصص المشرق إلى أنبريات
العرب ومن دلفي بن مراكش توجه أبصار العبد الجمهر من عبادة الله
المصلح نظره ، وتهنو قلوبهم حوها خمس مرات كل يوم معه لحي والله من
أحسن مراكب العمورة وأشرف أقطانها .

وإنما من شرف البئر زمزم وقسمة البحر الأسود ومن حج القبائل إلى ذبيك
المكان ، كان منشأ مدينة مكة . ولقد كانت هذه المدينة وقتها ما ذات بال وشأن ،
وإن كانت الآن قد فقدت كثيرا من أهميتها وموقعها - من حيث هي مدنة -

سواء حيا ، إذ هي واقعة في بطن من الأرض كثير الرمال وسط هضاب قفرة وديرة تحية على مسافة بعيدة من البحر ، ثم يتنازلها جميع ذنابها من جهات أخرى حتى الحبر ، ولكن الذي اضطرت إلى إيجاد هذه المدينة هو أن كثيرا من محبي دنوا يطيلون المأوى ، ثم إن لها كن الحرج مازالت من قديم الزمان تستدعي التجارة ، فأول يوم يلتقي فيه الجميع تلتقي فيه كذلك التجارة والباعة والبائس متى وجدوا أنفسهم مجمعين لغرض من الأغراض رأوا أنه لا بأس عنهم أن يقيموا كل ما يعرض لهم من المصالح . وبم بكن من احسان ليدن صارت مكة سوق بلاد العرب جميعها ، والمركز لكل ما مر من التجارة بين المدن وبين الشام ومصر بل وبين إيطاليا . وقد بلغ سكانها في حين من الأحيان مائة ألف نسمة بين مائتين ومئتين ومئتين بصانع الشرق والغرب وبعثة للمكورات والعلال . وكانت حكومتها ضريبا من الجمهورية الأرستوقراطية عليها صبغة دينية . ذلك أنهم كانوا ينتخبون لها بطريقة غير مهذبة عشرة رجال من قبيلة عضى مذكور هؤلاء حكام مكة وحرس الكعبة ، وكانت لقبش من عهد محمد ، وأسرة محمد من قبيلة قريش . وكان سائر الأمة مبدعا في أنحاء تلك الرمال قبائل تفصلها بين الواحدة والأخرى اليد والقفار ، وعلى كل قبيلة أمر أو أمراء ورعا كان الأمر راعيا أو ناقل أمتة ، وكانت الحرب لا تحمد بين بعض هذه القبائل وبعضها ، ولم يك يؤلف بينهم حلف على إلا التقاتلهم بالكعبة حيث كان يجمعهم على اختلاف وشتاتهم منعب واحد ، وإلا رابطة الدم واللغة . وعلى هذه الطريقة عاش العرب دهورا طويلا على الذكر غماضي الشأن - أدينا قوى منقلب جليلة وصفدت كثيرة يتطورون من حيث لا يشعرون اليوم الذي يشاد فيه بدكرهم ويظهر في الأفاق صيتهم ، وما ذلك بعيد . وكانما كانت وشتاتهم قد وصلت إلى طور الاضمحلال وأدت بالسقوط ، وقد حدث بينهم نزاعى اختلاط وهران ، وكان قد بلغهم على مدى القرون غوامض أنباء عن أكبر حادثة وقعت على وجه البسيطة - أعني حياة المسيح ووفاته ، وهي التي

حدثت انقلابا هائلا في جميع سكان عدم - فلم تصدم هذه الأنباء تأثيرها من شعوان هي أحشاء الأمة العربية .

وكان بين هؤلاء العرب من سب حصة أن ولد الرجب محمد (عنه السلام) عام ٥٨٠ ميلادية ، وكان من أسرة هذيلة من قبيلة قريش وقد مات أبوه قبل مولده . ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه - وكان لها شهرة بالجليل والفضل والعقل ، فقام عليه جد شيخ كان قد نذر المائة من عمره وكان صالحا باراً . وكان أبوه عبد الله أحب أولاده إليه فبصرته عليه العزيمة فنى محمد صورة عبيد الله فأحب اليتيم الصغير على قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجميل الذي قد فاق سائر الأسرة والقبيلة حسنا وفصلا ، ولما حضرت الشيخ الوفة واللام لم يتجاوز العامين عهد به إلى أبي طالب أكبر أعمامه رئيس الأسرة بعده ، فرباه عنه - وكان رجلا عاقلا كما يشهد بذلك كل دليل .

على أحسن نظام عمرى .

ولما شرب محمد وترعرع صار يصحب عنه في أسفار تجارية وما أشبه ، وفي الثامنة عشرة من عمره نراه فارسا مقاتلا يتبع عنه في الحروب ، غير أن أهم أسفاره رعا كان ذلك الذي حدث من قبل هذا التاريخ يوضح مسير - رحلة إلى مشرف الشام إذ وجد «عنى معه حدث في عام جديد ، و «مسألة أحبيه عظيمة الأهمية حدثا في نظره - أعني الديانة المسيحية . وأتى ليست أفرى ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجيوس «بحير الراهب» الذي يزعم أن أبا طالب ومحمدا سكنا معه في دار ، ولا مانا عساه تعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من نبي راهب ما . فإن محمدا لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرتبة عشرة ولم يكن يعرف إلا لغته ، ولا شك أن كثيرا من أسرار الشام ومشاهده لم يك في نظره إلا عسلا مشوشا من أشياء يكرها ولا يفهمها . ولكن العلام كان له عيان ثابتا ، ولا بد من أن يكون قد اتضح على لوح فؤاده أمور وشعور فأقامت في ثانيا ضميره ولو غير معروفة ، ربما ينصحها له كبر المدة ومر العنى ، وتخلها له يد

ويعلم المنصرون من النصارى والمخلون أن محمدا لم يكن يربط بقيامه إلا
 سيرة شخصية ومفاتيح الجاه والسطان . كلا وأيم الله لقد كان فى مفاد
 ذمت الرجل الكبير أين القفار والموت المتقن المظلم العظمى المفسر الملوء ورحمة
 وحاشا وبراء ، وحكمة وحجى ، وإربة وهى — أتمكار عبر الطمع
 خلاف طلب السلطة والجساه . وكيف وتلك نفس صامتة
 من الدن لا يمكنهم إلا أن يكونوا عاصيين حاديين . فبعضا ترى
 لاصطلاحات الكادية ويسرون طبق اعتبارات باطلية ، إذ ترى
 رضى أن يتنعم بالرف الأكاديب ، ويتوشح بمنع الأناصيل . فقد كان
 نفسه حصصه وتحقق الأمور والكائنات . لقد كان سر الوجود يستطع
 عبيته كما قلت بأهواله وتخلوفه ورواقه ومبهره ، لم يك هالك من الأباطيل م
 يحس ذلك عه ، فكان لسان حد ذلك السر للائل بناجيه « هأنذا » . فمثل
 الإخلاص لا يخلو من معنى إلهى مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا
 صوب خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم فكل الأذان برغبتها مصغية ،
 ولى العلوب وعية ، وكل كلام م عه . ذلك هباء وكل قول جعاء وما رل مد
 لا يوزم انصون — مد أيام وحالاته وأسعاره تحول عطره لاف من الأفاد . ماذا
 وما ذلك أنشئ العديم الهابة الذى أنشئ فيه ولى يسميه « ناس كور ؟
 وما هى خيبة وما هو الموت ؟ وماذا تعتقد ؟ وماذا أفعل ؟ فهل أنتهت عن ذلك
 صهر حتى حرء أو شديريخ صود الطور . أو ذلك القفار والعلوات ؟ كلا ولا فية
 عند الدور وحلاف السس ونشهر ، ولا انصوم الرهرة والأشياء المصرة ، م
 حه لا هذا ولا ذلك وما يحوب عن ذلك لا روح الروح ولا م . نودع لله فيه
 من صوره .

وهذا ما يسمى لكل إنسان أن يسأل عنه نفسه . فقد أحس ذلك الرجل
 أنقى أن هذه كبرى المسائل وأهم الأمور ، وكل شئ عديم الأهمية فى
 جانها . وكان إذا بحث عن الحوب فى فرق اليونان الجليلية أو فى روات
 اليهود الملهمة أو نظام وثبة العرب العاصد لم يجله . وقد ثا . إن أنفسه تختص بس

البطل وزل صغاته وأجرها هى أن ينظر من خلال عه ه إلى الوطن ، فأما
 مدد ولا سمع ولا عسر ولا اصطلاح . بينها حيلة كانت أو
 رديئة . وكان يقول فى نفسه : « هذه الأوثان السى . سوف القوم لا بد من أن
 يكون ورائها وجوها شئ . ما هى إلا رموز له وإنه إليه . والافهى باطل
 ورور وقطع من الحب لا قصو ولا تنفع ، وما هى رجس والأصنام ، ونس
 بوتر فى منه أنان . بوتر صعت . نجوم لا يسهب . بوتر عصف بجحاح من
 عدى . لأفيس من حمر ؟ أى حبر ، فى هذه ولو . م ناس دوه ؟ أى فى
 و دوجه فى و دجه يعهون فى صلاطم . وهو . بل بتر بدى الطبيعة قد
 سضعت عبيته حقيقة اهتسه . فب أن يحسها والأد . حط سعيه وكان من
 الحاسوس . فلنحجها يا محمد أحب لا بد من أن توجد . بوتر . نعيم الكادون
 أنه الصنع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأيا . م بحق ونس الله وسخافة
 وهوس . أى فائدة لشل هذا الرجل فى جميع عورت وفى ناح فصر
 وصوخان كسرى وجميع ما بالأرض من تبحان وصو بية ؟ ونس نصير الملائك
 وسبحا . والنسب جميعها بعد حين من الدهر . فى مشيخة مكة وقصبت
 معصص عطرف ؟ أو فى منك كسرى وتوح وهى . بوتره محبة للسر
 ومطررة ؟ كلا — إذن فلنصير صفحا عن هذه ب . جاترس نقال إلى محمد
 كادب . وبعد مو ففهم عار وسة وسخافة وحجة . مبرا مبرسا عه ونرفع
 وكان من شأن محمد . نصير الساس شهر . مصان يفتضح إلى السحور
 . بوحدة دث لمر و عاذنيه . ونعمب العادة . أنجل وأفع ولا سيما لرجل
 كمحمد . الذى كان خلور . نفسه فياجى صعه صامتا بين الجبال الصلابة ،
 مفتوح صوره لأصوات يكون معصه لمحبه . م . حد تلك عبادة ونعمب .
 صعه كان فى ذرى من عمره وقد فى ع . كس « حراء » قرب
 مكة شهر مصان ليكر فى تلك المسائل تكور ، إلا هو قد حرج إلى حديعة
 داب يوم و داب قد . مستصحب ذلك العام . أوطاة . مكان حوبه ، فقال ه
 به بعدد . م . سحر . موصى الس . سسا . م . لاسر . ونس قد . ر
 (. . .)

١٠٠ مث وروح الخصاء . إن جميع هذه الأصنام محض ونسبت إلا
 ١٠٠ لا إله إلا الله وحده لا شريك له فبهدية الله ، دل ما حلاله
 ١٠٠ حسد وكره ، وما تحس وسائر الحق والكائنات فلا ضل له ، وبس
 ١٠٠ لا من والربوب السرمدي ، الله أكبر والله أعلم به الإسلام وهو
 ١٠٠ دمرته زعمه له وسكن إليه وتوكل عنه ، وأن العزة بل نفوذ هي
 ١٠٠ لا صفة لحكمته والرضا تقسمته أن كانت في هذه الدنيا ، في الآخره ،
 ١٠٠ ومحمد صباه ، لأنه لو كان ثلوث الرؤم فلسفه بوجه مسوده وحس معصية
 ١٠٠ حسه وعسم أنه مخير وإن لا خير إلا هو ولقد قد شاعر ذلك وأعصم
 ١٠٠ حسد له « جاني » إذ كان ذلك هو لإسلام حكمه وإن مستعوب نعمه كل
 ١٠٠ من كذب فاصلا شريف الخش فهو مسموم ، وما قيل إن منتهى عقل وحكمة يس
 ١٠٠ في مجرد الإذعان للضرورة - فإن الضرورة تخضع المرء بوعه نعمه ولا فصل فيما
 ١٠٠ يأتيه الإنسان مكرها - بل في اليقين بأن الضرورة الألية المرة هي خير ما يقع
 ١٠٠ للإنسان وأفضل ما يناله ، وأن الله في ذلك حكمة تظف عن أفهده وبنادق عس
 ١٠٠ لأدهان ، وبه من لأفي والسحق أن يحصل الإنسان من دمه عسل مير
 ١٠٠ بذلك نعمه وأخبره بل عبيد أن يعتقد أن يكون قابو - فاذلا رب عاب عس
 ١٠٠ بدر كه وإن الخير هو أساس الكون والصلاح روح الوجود وينبع باب الحياة
 ١٠٠ نعمه عبيد أن يعرف ذلك ويعقده ويتبعه في سكوت وتقرى
 ١٠٠ ثوب وما ردت هذه خطه التي والمذهب الأشرف ، أظهر ، وما رتل رحمت
 ١٠٠ مصفا وصالح وحرأ وكري وسائر على النهج الأقوم وسالك سبل السعادة ما
 ١٠٠ دام معتصما بحل ، الله مسمحا بقانون الطبيعة ، الأكبر الأمكن ، غير من بانه من
 ١٠٠ السلطانية والطواهر الوقتية وحسابات الربح والخسارة - نعمه هو صافر ، دافع
 ١٠٠ ذلك القانون الكثير المهرري - قطب رحي الكون وعبر الدهر - وليس بصافر
 ١٠٠ إذا فعل غير ذلك . وحقا إن أول وسببه تؤدي إلى اتباع هذا القانون هي الاعتقاد
 ١٠٠ بوجوده ثم بأنه صالح بل لا شيء غيره صاخ ! وهذا يا إخواني هو روح

١٠٠ الإسلام وأرجح هو نص روح الضرورة ، والإسلام لو تفقهون صروب من
 ١٠٠ تكسره ، وإن الإسلام وإن شئت به يفر ما أن توكل على الله قل كل شيء ، وأن
 ١٠٠ يعطه عس عن شهوات وهي القلب على اهوى ، والأبجمح في عتال المني
 ١٠٠ وإن يصبر على بيت وأسي . وإن يعرف أن لا يعرف شيئا ، وأن برص من
 ١٠٠ لله دس ما فيه ويعتد به بعب . وعبه عراء ويقول الحمد لله على كل حال
 ١٠٠ وتوكل به - إن تفصل واختلا ، ويقول « إنا بقسمة الله راضون ولو كان ما
 ١٠٠ قسم - أيوب »

١٠٠ فمن قصص الإسلام تصحه المس في سبل ، الله ، وهذا أشرف ما رتل من
 ١٠٠ سمه ، على أي لأرضه هو نور الله قد سفع في روح ذلك الرجل فأبار
 ١٠٠ صديقه . هو صيد بهر كنف تذك الطلعب التي كانت تؤود بالخسران
 ١٠٠ وهلاك وقد سمه محمد « عس السلام » وحيا و« حبريل » وأيا يستطيع أن
 ١٠٠ يحدث به نعمه ، م بخن في الإنجس أن وحس لله بهسا «هم والإمراك ؟
 ١٠٠ ولا شئت أن همه ونعد من صميم الأمور وجواهر الأشياء لسر من أغمض
 ١٠٠ الأسر لا يكذب مصفون أن يلمسوا ما إلا قنوره وقد قال نوناليس
 ١٠٠ « ليس لإنك هو معجزة حنة الدرة على الله ؟ » فمشهور محمد إن اشتعلت
 ١٠٠ روحه بهس هذه الخففة سبعة بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على
 ١٠٠ الناس عسهم دس لا فر بهيبا ، وكون الله قد نعم عليه بكشفها له وبجاه من
 ١٠٠ هلاك وبصمة ، وكوره قد ضح مصطر بل بصهارها للعالم أجمع - هذا كله هو
 ١٠٠ معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الصداق الخفي والحق المبين .

١٠٠ وحس بهس ، عس حنة خففة صنعت إبه في دهشة وشئت ثم آمنت وقالت
 ١٠٠ « دس بهس » وحسهم أن محمدا شكرها ذلك أصبح ورأى في إيمانها
 ١٠٠ بكلمته بحسبه متدوه من بر كان صدره جملا يعرف كل ما أسدت إليه من
 ١٠٠ قل ، وبه ليس لأروح لمس المرء ولا أتلعج عسهم من أن يجد له شريكا في
 ١٠٠ اعتقاده . ولقد قال بوغالبس : ما رأيت شيئا قط أكد ليقسى ولوثن لا اعتقادي من
 ١٠٠ انصمام إيمان آخر إلى هي رأى . نعم إنه لصحيح عس وعمه وفيرة . وكذلك ما

حتى تلقى ربه حتى إن عائشة - روجه الصعيرة الخيرة
 مسمن تجمع اساقف والفصائل طول حياتها - هذه
 من حصه سائله ذات يوم ألتست الان أفصل من حديجة ؟ لقد
 قد ذهب جمها ونزأ تحسى أكثر مما كنت تحسها
 (و نه نشت أفصل مني ، و جيف وهي التي ألتست بي
 و نه يث لي في هد العام لا صدين واحد - وهذا الصدوق
 من لاد ريد (ن حارة) كدب و على ، وهو لاء الدلالة أول من

بعد ذكر رسالته هذا ولدك فما كان يصادف إلا جمعونا وسخرية ،
 من به في خلال ثلاثة أعوام إلا ثلاثة عشر رجلا وذلك متهم
 التشيع ولكنه المنظر في مثل هذه الحال . وبعد هذه السنين الثلاث
 لا زعم من قرأته ثم قام بينهم خطيبا ، فذكر دعوته وأنه يريد أن
 يحل أماء الكون وأنها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة فأبهم بعد
 ، و يأخذ بناصره ؟ وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة ، وثب على وكان
 من في سادسة عشرة وكر قد عمه سكوت الجماعة فصاح في أحد جهة
 ، بده الطهر ولا يحتمل أن القوم كانوا متباينين عمدا ومعاديه وكلهم
 من به و يهيه طالب عم محمد وأرعى ، وبكى رؤية رجل كهل أمي يهيه
 من في سادسة عشرة نفوسا في روجه الله ، بأجمعه كانت مما يدعو إلى
 معجب المصحك ، فانهض القوم صاحكين ، وبكى الأمر لم يك بالفضحك بل
 كان نهاية في الجدل والخطا أما على فلا يسعنا إلا أن نجبه ونعشفه فأبه وتنى
 ثم بعد ، كبر المس يفتض وحاديه رجحة وبرأ ويتلظى فزاده نحنة وحماسة ،
 و كان أضحج من ليث ولكنها شحاعة ممروجة برقة والطف وأرقة وحسان جدير
 بعد فرسان الصليب في القرون الوسطى . وقد قتل بالكوفة غيلة ، وإنما جنى ذلك
 على عمة بشفة عدله حتى حسب كل إنسان عدلا مثله وقال قتل موته جيمنا

و امر في هذه « : عسى فالأمر من ، إلى ألتست فالأمر لك ، هالان أثر في أن
 قصصه قصصه نصيرة ، و . يعقو ثوب بل القوي »
 و كان في عمه محمد هد ، سادة ولا سب إلى فارس حراس الكعبة وحدة
 الأضام ، وانصه به ميهه رجلا في ثلاثة أبواب وعود وسرى أمر محمد
 بظم ولكنه سوبا على ، و كان عمه مالمع سبي الوقع لدى كل
 سبال حيث جعد قلوب من هد ، ندى يوعه ، نه ألتقى ما جميع ، وندى يعصا
 و برميا باطمي وعددة حسب أوشار عمه أبو ص ب ن يكتم أمره و يطمس به
 و حده ، و ن يحوب به من عمة م يشعهه عن العام وألا يسحط القوم ويشير
 حصهم عليه فحضر بدت حد ، فأجاده محمد « و لله لو وصعوا الشمس في
 نسي والقمر في يسرى على ن ترك هذا الأمر حتى يظهره لله أو تهلك هه ما
 تركه » كلا فإن في هه حقيقة نى جاء بها بشيا من عصر الطبيعة ذاتها لا
 ينضله الشمس ولا غمر ن من مصوغات الصبغة ، ولا بد لذلك حقيقة من أن
 تظهر برعة الشمس والقمر ما قد قد ن أن تظهر ، ويرعم قرين جميعها وبكره
 سائر ، حلاله و لك - ت هه لا من ن تظهر ولا يسعها إلا أن تظهر بذلك
 حجاب محمد ، و يقاب به « غروب عيبه » لقد ألتحق من عمه البر والشعقة
 و فرك و عبورة حد ، و وعده به في يس باهين الله ونكه أمر صعب لرأس مر
 لمدق

و استمر يؤدى رساله ن كير من صعى إليه وستر مدبه بر الحجب صفة
 فاسهم عنه ، و سعمل الأتباع هه وهالك وهو يبقى أثناء كل ذلك متباينة
 ، مائة ومصابة عداوة ومحاجة وشرأ نادا و كاد ، و كانت قرابه جميعه
 ، و عجم عنه ونكه عزم هو و عه على المجره ، ن حسنة موقع خبر دت العزم
 من قرش من موقع وصامت حقهه عنه ، فقصو به الأشرك و سوا الحبال
 ، لسمو ، لاده لقبه محمد ، س س و نادب حدت قد يوهب وتوقى أبو
 و ن ، و عصبه ، محله ن ، محمدا لس ع حة إلى أن برنى به والحاله
 د د ، منه صفت ، م فقه شر ، س س عزمه ومع أن ساله ن ذلك

دن إلى الحسام أليهد والرشيع تقوم وإلى كل سروردة حصدته وساعة جردناه !
وكانك قصي عمد بقية عمود وهي عشر سبوت خيري في حربية وجهاد لم
يسرح عممه من ولا ملو فوف ، وكانت النتيجة ما تعلمون !

بعد قليل كثير في شدة عمد ديه بالمسيح ، فواد جعل اسلح شدك
دسه على قسه من حصة ، وبارو لهم يقولون ما كان لبيح لستمر ! لا
سيف ، ولكن ما هو سكي أو جد سيف هو قوة ذلك لبيح وأنه حق وثرائ
حديث ثوب ما سد ، لحيون في رس رحل واحد فالدي بعقده هو فرد - فرد
صه عام جميع قوم ساد همد عمود سيما وقام في وجه سبب قفصه والله
بصحيح ، وزيك على بغيره من حو بشر همد دية خريفة حه سيما تقصيه الحاه
ولم يروا من حيرة كيت لا تألف من تسخدم سبوت حه ، وحسبكم ما
عمل شاربش بقتل شمسكونه زنا لا أحمل أكران من تخليق بالسيب من
الاساس أن بانه به خوري فسد حقائق بشر سلطانها بالهنا - أو بالصحافة أو
بالبار ، مدعيا تكليف وخادم بديها وأرجلها ، فطاروها ما يبا من تيرم ، لا من
كان يستحق أن يهرم ، وليس في طائفتها قط أن تنفي ما هو خير منها بل ما هو
أحبط وأدنى ، فابها حرب لا حكم فيها إلا بالظلمة ذاتها ، وهم الحكم ما أعدل
وما أقسط ، وما كان أعنف جفرا في الحق وأذهب أعراق في النسيمة فذلك هو
الذي ترونه بعد افراح والرح وخصوصا والظلمة بالما راكيا وحده .

اقول الطبيعة أعدل حكمه ، يلي ما أعدل وما أعقل وما أرحم وما أحلم .
بأنك تأخذ حبوب القمح لتعطيها في بطن الأرض ، وزيك كانت هذه الحبوب
على طلة بقتور تين وقصامة وتزرب وسائر أصناف الأفاعد ولكي لا يفسد عليك من
ذلك ربح الحبوب بجميع ما يحاط بها من القدي في حوف الأرض ، المعادلة البسرة
فابها لا تعطيك إلا قمحا خالصا نفا ، فاما القدي فابها تبلمه في سكون وتحمه
ولا من حرمه نسمه ، ما هي في حرمه الصبح ، كبر بغير كانه مسائلك
الاهب لأورب . . . لا تروه خلوت كشمعا على أوك ، أغست ، ن بها
دعيبا ديب . . .

سنة ١٠٠٠ هـ ، كما لم ير إنسان قط ، فلقد كان يجتبي في الكهوف ويهر
سجود من حد المكان وإلى ذلك لا ساري ولا يحمر ولا ناصر ، تهبدده الختوف
وموعده التفككات وتقفز له لوراعها لمابا ، وكان الأكر يتوقف أحيانا على أدنى
مجرة - كما جعل فرس من أمريس أياح عمد - فلو حدث ذلك لصاح كل
شيء ولكنه أسر عمد - ذلك الأكر العظيم - ما كان ليتهمى على مثل تلك
أحوال .

فلما كان العام الثالث عشر من رسالته وقد وجد أعداءه متاليين عليه جميعا
وكانوا أربعين رجلا كل من قبيلة التمره به ليقبلوه ، والقي انقام مكة مستجيلا
ما جرب بل يثرب حيث لعد به الأصهار ، والبلدة تسمى 'لأن المدينة' أي مدينه
التي وهي من مكة على ٧٠٠ ميل تقويم وسط صخور وقفار ، ومن هذه المجرة
يتعدى التاريخ في المشرق ، والسمية الأولى من المجرة توافق ٦٦٢ ميلادية وهي
السمية الخامسة والخمسون من عمر محمد ، تدور أنه كان قد أصبح إذ ذاك شيئا
كبيرا ، وكان أصحابه يمزنون واحدا بعد واحد ويخلون أمامه مسلكا وعرا وسيللا
قبرا وخطة نكراء موحشة ، فإذا هو لم يجد من فأت نفسه مشغوما وعركا
ويغتر بدمه يتوارع أمل يذنب جنبيه فلهيات أن يجد بارقات الأمل فيما يحدق به
من عو اس 'الخطوب' ، ويحيط به من كائنات 'نحس' واللمسات . وهكذا شأن كل
إنسان في مثل هذه الأحوال ، وكانت بية محمد حتى الآن أن يشرب ديه بالحكمة
والمروعة المحسنة فقط . فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكفوا ارض رسالته
السماوية وعدم الإصغاء إلى صوت ضموه وصيحة له ، حتى أكرأوا أن يسكوه
ولا يتلقوا بالرسالة - عزم ابن الصخره على أن يلقى عن نفسه دماغ ورجل ثم
دفاع عنري ولسان حاله يقول : وأما وقد أبت قريش إلا الحرب فليطروا أي
فتيان هيجاء نحر ! رجفا رأي . بان أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق
وشريعة الصدق ، وأبوا إلا عنادا في ضلالهم يستحيون الحريم ويعتكون الحرمات
ويسلطون ويتهبون ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويأتون كل إثم ومنكر .
وقد جاءهم محمد من طريق الرق والامانة هابيا إلا أعورا وطمانا ، فليجعل الأكر

منه في جمع شئونها فهي حتى لا يهمل وهي عطيمة وعائلة ورحمة حسنة ،
من لا تشترط في الشيء إلا أن يكون صدق اللب - حذر الصميم . فإذا كان
من جملة وحسنه أو كان غير ذلك لم تحمسه ولم تحرسه . فمضى لكل شيء
سب خفيعة وروحاً من الحق ، ليس شأنه حبوب القمح هذه والطبيعة هو
سب شأن كل حقيقة كبرت جأها ، بل هذه الدسا أو تحي ، فما بعد ؟ نسى
حسنة مريح من حق ووصف ، بور في ظلم وتحسنا خفائق في ثوب من
سب لطيفة وطريرات غسة من الكائنات لا يمكن أن تكون تامة صحيحه
... . ثم لا بد من شيء - يؤم بعصر فيه خصها وحظها وجورها فتعرب
حسب . نعم يموت وينهب جسم كل حقيقة ولكن الروح يبقى أبداً ويتخذ
... . صهر ويدنا أشرف ، ومن يران يتقبل من الأثواب والأبدان من حسن إلى
حسن ويجيد إلى أجود سنة عطيمة التي لا تبدل ، نعم إن جوهر الحقيقة الكريم
حتى لا يموت وبوت النقة دمه وأمر يوحد ، الذي يعرض في محكمة نصيحة
... . من قصائنها هو من حد . روح حق وصوت من أعماق الصيغة ؟ ونسب بهم
... . الطبيعة ما سمعه بدء ، حتى لو عدم بقائه وليس هو بالسور النهائي . يسس
أمر نظام عند الصيغة - حيث تقدم إليها أسب تنصير حكمها حيث هو . فيحدث
منه ولا كدرا أم لا ؟ وإنما هو فليك جوهر حق وروح صدق أم لا ؟ ثم بعصرة
... . صيغة ليس بسور . جاء عند الطبيعة هو أفيث قشور أم لا ، من أفيث قشور ؟
... . من بعض الدرس أنه يعني ؟ يعني أقول له « نعم نفى - نفى جد ويكنف فشر -
... . كنك نطل و... » . رزور وزوب سلا رزح ، وعمره اصطلاح وعادة ، وما
... . بسك ويزن سر... . وقبب من وجود سب ولا صفة ، ولوقوع أسك لا نفى
... . لا غير نفى وإنما أسب لا شيء والطبيعة لا تعرفك وإنما ملك براء .
... . نحن سمنا الإسلام صرباً من النصرانية ، ولو بعصرنا إلى ما كان من سرعته إلى
... . غلوب وشدة امتزاجه بالمعوس واختلاطه بالسما في العروق أيضاً أنه كان خيراً
... . من تلك النصرانية التي كانت بذاك في الشمام واليوهان وسائر تلك الأقطار
... . والاندلس - تلك النصرانية التي كانت تصدغ الرأس بصوفاها الكاذبة وتبوك

القلب بطلانها قفراً ميتاً : على أنه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه صغيل جدا
... . وبمصله فقط آمن الناس بها . وحقا إنها كانت صر - كادها من النصرانية
... . ك... . من أصلها ، ولكنها صرب حتى على كل حد . من حياة قلبية وليس
... . مجرد قصايا قفوة مته .
... . ونظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ، ومن وراء مذاهب اليونان
... . ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم - نهر بن القمار والصحابي
... . بقفه بصير حسادق وعية . شوقه الجلية إلى لب الأمل . روصيمه فقال في
... . نفسه : الوثنية باطل ، وهذه الأصنام التي تصقلوبهم بهربت والدهن فيقع عليها
... . مدب نحسب لا تضر ولا تنفع ، وهي منكر وفطيع : كنكر لو تعلمون . إنما
... . حتى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عصفنا ويده حياتكم وموتكم ، وهو
... . أرفأ بهم منكم ، وما أصابكم من شيء فهو خير لكم من كنتم تفقهون .
... . وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه ، فزعمهم النارية للظهر أن
... . يكون حقاً وجديراً أن يصدق به . وإن ما أودع هذا الدرس من القواعد هو الشيء
... . التوحيد . مدى بلا ساد أن يؤمن به ، وهذا الشيء هو رز - جميع لأديان - روح
... . تيس أثوابها غفلة وأثوابها متعددة وهي في الحقيقة شيء واحد ، وباقباع هذه
... . الروح يصير إلى ساد إماما كبيراً ضد المعبد الأكبر « رز » جارياً على قواعد
... . حتى تبعاً نحو لا محذور لا يقدومها ويدافعها . ولم تعرف فقط تعريفا
... . بدوجب نحسب من هذا ، وبصورت كل الصورت في - سبر عسى مهاج الدنيا
... . من علاج في ذلك (بد كان مهاج الدنيا هو طرز . علاج) : وجاء محمد
... . وشبه النصراني تنبيه أسيراق احدل وتحتياط بحجج 1 . المرة . وماداً أفاد ذلك
... . ومرة كثر ؟ ثم أنه الأهم بين صحبه ترتيب التصدي . دقيقة وحسن باحجها ،
... . وإنما هو أن حتى الله وأبناء آدم يجمعون مدك الحقن 1 . يرى لقد جاء الإسلام
... . على تلك المثل الكاذبة والضل الباطلة فاطلها ، وحق . أن سلمها لأه حقيقة
... . حارحة من قلب الطبيعة وما كاد يظهر الإسلام حتى 1 - برقت فيه وثبات العرب

وحدثات الصورية وكل ما لم يكن بحق فيها تحطبت ميت أكانه مآر الإسلام وهب والبار لم تذهب .

ما القرآن فإن مرط بعجاب المسمين به وقومهم بإعجازه هو أكثر دين عسى خلاف الأول في الأمة المحممة هد رب الرحمة تذهب بأكثر جهل الصفة الصفة ولذلك لا أعجب إذا قلت رب الأوربي يجد في قرابة القرآن ما عناه فهو يقرؤه كما قرأ الخرائد لا يرب يقطع في صحتها فقاراً من القول نعل نعل ، ونحس على دعه هضابا وحبالا من الكلام لكى يمشى فى علال ذلك على كلمة معيدة ، أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذوقهم من الملازمة ، ولأنه لا ترجمة ذهبت بحسنه ووريقه فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبريل ما لم يعطه ألقى النصارى لإعجلهم ، وما يرح فى كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع فى شئون الحياة ومستنبا ، والوحي المرن من السماء هدى لناس وسراجا مبرأ يضىء به سبل بعض رعايتهم صراف مستقيا ، ومصرايحكم بقصة ودرس الواجب عسى كمل مسلم حفظه والاستشارة به فى غيبه الحياة . وفى بلاد المسلمين مساجد يبنى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالى ، وكذلك ما يرح هذا الكتاب يرن صوته فى آذان الألوفا من خلق الله ومضى قلوبهم لتسعى عشر قرناً فى كل آن ولحظة ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعون ألف مرة .

إذا خرجت الكلمة من اللسان ثم تتحور الاداء ، وإن خرجت من قلب فدت إلى القلب . والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جليل أن يصل إلى أقدسة سامية وقاريه . وقد زعم « براديه » ومثاله أنه طائفة من الأخاديع والترويق لخص محمد ليكون سنداً به عما كان يرتكب ويقترف ، ودرائع يسرع مصممه وعديه ، ولكنه قد نال أن يرفض جميع هذه الأقوال فابى لأخصب ثل من يرمى محمد كمثل هذه الأكاذيب ، وما كان ذو طر صادق يرى فقه فى « نشر » من ذلك الرى بطل ، والقرآن لم تنصوب به هو ولا حرمات داكساب قادت بها نفس وحل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال فى الخلفوات القضايات ،

وكدت احصر بركم عليه بأسرع من لمح النصر وسراجهم فى صلوه حتى لا تكاد تجد عجزها . وقل ما نطق به فى جانب ما كان يجيش بنفسه المطيعة القوية ، هذا وقد كان تدفع الوقائع وتلفق الخفويات يمنعه عن رؤية القول وتعميق الفكر . وبها لها من خطوط كانت تطيح به وتطير ، فلقد كان فى هذه السنين الثلاث والعشرين من حروا ملاحظات متصدمات ، وعالم كده مروح ومرح وفن ومجن - حروب مع قريش والكفار ، وعخاصات بين أصحابه ، وهياج نفسه وثوراتها - كل ذلك جعله فى نصب دائم وعناء مستمر فلم تذوق نفسه الراحة بعد قيامه بالرسالة قط . وقد أنجيل روح محمد بالحادة المارية وهى تتعلم طول الليل الساهر ، يطعم بها الوجد ويوسس ، وتلور بها دولامات الفكر حتى إذا أسفرت لها بارقة رأى حسبه نوراً هبط عليها من السماء ، وكل عزم منفس به ، يخافه جبريل وزجيه ، أروعهم الأماكون لجهه به مشعور وعمال ؟ كلا ثم كذا ما كان قصه ذلك القلب المحنم المخلص كأنه تصور فكير بغير ويتاحج بكيوب قلب عذال ومشعور . لقد كانت حياته فى نظره حقاً وهذا يكون حقيقة رنة كثيرة

والإخلاص المحض الصراح يظهر لى أنه فصيحة القرآن التى حيثه إلى العرس التوحش ، وهى أولى فضائل الكتاب أب كان وأخرتها ، وهى مشأ مصان غير ه من لا شىء غوها بمكة أن يبعث للكتاب لفضائل أخرى . ومن المعجب أن يرى فى غرب عرقاً من الشعر يجرى فيه من بدايه إلى نهايه ، ثم تتخلله نظرات بالذات - عرمت سى وحكم - حل نقد كان محمد فى شئون الحياة غير بصيرة ، ثم كان قدرة عطية على أن يوقع أذهانها كل ما أبصره دمه ، ما لا أحمل كثير ما جاء فى فقر من الصور والتجديد والتعجيد لأرى أرى ما فى الإيجل شسها ، وكفى نديد لإعجاب بالنظر الذى يبدى بلى أسرار الأمور فيه عظم ما يبدى ويكشف ، وهو ما جده فى القرآن ودمت كما قلب قصص . بلوقه من يشاء .

وكان محمد إذا سئل أن يأتي معجزة قال : حسبكم بالكون معجزة . انظروا هذه الأرض البسيطة من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ؟ هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون في مائة وأتاكم من ورقة . وهبها السحاب المسور في الأفاق لا يبرى من كفن جاء ، وهو مسخر في مسحة . كن سجدة كمارد أسود ، ثم يسبح غائيه ويهضب ليحيى أرضا مواتا ويخرج منها نباتا ونجيلا وأغصانا . أليس ذلك آية ؟ والأغصان خلقها لكم تخول نكباتها وهي فخر لكم ، والسفن - وكثيرا ما يذكر السفن - كالجمال العظيمة سحره تشرب أحشائها وتحتجز في سوء الهم لها حاد من الريح ، وينسا تسير إذا هي وف . وقت بقة وقد قبض الله الريح معجزات وأى معجزات بعدها تزيلون ؟ نسئتم أنتم معجزات ؟ لقد كنتم صعدا وقيل ذلك لم تكونوا أبدا ، ثم لكم جمال وقوة وعقل « ثم وهبكم الرحمة أشرف الصفات » وتهرسون ويأتاكم الشيب وتصمون وتهن عظامكم ، وتموتون فتصبحون غير موجودين « ثم وهبكم الرحمة » لقد أنهشتى جدا هذه الجملة فإن الله رعا كان خلق الناس سلا رحمة صمدا يكون أمرهم ؟ هذه من محمد نظرة نافذة إلى لباب الحقيقة . وكذلك أرى في محمد دلائل شاعرية كثيرة وآيات على أشرف الخامد وأكرم الخصال ، وأتيسر فيه عقلا راجحا عظيميا وعيا بصيرة وفؤادا صادقا ورجلا قويا عبقريا لو شاء لكان شاعرا فحلا ، أو فارسا بطلا ، أو ملكا حليلا ، أو أى صنف من أصناف البطل .

نعم لقد كان العالم في نظره معجزة أى معجزة ، وكان يرى فيه كل ما يرى من أعظم المفكرين حتى أنه الشمال برحمة ، وهو أن هذا الكون المصطب المادى إنما هو فى الحقيقة لا شيء - بقا هو آية على وجود الله مصورة ملموسة ، وهو ظل علقه الله على صدر القصاء لا غير وكان يقول جبال أوتاد الشاحات ستحل وتلويب مثل السحاب وتفسى ، وكان يقول جبال أوتاد الأرض ، وأنها ستفى كذلك يوم القيامة ، وأن لأرض فى ذلك يوم السوم العظم تصدع وتفتت وتذهب فى القضاء هاء مشورا تتعلم . وكان لا يزال واضح

لعييه سلطان الله على كل شيء ، وأتلاء كل مكان بقوة مجهولة ورنق باهر وهول عظيم هو القوة الصادقة ، والجهر والحقيقة ، وهنا ما يسميه علماء العصر لقوى والمادة ولا يبرقه شيئا مقلما ، بل لا يبرونه شيئا واحدا وإنما أشياء تباع بدمهم وتورن ناشقان وتستعص على تسيير السمس الحاربه . عسرعان ما تسب الحسرات وحسرت ما يكمن فى الكائنات من سر الله وما أفضح دندت لسياس حار وكبر هذه حكمة البما وبدا سيب دندت فأى الأمور يستحق الذكر ؟ بدت معصم لغوم نشء من حافية بالية - بقله دابه معصم ، وما أحسب العصور - بولا دندت - بولا حسب يابسا ميتا وليس هو بالشجرة البامية ، ولا بالهامة الكريمة

الماتمة التى لا تترج تمذك بالحسب إثر الحسب فيما تمذك وتعطيك : ولن يجد المرء السبيل إلى العلم حتى يجده أولا إلى العبادة ، أعنى أنه لا علم إلا لمن عبدا ، وإلا فلما العلم إلا شقيقة كاذبة وبقلة كما قدت ديلة . وقد قيل وكتب كثيرا فى شهوانية الدين الإسلامى ، وأرى كل ما قيل وكتب جورا وظلما . فإن الذى أياه محمد لما تحرمه المسيحية لم يكن من تنف ، نفسه وإنما كان جاريا متبعا لدى العرب من قبسم الأزل ، وقد قلل محمد هذه الأشياء جهده وحمل عليها من الملهود ما كان فى إمكانه أن يجعل . والدين اعمدى بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين ، وكيف ومع كل ما تعلمون من الصوم والوضوء والتواعد الصعبة الشديدة .. إقامة الصلاة خمسا فى اليوم ، والحرام من الخمر ، وليس كما يزعمون كان يحاج الإسلام وقبول الناس إياه لسهولة ، لأنه من أفضح الظعن على بنى آده والقدرح فى أمرائهم أن يتهموا بأن الباعث لهم على محاولة البلائل وإتيان الحسنات هو طلب الراحة واللذة التماس الخمر من كل صنف فى الدنيا والآخرة ! كلا فإن أحسن الأدبيين لا يخلو من شيء من عظيمة وجلال ، ولجندى الجاهل يخلف الذى يوجر بحبه وروحه فى الخمر ما آخر حس . مع ذلك « شرف » يخلط به ، هتراه لا يترج يقول لأفنى - دت وشرفى . ولست أنه أحقر الأدبيين هى أن تأكل خلوى ، بل أن أى عملا سريعا فعلا محمود وشب سس أنه رجل فاضل كريم . ليعمل أبكم

المعلم دمره. أن يكون شاعر، يطمح الفصيح، وشكيات المشبه، ونقصه
 فقترح بها القلوب والأكادير قد ساقه الأحوال والأسباب إلى ذلك، والأمير
 لأرى الموهوبين هو أن يكون رجلاً عظيم، وإن فيما قلناه ما يبيون كسبت لا
 مثل قصة عن أمير وقائمة، وقد ذكر قواد لوسر الربح عسر صحت إلى أنهم
 بهت شعروا، ثم لمي كسبت قد تورقن ما يماثل أقوال سامويل جونسون
 حكمة ولاعة، ونفس الكبير، وتعين الصورة هما رأس الفصائل، وما كان
 (مروى قصته) نحن نرى عظم بغيرهم، أو لا بد كبروت، ثم الشعب عرس «تزارك»
 «تو كاشير»، كأننا يقومون بأعمال سياسية فيبحثنا «القيام بذلك؟ أم لا
 نخسبون؟» لشاعر «بارنيز» لو قد جعله الله مكان «موراو» لأنسى ما
 ثم يستعصم؟ ولا يعلم أي عمل من الأعمال كان شاكسبير لا يؤديه على أكمل
 حال لو قد أشتد إليه

نفس كبر، ولكن مروى طبيعة حصة واستعداداً فطرياً، وأن هالك
 مروق في العز، ونكس مروق لأحوال وأصل أكثر وأكثر، وما عصماء الرجال
 في ذلك الأمر، كما صاعدهم، فابت تتناول انطق لمكس نصيره، أي صابع
 فقصه حتى يصح حداد، أو جدر، أو بقاء، ومثي أصبح هد، أو ذاك بقى كمالك
 طول عمره، وإذا كنا لا نزال كما قال «أديسون» نجد الرجل الأعرج الموهون
 يعتمد على عصبه، وهو مع ذلك جمال ينوء تحت ثقله العادح، وآخر ضحكه طلبة
 سابد القوي على بسوى عادى لأروح كانه هيكلي بسى وهو مع ذلك حياط
 (أحمل، لا حيث يحف محموداً على نعمة عسى أن لأمر غير موصف
 على (أسعد، صهي، وديت الرجل العظيم ماد بصير وتم حذرف ٢ - نصير
 عراة سقد، فمستوى أم شاعر؟ بها لمصوره عويصة معصه به و ٢ - الغام
 أوما حبه، لا، بخر، هدم وقوة، ٢ - الغام وقوة صه صحفه مشه ٢ - فمه،
 زوف، ٢ - الغام مشه، وهم، ونحضر في يره ويقصى به في شأ، الرجل نفسه
 إلى بسى شاعر وبين شى في عصرنا حزين فرق كبير، ولقد دار منوهم
 في بعض العاات القديمة وأحدنا، معطلة «فاتيس» معاهها شاعر أو بسى

الحاضرة الثالثة البطل في صورة شاعر (دانتى - شاكسبير)

نصل في صورة به، وسجل في صورة فيهما من ثورات العصور العارة لا
 يعود بهد، برم، هد، ٢ - وهما يدلان على جدء هي، عكر وعصه في
 اللهم يحجوه، عكر تشد، بهوه الصبعية، وعما على سائر، ن يحسهم فرط
 العصب، (أحسب برحمن من رجال حتى خالوه إليها أو، فتصوت إليه، إلا
 إذا كانوا عاشرين في عشر، حركية مس الأوصاع، تعلبه شبيهة، بعد بعد
 انقصي زمن، لأحد، لأبياء، رجد، الرمن الذي ليس فيه البطل صورة أقل عصمة
 وبنه، وإن، ٢ - تفت قد فصلا، وحقت، أعنى صورة الشاعر، وشاعر سوع من
 البطل لا يفره، حشر ذوب، حتر جلد، أن تنتهه، قدوم العصور، وأحدثها

مطل، بسى، سخر، ٢ - عكر ديت من شى، لأسماء، عطيل، ليرجل العظيم في
 شى، الأركان، وذككية، ٢ - ديت حسبما يرى بهم من نعروى، وحسبما برعرو،
 هه من قبول، حسو، ٢ - ٢ - عمو، أو عنى هذه القاعدة، يمكن أن يعطى كثيراً
 من (أسماء، عير، ٢ - ٢ - روى، لأرقى، بأسمى، لا أحسب أن هالك رجلاً عظيماً لا
 يمكنه أن يكون متعبد في كل من، والشاعر الذي لا يستطيع، لأن، حسو، ٢ -
 برعه، وقوفه، فصفه، فصفه، ٢ - مسجل، عني، ٢ - عظم، فصفه، ٢ - ربه، ٢ - لا، ٢ - حسه
 كحد، سفة، ٢ - ٢ - لا، ٢ - كمال، هو نفسه، فرس، روى، ٢ - لا، ٢ - أحسب
 شاعر، لكه، ٢ - لا، ٢ - جميع، في حسه، بس، نسيانى، وشكر، ٢ - لمسرح، ٢ - الحسوف،
 و ٢ - قد، ٢ - عكر، ٢ - يكاد، ٢ - هو بالعدل، ٢ - يا هذه، ٢ - لا، ٢ - فهم، ٢ - لاد، ٢ -
 مسحا، ٢ - عني، ٢ - روى، ٢ - ٢ - ٢ - ساج، ٢ - عس، ٢ - كبر، ٢ - بهج، ٢ - المساج

سمة - مازال بين السبي والشاعر لو يفقه الساس شبه قريب . وما يرحم
 - واحدنا من حيث إن كنههما يمد بصره إلى مسر الكائنات للقلوب .
 - حسيه « حاشي » السري الجلي ، الجلي لكل إنسان ولا يكاد يولد مع ذلك
 - سر الإلهي الكائن في كل كائن - للاستقر في باطن « الطاهر » كما
 - يشي « - السري الذي ما جميع الطاهر من النجوم الزهرية إلى الرياض
 - صفة في طواهر الإنسان وأفعاله ، إلا ثوب له ويلد بردي فيه ويظهر معه
 - فسري يهني في كل زمان ومكان موجود ولا ريب ، وربما حسيه ناس في
 - معتم الأوقات واليهيات إذ يحسب الكون الذي هو « فكر الله الخلق » شيئا
 - عاديا تأفها هامدا كأنما هو شيء حامد تولي صنعه النجار واحد - ولا داعي له
 - ولا كنعان في ذلك الموصوع ، ولكي نقول ويلد ليس لا يفهمون ذلك
 - ولا يؤمنون به ، ويلد بهم وأسف عليهم ، وما يؤس للحياة إذا كانت عتور
 - مشبوعة بدنت^١

ولكني أقول من كان من الناس يسمى ذلك ويفعله ، فإن « الفاتس » أعسى
 الشاعر لو النبي أخذت الفتى القديمة لم ينس ولم يفعله ، ولكنه نقذ إليه بصيرته
 ، وبما أرسله الله ليعمل ذلك ويكشف من سر الله ما غطف .

هذه هي إبداء رسالته إلى الناس أن يجدوا لنا غامض السري - ذلك السري الذي
 هو إليه أقرب وبه أعرف من سائر الخلق ، فإذا نسوه فقد ذكره مسوقا إلى ذكره
 بأقوى دافع من ذات نفسه ، عالشا فيه من حيث لم يرد ولم يسهر فهو يسر بديع
 لغناد القول ولكنه نظاره مستدئ محقق ، فهو لا يستطع . لا ينكر محص
 ومن عاش من الناس وطواهر فهو العائش في صميمه حاشي ، جمع في
 الله حاشي في مشنوب حده ومكاشات ولو عشت العالم طريف الإحساس أو
 نسان شاعره به ، وحك شريك شاعر ليس في بردي سرية خدي

فهما من حيث ذلك واحد
 من الفرق بينهما في وهو أن السبي قد تناول هذا السري القلبي من وجهة
 صر والسر المخطور والساح وتناول الشاعر من وجهه الجمال والحس

والجلال وما شاكل : فأحدهما إلهادي إلى ما فعل . وثانيهما الدال على ما
 بعثني ، عني أنهما بعد متاخلان وفرعان متعاقبان لا يمكن الفصل بينهما وقسم
 حرونها ولا يخفى السبي أنصا من سع جمال أيا كد ، ولا فكيف له أن
 يصور ما يحب علانية ؟ ولقد جاء في التوراة - وهو قول نبي - آية عظيمة
 في تحسب كد ما عظمه سحر وهي « نظر إلى رهس الرياض فأنك لا تراه
 كدح ولا يجر ولا يسبح . ومع ذلك قد كسى من ثياب الهبة وبرود
 عسى ما مكنسه سليمان في رمال ملط »^٢ ليس هذه آية لمره « نصيره
 سافذة إلى أعماق أعماق الجمال ؟ » رهس الرياض « رهس من صور لوب في
 أنفس من مطارف ، الأمر ، ومن من حصل الملوك وهي بعد ثابتة من الثرى
 بمواضع لزرب شخص . كذب عيون الملاح تربو إليه من خلال حبر الجمال
 الباطل . وهل كان للأرض أن تصوغ هذه الأرواح لو لم يكن الجمال جوهرها
 رعا من طهره لجمع شتات^٣ ومن ثم قال « حجب » قولوا ستكرو الكهرون
 وهو : « الجمال أفضل من الخمر ، والجمال يشتم عني الخمر وأكثر » وإنما قصد
 إلى الجمال الحق الذي يفضل الجمال الكادب كعب تفصل حدائق الجنة غابات
 « بولونيا » ، وحسبنا ذلك بيانا للفرق بين الشاعر والسبي .

فقبل في سحر الأعصر القديمة والحديثة من يحسبه السبي كاملين قد بلغوا
 العاية القصوى رعا حجب زينة الله بـ كال صهره نصير في فهو في الواقع
 أحدهم . إذ حقيقة أنه من جميع الشعراء كد . في شعر عرقى بحرى
 في صميمه كل مرئ لا حومه ، وكل إنسان يحس فيه قصيده فهو في ألب
 قرينتها شعر ، وما لفة . لاني يوراع « لولة حجب » « دي » « لا من صفة في
 ذلك سحر زور . في بعد قبل سحرية . ومع ذلك غير ذلك سحرية على
 شقائق قصصه هضمت من حيث حركته يدوية . « لولة السحر » ساكس
 جزمها بحدس . « ولحبه » من بسب ولا ويستطيع - جميع قصة ما من ليل
 الحكمة بلاء متاراه من « دودة وردية متفرد » حبه لله من فهو حلال
 صفة « في ليرة » في حصره دوقه ما في حجب في ثوب عبيد

للناس بدا في مصنف موسيقى ، أي بدا في صوت الماء ، وراثي أرق معنى الضاء
عوضا مديف ، - - - - - من استطاع أن يصف لنا أثر ماء بالميم أو
باللنار ؟ وبعاء صرب من الكلام المسحجل النطق ونسأله معنى ، الذي
يذهب به إلى شوصي ، يتجوز فيرك منظر برهة في ذلك البحر
أجل يا في جميع الكلام حتى في كثرة استعماله من معجم والعاء
رئيس لمة قرية في العالم مهما حققت إلا والأهيا فحة قد حصر بها مطلقهم
و كلالهم - فهذه بهجة هي العمة التي يعنى بها أولئك القوم من نقولهم من
الكلام ! نعم إن البهجة ضرب من التشيد والرمز ، وم من قوة لا وطم طمحة
حصولها بها ورب كبر لا ينصون إلا لنهجت غيرهم ، ثم ذكر أيضا أن كل
كلام صادر عن انتقال فإيه يلبس بطبيعته ثوبا موسيقيا . بل أرى كلام المنصيان
صوتا من بعد ، وهكذا كل لباي وصميم وشيء عمق فهو عد ، بل يظهر لي
أن لعاء هو لباب جوهرى ، وإن كل ما ف بعد ذلك الباب أو لعاء فوما هو
لعماف وقشور وعنده ! بعد لعاء هو أول عناصرها وتم اصر جميع لأشياء ، ولقد
كانت أيودا تقرب في حراتها ب لمت في مسيرته موسيقى . ونزل ذلك كان
ديلا على ما كانوا يشعرون به من تركيب الكائنات الباطني وبصورتها الداحي ،
وإن روح أصوتها وتعبيرتها لم يك إلا عداء وموسيقى . وعنى ذلك فمسمي
الشعر فكر موسيقيا ، وشاعر هو الذى يفكر على هذه الصورة وأساس
ذلك هو في حقيقة قوة بهي . وبه الإخلاص وبعاد البصيرة هما اللذان يتخللان
مرء شاعرا . يصير من صميم الأشياء يكن بطرك موسيق ، فإن وب الطمعة هو
لموسيقى لو تحدث أن بعد إليه
ويظهر لي أن الشاعر - كاشف أسرار الوجود بنغماته - ينزل من نفوس
الناس موهبه محدث جد من موهبه نسي ، إذ يروون منه ناطق . وروحه جمعيرة
عدا من عقل عندهم أولا . بها ثم ساء شاعر ليس في ذلك دبل على اختلاف
الرجل عظيم هي تطار . عنى سوان الرمس ، فإن به أولا لها ، ثم لا وحى
بشعر ، ثم لا رى به بعد ذلك ، لا نظم أسعد خيله ورجلها واما ما وبت

بزه وساترة ، فكل رجل ياق حصه من الموهبة للشعرية خطوط سائر قومه
ي تصع أمره بينهم كالمرة في القوس الطهيم والأبلق وسط الدره
- - - - - سموه شاعرا . وكذلك شأن بعداهم أكثر شعراء العالم فإن من
شعره قد برز في مصدع الشعر حتى بر القراء ، وحق في سماء أحياء
- - - - - استرو ، أجمعوا على جلاله وتسموه شاعرا عاما . عنى أن مثل هذا
- - - - - في الحقيقة لا مسألة ذوق أو عى خاص ، فإن في جميع شعراء
- - - - - حية من معنى من الشعور العام أو شاعريه العامة لم يخل فرد من ذلك
- - - - - ما يسمى الناس معصم شعراء ثم لا تخفى أن لأغصم الأخصم منهم
من شاكسبير وهو معروف : إلا ملائذين من الشبان حظوظهم ، ولا بد من يوم
يصبح أمرهم فيه نسيا منسيا .
رسائل أن يسأل : أى فرق هناك بين الشعر الخمر وبين الخمر من الكلام غير
سعدى ؟ ولأجوبة على ذلك كثيرة ، ولا سيما ما كسه نقاد الألبان في ذلك
صدد وفيها الذى لا يفهم لأول وهمة ، فمن ذلك قولهم : إن الشاعر تكون
ر به عذبة النهاية ، ثم هو بعض هذه الخصبة عنى عدم النهاية عنى كل شيء
- - - - - سند أو بصوره . فهذا الكلام وإن لم يكن محكم ولكنه جليل بالذكرا ، إذ كبر
ب ما ، في موضوع منهم مثل الشعر ، ثم هو لا يخلو من بعض المعنى ، إذ يؤمن
- - - - - فمأن فوى أحد معنى حما في التعريف تقديم شعر وهو به الكلام
- - - - - أن المودع شيئا من الموسيقى حتى هو صروب من العاء . وحقا لو اضطر
لا مان إلى إعطاء تعريف لشعر لم كان متجاوزا حدك التعريف القديم ، فبد
- - - - - أن نضلك موسيقيا لا في اللفظ فقط بل في اللب والمادة وفى جميع الأفكار
- - - - - ما . وصام والسق ، فهو شعر ولا ولا . ومعنى موسيقى هو ما بد حرج
- - - - - . عنى من باب شئى وذلك مكبر . سره ، أعنى العمة الكامة في جوفه
- - - - - في ما يصير في صميم ذلك شئى . من مستقى لاتلاف وثلاثاء - من
- - - - - . لموسيقا التي ليس إلا بفضلهما يوجد ذلك الشئى ، وكنا أهلا لألا يوجد في
- - - - - . والدفا . ولقد يمكننا القول بأن باب كل شئى موسيقى ، أعنى أنه إذا بد

المور كذلك والطهر على صحة ذلك الوجه البليد في رقعة المصور معصدا
 وحيما لا يحصى شيء من الآثام والمنايا ، إلا ما يعرف عليه من روح الوحشة
 - أرى كل ذلك عنوانا على تاريخ دائي ا وظني أنه أنشجى وجه صور من عالم
 الحقيقة - وجه يحزن مقتت لنفود أساس معاني الرقة والزخمة والحنان ، لا كما
 يكون في الرجل بل كما تكون في الطفل . ولكن قد غالط هذه المعاني الرقيقة
 معاني نفسي وأمر ، معاني وحشة وسخط وألم في تجلد وتعزير وبأس في رفعة
 وكبرياء . روح رقيقة هواء قد نسبت آية لباس والقسوة والاستبداد والعبوس
 والاذهول ، كما تنظر إليه من وراء سحف من النلح ا وقد قلصت شعفاته
 احتقارا واذهواء ، لا كازدهاء الإنس بل كازدهاء الآلهة للشيء الذي يذيب حشاه
 ويأكل فؤاده ، كان ذلك الشيء هو أخقر ما يكون وأدنى ، وكان صاحب
 الوجه هو أشرف من ذلك الشيء ، وإن كان يتحرق منه من البلاء ويسام به سوء
 العذاب . إنما هو وجه رجل منبذ للندبا ماصب لها معارض لأحكامها ، قد
 صيب عليها غارة شعواء ، وأقام لها من الحرب سوقا بضاعتها أبدا نافعة ، ورعى
 ما تروح المعسر دائرة . وهمل هي إلا محبة تحولت حنقا لا يستر ولا يستريح ،
 متنهلا مطردا ساكنا كحقي إليه ! ثم ترى للمعين نظرة الدهاش واستفهام كأنها
 تسأل لماذا خلق الله للندبا خلق هذه الصمة ! هذا هو دائي ، هذا هو صورت
 عشرة قرون عروس ، هذا هو الرجل الذي صدح لنا صوتا عن الجحيم والجنة ا
 وأرى هناك مطابقة بين ما يعرفه عن حياة دائي وبين صورته وكتابه . ولد
 هذا الشاعر غربية فلورنس من أعمال إيطاليا في عام ١٢٦٥ ، وعلم وتقى عسى
 أن ينظم كتاب ذاك . وكان فيما تلقاه كثير من الفقه والمطق والأدب
 بلايني ، وله قدم واسعة في بعض أبواب العلم . ولم يدع دائي فيما نطق شيئا
 يعم حتى حصله ، وكان دافهم صفي مذهب وذكاء مشتمل وعقل راجح .
 وكان قد أنقى من للعلم ما جاء في الأرمات للقرية من عصره ، فلما ما بعد عنه
 في أقاصي العادو فلم يجد إليه سبيلا لخلو عصره من المطبوعات ومن أسباب
 التواصل . وسلك في حياته المذهب المعتادة فصحب جيش بلاده في حروب

ودهب مرة سفر إلى بعض ولايات ، وأصبح يفصل دكاته وجده أحد القصاة
 لأكار وهو في الخامسة من عمره . وكان قد عرف في طفولته صبية
 حساء في مثل سنه ومنزله ، وكان يراها أحيانا وكانت تمتد بينهما صلات على
 بعد . وككنكم يفرغ ما كان من أمره معها . وما كان من الشهاب والفرقة ،
 ومن اقترانها برجل غيره وفاتها بعد ذلك بقليل ، وهي تشعل حنونا عظيما من
 كتاب دسي ومن حبه نصا . ويظهر لي أنه لم يحب قط غيرها إنسانا وكان حيا
 من صميمه لأحشاء - فؤاده ما يروح بأحبيها - والفقر ما بينه وبينها - ويترزع
 إليها وهي مع الله مات . وزوج من امرأة أخرى ولكنه لم يسعد . وشتان ما
 به من سعادته !

وبت من جعوس في آسعين لما أصابه ، فإنه لولا تلك المصائب لما كان
 دسي لأحد قصاة -ه- ، ونحسر العالم كلمات من أبرع ما أنشد وما تنق به
 نعم لقد كان يزيد قصاة « فلورنس » واحدا ، ولكن العشرة القرون الحرس
 كانت تستمر على حرسها ، والعشرة القرون النابية المصعية (لأنه سيم ضعا بعد
 تاريخ وفاة دسي عشرة قروب وأكثر) تحرم تلك القصيدة الرائعة - كتاب دائي
 - ونحسر ندبه مسموع . معه لا أنسف ولا حرق ولا حشرة . وكيف ربما
 أراد الله بيت الشعر حاة أشرف وأسمى . ولعلنا لا نعرف أيهما الأبعد الأهدأ
 - عمنه مرة لأية ؟ لم يعيش هادي عادي ؟ والسعادة والشقاء سر من الأسرار
 يحيى به البشر . وكيف به حصد عشواء وحطبل بين

وسم - شي عانس في وطه فلم يوططة القصاة ، بد ثارت هنة أدت إلى
 فيه وسائر حربه . فكب عليه مد ذاك الشقاء والويل ، وترعت ملاكة . أصبح
 وهو

باء عن الأهل صغر لكف معصدا . ككسيف عسرى مساه عن الجليل
 وكان بشهر وهي حشاه حمرة تنرفد ، بأن ما لقيه من أمعش الطلم وأنصح
 حور . وحال جهده أن يرجع إلى وطه ونزونه ، ولم يدع وسيلة إلا اتجهدها
 حتى للسلاح ، ولكن عينا حاول ، وما رده اجتهدته إلا عطبا على عطب وحنة

موق حمة فأعسر دمه ، وبودى متى قبض عليه أعدم إحراقاً . هكنا وجد فى مصر الآثار - وألقى أيضا رسالة تاريخها وقع بعد هذه الحوادث بعدة سنين ، ودأبى دائى على اقتراح قلمه إليه قضية بلده يعترفه بالعفو والعودة إلى منصبه وأملاكه ، فإنما هو قبل أن يقدم معدرة وعرامة . فأجاب فى عره وكبرياء « إذا أنا لم أرجع بوىء الساحة موفور الكرامة ، فلا رجعت أبدا » .

وكذلك راح دائى فى هذه الأرض الرحبة الفضاء بلا دار يتقل من مضيق إلى مضيق ، ومن محل إلى محل ، منطبقا عليه قوله : أه ما أوعر المسلك وما أحسن الطريق ! » ولم يكن دائى بالجلس المتع ، وأنى يكون كذلك من صل وهو كسر القلب كسيف البال ؟ كلا ولا كان دائى صاحب الطمع ، معاد والمزاد الحساد والأحزان والأشجان بجدير أن يلهمى العير بمكائنه ربحهم بنادرتهم ، وقد روى عنه « برك » أنه لما كان فى بلاط الأسر « كسانديلا سكاللا » وقد لامه فذلك الأمر على إطرافه واكتابه وصمته ، أجابه بجمواب خشن . وكان الأمر إذاك وسط محانه ومزاجه مضحكونه بفراقه النوادر ، فأقبل على دائى يقول له . « أليس عجيبا أن ترى ذلك الماسح المسكين يجتهد ليحصل فى مفاته متاعا ولذة ، وأنت عسى ما بك من عقل وحكمة تفكرى اليوم مالىوم والشهر فاشهر مطرقا صانعا لا تقوه بكلمة يكون لما فيها مستمتع ومستند ؟ » فقال دائى : « لا أعجب . لو لا تذكر للخل : إن الطيور على أشكالكما تقع ؟ فمثل هذا الرجل الكبير صاحب الأخوة للمسكنات والكلمات الموجهات والصمت والإطراف ، لم يك تحم زروح بصاعتهم بأقية الملوك وكذلك ما رالت الأيام بدسى حتى فهمته أنه أصبح ولا ماوى له على طهر الأرض ولا ملاد ولا ملحا ولا أمل ، وأن الدنيا قد نبذته ولنطقه ليضرب فى أفتانها شريدا .

كانما هسو فى حبل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يلزعه
وإنه ليس تحت نجوم الفلك قلب ينص ورحمة له ، أو حشا يخفق وحدا
عليه ، وإنه لا خل ولا صاحب ولا سلوة ولا عزاء

وكذلك كلما صلت عنه الدنيا وتجمعت حنن بالطبع إلى الآخرة ، وتوجه وابتدأ خياله بصورة العالم الأبدى - فذلك العالم الحق الذى ليست هذه الدنيا وبلدائها ومناصبها ومصافها إلا ظلا كاذبا يرفرف عليه . وتاجه منه . أما وضك « فلورنس » فلسفت فاطرا آخر الأبد ، وأما الجميم والجنة فسوف ترى ا وماذا وطلك والأمرء ومادا العالم والحياة ؟ تلك لا شىء ! وكذلك إذ أصبح دائى فى الدنيا بلا ماوى حمل مأواه فى عالم الآخرة الرابع المائل . وكذلك أصبح لا يرى حقيقة عير الآخرة ، فصارت مسرح حواطره ومراح أفكاره . والآخرة سواء حسنها الناس شيئا معنويا أو شيئا حسنيا فإنها ما بوجت أهم أمورهم ، ولكن دائى كان يعتقد أنها حسية تنظر بالعين وتوطأ بالقدم وتمس باليد ، وكذلك كانت عقيدة تلك العصور . فلم يشك دائى فى أنه سيصير صفات الجميم وينظر بها بركة « مالىورج » كما يشك أحدكم فى أنه يصير القسطنطينة لو أصبح على شاطئ البوسفور . فلم أنعم فؤاده دائى من هذه الأفكار والخواطر ، وطال عليه تأملها فى سكوت ، وتديرها فى صمت ، طمخ بها إباء مسلوته وفاض فيروز للعالم فى ذلك الشعر الباهر والقضاء الساحر .. كتابه المسمى « القصة للقدسة » أشرف الكتب الحديثة وأشهرها .

ولقد كان من أقوى أسباب العزاء لدائى ، بل من أعظم حوائج المعسر أنه استطاع أن يخرج ذلك الكتاب الأجل فى سماء وحننه ، وأنه لم يك فى طائفة « فلورنس » ولا فى فترة أى رجل أو رحل أن يحولوا يسه وبين إتيان تلك المائة الكبرى والمفخرة العظمية أو يعبوه عليها . وكان يشعر بعض الشعور أنه عمل جليل كاجل ما يستطيه امرؤ ، وكان ذلك البطل الصخم يقول فى شدة بأسائه وأرمة نكراته إذا أمضيت عزمك طمرت - كل من صار على الحرب وصل - وكانت مودة المكابة كبيرة عليه جدا ، وكان نصفيها شاقا حتى قال : « هذا الكتاب الذى تركسى عدة أعوام فى هزال » . أجل لقد أحرز دسى قصبات السبق بالكد والألم لا بالدعة والعصث . بل بالجد العائقمى والجهد الناصب . كيف لا ؟ وإنما بدم فؤاده سطر ذلك الكتاب وخطه . وكذلك معظم

سراه : لا نظير

لى بى لأحسن

ولعل ثرية أفعه

رى عسى ميرال

ر حروجه من

عقها وحزرتها

فى كل شىء

وهذا نصا من

فى والجنة فى

غامة بادحه عسى

بقه دائى وملا

شى ؟ وهى شد

لقد حرجت من

كل معس

ه هو الرحن

فى حنن الجرن

كون مصاهره لا

والقصبة العلب

السوداء النسب

ف مقصدة القوس

فيلك بالسنث

الإقطعة من صميم عقل الرجل ، وفيه يتجلى لنا ذلك الطبع الطائفي الخاد السريع الدوى الصامت الشديد القوى ، وحركاته الرشيدة المنقصة ونوراته الساكنة العظيمة .

لأن التصوير وإن لم يكن من القوى الظاهرية المصححة ، ولكنه صراح كساتر يقوى من جوهر النفس وعنوان على الرجل جميعه ، أوجد رجلا يحسن الوصف تجد رجلا فصلا ديبه ، فيه ما كان يتبس حقيقة الشيء . ثم يكس

في فؤاده حب يبعثه على ذلك شيء ، فيكون سبيل العمل فيه وزعمه لصبر لوم يكس د . حمد وإخلاص . ورجل العاديين انفصل لا يستطيع أن يحصف لك شيئ فربه يصعبه ويلزمه لا يحكمه أن يتعدى الظواهر ، ولا يقف إلا عند الأكاديب والأبطال . أو لا يمكنه القول بأن أية الدهش هو قدرته على إسسية حقائق

أشياء سببها بالامتزاج بها الشيء عن محبتها والاحساس بحود . وكذلك الطبيعة لا تكتفى أسرارها إلا لتولع بها الذي كله إخلاص ها وصابة إليها وقديما كان الحب أول ملاد إلى عجايب الحقائق . الخب الصادق الصبحى الراكز على أساس العقل والحكمة لا الكادب التمل الطائر بأجحة الخديعة والطيح .

لأن الحب الصادق يستدعى رقة الشعور وسندده ، والشعور الرقيق المسند هو مقنة النفس المستحيلة للفراسخ المستبظنة لدخائل . ولئن قرى نرجل البليد الإحساس الكليل إلا محتويا عن أسرار الأمور لا يلبس منها سبون تشنور . وهذا هو الواقع حتى فى المسائل العملية ، فالرجل الذكى الأريب هو ما أبصر من الأمر المراد إتياه النقطة الجوهرية ، فأمسك بها وصمغ عن كل ما عدها .

وليس الوصوح والاختصار والصدق والحلاء الناصع الذى كانه وهج الحريق فى الليل البهيم ، هو كل ما يمتاز به وصف دائى وتصويره ، بل تره أيضا شريفا جيليا كيما قته ومن أى ناحية أئته ، لمرة روح شريفة جليلة . صرورا إلى ما ورد بالقصة من حديث العادة « فرانسسكا » وعاشقها - ذلك الحديث المذيب العواد لفتت الأكاد تجلوه كانه منسوخ من ألوان قروح عسى رقة من السواد الأبدى ، أو كانه صوت ناي حم الواح مسح الأبين يناجى حبات الطلوب

حتى أن شعر دائى قد سلك فى قشور روحه ، وبودقة قلله . أم سرده « عده سين ؟ وإن ادقة ليعور قصه جمعها ثم عادر منها فبره ولا حمد هـ سلك أصدق ما يكون وأجلى وأصعب ، وبراما محتارة الأقسام بر مـ خزانها فى موقعه كأنه حجر المرمر أعم تحته وأجيد صعبه حـ دائى تنصن روح القرون الوسطى قد بوزت لليون من أيدع قرب عـ سحب . وثا لله ما هو بالعمل السهل وإنما أمر عظيم وخطب حمل نـ مؤفقد وعمل أكمل .

والبحر حدة هى ثمرات داسى ، فما هو بالرجل الواسع الصدر سمح العرس وانكه سس نظم محارب . وبعض هد راجع إلى طبيعة العصر . وبعضه إلى طسعه حـ هنرى أن ملكاب داسى وقواه الذهبية قد غمعت وتكتفت حتى أن حدة بارية ، وشعور عميقا فهو يعد فى جسم كل شيء حتى يرسب من ر ويست والله أعرف فى الوجود شيئا له مثل هذه الحلة . نظروا إلى برة الأشياء زوا أن له أقوى قوة بصرية ، فإذا نظر إلى الشيء عرف فادها وحده ، وتذكروا صفته لندعة « ديت » بالحجبه . فإن « دره د » حديدة حمدة حمرة التوفد عمومية ، تنويع فى صمة كيما طحاء سيع هذا الوصف وما أنه وما أوصفه لأول وحدة ، ثم لا وهذا حل فإلى فى دائى لأخصر إيجاز والتضارب فى دقة وإحكام ، وأنه ليقدر بالاحساس عصب بها كد . الحقيقة وكأنها طمة للفارس الكسى رة هذه فصح والله من القول

وال شح بكفى إشراسه . ويس بهدمر طولت حظه ما سبانه وما أدقها وما أحكمها ، حتى لحد إلى نه ختر فى لشي من بار ، ويقول عن المرد المتفخ حينما لمعوى لرجل فرحل : « إنه كالشرا عمله عموده بعنة فهوى » ويذكر أحد لمعدين يقول : « بوجه مشوى » ما ذكره من (شح النارى) التساقط على العلبى (تلح نوى بلا لى . مصممة دلت لاسى ولا شتى) ولا أحسب هذا صو

.. رفه الشكوى ودلة الوفى ورنه الثكى . وأشجى ما فيه أن الحيس
 .. الجحيم معا ، فحينما ذك الاجتماع ملوة فى الشقاء وعراء فى
 .. قد كان الشاعر صديق والد « فرانسكا » هذه ، ورعا جلست تلك
 .. سي ركة دى صيبة بريشة من كل عيب حساء سمحاء ، ولكنها إذا
 .. فى حياتها أبى دنى إلا عدل الجراء فجعلها فى جحيمه بحيث تعلمون .
 .. كنه شمع العقوبة بما ترون من نعمة الوصل ومنه الاجتماع بحبيها . يا لها رحمة
 .. فى قسوة ، وعمو فى شدة ، وتلك شيمة الطبيعة وما قصر عن إدراكها دانتى .
 .. قبل رأى القائلين بأن كتاب دانتى لم يكن إلا هجاء فاحشا أراد أن يسيء به
 .. من أعياء مؤخذتهم والانتقام منهم . وأحسب لو أن رجلا حمل فى قلبه
 .. حزن الأم المزموم ورأيتها هناك هو دانتى . ولكن من لم يعرف القسوة لم يعرف
 .. الرحمة أيضا ، والذى تحاله منه رحمة هو فى الحقيقة حين أو تصنع للرحمة قصد
 .. الافتخار . وما أعرف فى العالم رجلا أرحم من دانتى ولا أكثر حبا ، وإن بين
 .. حبيبه لحشا حقا ، ووجدنا وإشفاقا ، وفؤادا ملتاعا ، وولها وفزاعا ، كحيتين
 .. النايات والعيذان ليد ليا ، أو كمهجة الطفل . وبشوب كل ذلك مراوة الحق
 .. ووعورة البأس والعباد ! سخط على عمى الخط وعثرة الجور والقضاء ولوم
 .. الرمن ، وصبة وحين إلى حبيته « ياتريس » ولقاءهما فى الجنة ، وبطره فى
 .. عبيها السحلاوين تشرفان بشعاع النور المقدس - وقربه منها .. من الغداة التى
 .. طهرتها حياض المردوس وصعاء الأبدية . كل هذا شبيه عدى بأعاني الملائكة .
 .. ولعله أصعب ما نطق به امرؤ فى هذه الحياة الدنيا من آيات الحب الطاهر .
 .. وأرى هذا الرجل اتحاد حادا فى كل شيء ، فلقد نفذ بحدته إلى كل جوهر
 .. ولب . وما عمق بطره فى التصوير وعمق بطره فى البرهان والدليل إلا ما يتصور
 .. جميع إمكاناته من الخلة . وهو فوق كل ذلك كبيرا من حيث الصلاح والنقى
 .. وذاك أساسه وعصره . فاحتقاره للدينونة عظيم ، وأسمه على أولى البؤس والبلاء
 .. عظيم كمظمة حبه ووده . وهل الأسف والاحتقار إلا حب قلب تحول عن جهنه
 .. وأحيل عن طبيعه . ويقول فى كتابه عن الحياة المجرمين حين يمر بهم فى الجحيم

.. « لنا متكلمين عنهم وحسبا نظرة إليهم ثم نصرب صفحا » . ياله احتقار
 .. فى ترفع ونفرة فى سكوت وأتعة فى صمت وإعراض ثم قوله يذكر فئة من
 .. للعدين : « لقد اغتطع أملهم حتى من الموت » ليخيل إلى أن دنتى يعرض بنفسه
 .. فى هذه الجملة ، فقد أتى عليه حين من الدهر كان قد فقس من الراحة حتى
 .. رحة الموت . وبعد جاذبه بعد دنتى يوم برق فيه لقواده للكلوم شعاع أمل أنه
 .. سقى بعد كل دنتى الجهد ومصاب والكمد راحة العير ، وأن نقضاء نفسه
 .. لا يحكمه أن يجرمه « هذه النعمة » . مثل هذه الكمات كدت فى دنتى الرجل ،
 .. وزراه فى بعده وشدة واحد وعمق مقطوع القرب معدوم الصبر إلا فى أسياء
 .. بنى إسرائيل . فإذ أردت مثل كلامه فانظر فى التوراة العبرانية .

ولا وافق قوب بفصلون الجحيم فى قصة دانتى على قسميها الاخرين ،
 .. ومرجع هذا تفصيل هو فى صى « بيروية »^(١) فى اندوق ولشرب ولعل
 .. لنفسه الثانى « مكاب الصهير » برع من جحيم وأسمى أنجر ما أشرف ذلك
 .. احسن - جيل صغير - فهو رمز لأشرف أفكار هذا العصر رمز لبراءة الإنسان
 .. بدوبة . وقد كانت الدروب من وحامة العاقبة كك تعلمون ، والجحيم من
 .. معداب والأء كك تعهدون . نس حدير أن يكون فى البرية مسحة للمدسب
 .. وبراءة ؟ والتوبة جل أعمال صبرية ثم ما أبدع ما وصفت دنتى وأبرع ، إذ
 .. قال : به بعد خروج من جحيم أبصر على مدى العين برق موه تفرق ، ولمع
 .. مواج تهرت وخفى فى برق صاح ولمع الصبح فهذه صورة تدل على تحسن
 .. الحال ، وهذا ولا شك فجر لأمل والرجاء قد لاح ، والأمل حتى لا يموت وتشد
 .. ما يكون فى الآخرة ، كالشهاب أسطع ما يكون فى فحمة الديجور .

كالكوكب الذى أعلن ضوئه . حلك الدجى حتى تألق وانجلى
 .. وهذا حين يقوم فى سمحه ويصعد فى أوعاره المديون التائبون وقمة الجبل
 .. فى حين دوج باب الجنة . وماتى أنفاس هؤلاء التائبين المستعمرين تتصاعد إلى

(١) سمه بى برد - براد صريقة بيرون وهى كراهة العالم .

سهو وانعشت كذا والله يد هي أشرف وعاء ضرس روح الصبرية وهي تمثل
 بأجسامهم رموز سمس ما خصة - سي من أن الخير والشر هما قطبا هذا الوجود
 الدال عنيهما من كل شيء، وإن الخلاف بينهما ليس هو أن الخير أفضل من
 الشر مذهب مدين الذين يجمعون في كل أمر إلى الحساب والوزن.
 والمنكسب، والحدارة، بل إن الخير هو الصالح للقط والفرض والواجب، وأن
 الشر هو حش خرم بزياته ثمريما كليا لا مقارنة بينهما ولا قياس ولا تفضيل،
 فأحدهما الآخر حياة مشورت، كالحلقة للدار هه ما شعر دانتى إلا رمز
 لذلك، ورمز معدن الصبرية والبرية واسم بصبرية تأكمها كما كادت في
 سلك تقرب ومسر ويكتب في نظر دنتى ونظر تذك لأحد، عين الحقيقة التي
 لا ريب فيها ولا شك ولا ربح، التي يعتقد لها الناس من صميم أنفسهم وتقد
 قفا من قبل سس ما كثر فقط مؤسس دائره، والشعره، لأفصيص المنظومة
 ولا حسب نخل عصرا هه يحسون قصة دنتى مجرد قصة قصدها (انغام
 تمس تسير، إليه ويمر د عبث وصعقة، فإذا رأى ذلك أهل النصور الآية هه ما
 يحفظون. وقد فسا عن الوثنية، بما أنبىا خلق ما كان تمييز في صابر التوحش
 من وقع مشاهد ككون وثائق روحه - بال كان في وقته حلق صادقا، وسس
 بخير الان من نفس وقيمة سا ولكن تطورا الفرق بين نوبية والصبرية - عرفا
 كبير، تكبر نوبية إلا تمسلا تطواهر الكون وأهدر الصبرية، وحياة الإنسان
 وصالح الأشد، وتمتداتها. وتعرفات شتوهم واختلاصهم في هذه الدنيا وأب
 صبرية نفس فنبون رجب لإنسانى - قدبول لأحلام والأدب حكمت
 أحدهما مصم، لحسه را، عاجز، سدجا لأفكار الإسسا، الآية، بد كان لهم
 القصائل هي سبحانه لا تغلا، عني انوف وم تك، أخرى نعلم احصى
 بل للعالم الأخلاقي، فإن لم يكن من الفرق سوى ذلك فأتى فصل بين والرقاء
 عظيم

وحد، وحدث البرون العسر الصمته التي سقت عسر دانتى صوبها في
 ذلك الشاعر كبير ولسانها، و«القصة المقدمة» من براغ دانتى ولكنها في

مرس نه ويبرون دانتى حين يوربه : استعمر لنا ربك. ولا يأكلون في ذلك
 من سمونا لأرعد، ومشقة وعناء، وقد أدنى الكلال عظامهم وأنفسي الكد
 نهج وتسوا وثقا في ذلك الصعود ولما بلغوا القمة. ولكنهم مواظبون
 و...ون حتى يلعوها وعنداها باب المردوس، وبرحة من رهم وعصران
 س. حونها عالدن. وكلما بلغ القمة واحد عم المرح الجمع، وترنح الجبل
 طريا ووجف سرورا وهفت الملاكة بنشيد مقدس أفهنا في نظرى تصوير
 لغنى شريف.

ولكن أركان القصة الثلاثة متوازنة متوازنة ولا غنى لواحدة عن الآخرين
 وأرى «المردوس» أحد أركانها موسيقيا صامتا وغناء ساكنا، وهى الكرة
 السينة الخجيم، وانخجيم لولاه صرب من الباطن، ومن الدلالة بنائب عالم
 الآخر كما كانت تجتله بصراية القرون الوسطى، وهو شيء تحليل حمر الخوهر
 طرب لدهر ولعله يتشمل في نفس بسان كما تمثل في نفس دنتى، بد
 سطعت حقيقة في صميره وفشت صورته على بروج خاطره كنوحى في سحر
 وم دنتى إلا نرى الله ليبس هذه الحقيقة لسان ويقشها على جهة الدهر
 وما أعرب والله سهولة التقاء وسرعة تحمسه في مبدأ القصة من ذكر الحقائق
 العادية إلى العالم الخفى، حتى يحدث بعد سبعة أبياب أو ثمانية وسط عالم
 الأرواح وسير فيه كنما سسر بين أشياء ملموسة لا ريب فيها، وكذلك كانت
 في نظر دانتى، وما كنت الحياة الدنيا عنده إلا سبيلا إلى حياة أخرى حمر وأنتى
 ولم تكن الدنيا في نظر دانتى بأقل عزابة من الآخرة، ولا آخرة بأقل حفا من
 الدنيا وإذا كانت الآخرة عمده هى عدم أرواح فالديب كذاك فى نظره عام
 أرواح أو ليس فى كى مرنى روح ؟ نعم فقد كان دنتى به حليبا، وقد
 كان يعتقد وينظره، فهو من أجل ذلك شاعره، والإخلاص كما قلت أكبر
 صفات الشاعر.

وحجيم دانتى وحته ومطهرهما إنما هما فى الحقيقة رمز وتمثيل لمقلته فى
 الكون. ولعل نائلا يقوم بقول لنا ما قصة دانتى إلا العويرة شعيرة وضرب من

البناء لما في النور من حذور كل خير ومكرمة ، يعطيها بطريقة لا يهتدى إلى ماسها وزنها علماء الاقتصاد بمقاييسهم وموازينهم ! وهل تقدر عائلة للشمس ، تدار ما تسقط عنا من نفقات الشمع والبخور ؟ والخلاصة إن دانتى أجل من أن يمدد قبحه .

وعلى العموم فما كانت الرجال وأعمالهم لتفلس عما سبه زائريهم من الدنيا ، وإنه نغن أنه تأثيرهم — تأثير ؟ فائدة ؟ نتيجة ؟ عبث كل هذا وباطل ، مع كل امرئ صعد مما نثرته إلا بحسب غنايه وغوره ومبشر نثرته . وليس آخر جت أعماله ترفل في حلة للسك والدولة وترن من ضجيج الحروب ي لوقائع عما يملأ صلور الجرائد والتواريخ التي هي جرائد مصفاة ، أم من عارية من كل هذه — خفية صامتة — ندم ماذا بهم ذلك ؟ ليست هذه هي لشجرة الحقيقة . وما قيمة المسك أو الخليفة إلا ما أحسن ، وإذا أعمال للملك أو الخليفة لم تعد على الناس بالخير والمنة فإنها كالحباء ، وما الملك إلا أكلوبة وباطل وحرض هنالك وسقط متاح مهما أفضلت أجماله من الضجة والجلبة ، ومهما قل من مغارب السيوف وأدار من أذباح ومبها قيص من الأجال والأمور ، ومذ من أنه الرجل وأحوال من في الحقيقة لم يكن . ألا فتذكروا معنى دولة السكوت وعالم الصمت ! الله من عالم ودولة ! لا يريان بالمس ولا يدركان بالمس . ومما مع من الصراخ وأجدي ، ومعد من الصحة وأبقي .

سما أن الله أرسل دانتى ليصور لنا في أشجن العناء والنغم ديانة القرون وحنايب الداهية . فكذلك أرسل شاكسبير ليصور حياتها الطاهرة كما كنت يد داك ، وما بها من مظاهر القروسية والمجدة والبرودة ، أهواء وشناوب والطامع والطامع ، والأساليب الدنيوية للتفكير والعمل وكما أنا نبصر في هوميروس يونان القديمة ، فكذلك سيكون شاكسبير بعد آلاف السنين المعرض الراضح لأوروبا الحديثة تتحلى فيه دينية

ودنيوية ، نعم لنش ينث دنتى أدى إلى البقية أو الروح فقد أعطانا شاكسبير العنق والدين . وكان إلا أن يعطى البدن أيضا ما عطفاه على لسان شاكسبير كذلك لما بلغت حياة القرون الوسطى تلك الحياة الشريفة العالية الكمال ، وأذنت بالاصمحلل السريع أو البطيء كما نراها الآن في كل مكان ، أرسل شاكسبير بعينه البصيرة وصوته الرنان ليطر تلك الحياة وليتحن بها غناء يبقى ما ترمم النسيم في الشجر ، وغرد الببل في القمر . رحلان كفنان — دنتى عتيق حاد فاكز كانه ما بجوف الأرض من النار ، وشاكسبير واسع هادئ بعيد مرمسى البصر قصصى مدى الطير ، كانه الشمس نور الأرض الطاهري أحدهما لجرة إيطاليا ، والثاني بحمد الله لجرة بلادنا .

وعحب والله كيف ساقط الصلغة إليها ذلك الرجل ؟ وظنى أن شاكسبير هذا قد كان من العظمة والسكة والكمال والاستعلاء بالمس بحيث إنه لو لم يخرج من قرنيه بسب ما نسي من سرقة الغرلان مكان له من عيشة القرى وسكى الربيع مقيم عن كبر ما عداها . وكان قد عايش ومات وم تم تعق أعلاق حربه ، ولم تكشف أسر دوائه ، محرم عدم أكبر شعرائه قاطبة معم لولا نشرده عن وطنه لمدت لفت دنت لاكتفى بالندبات والسموات والبريق والعيش القروى . ولكن إن كان شاكسبير هذا قد جاءنا عفوا ، أم بجح . ذلك العصر — عصر بعبسات — نصفا عفوا كائنا من تنقاء مهسه ؟ وهكذا صروف الزمن وأحوال الدهر تقل وتدير وتووت ونجى وتدبر وتفسر ، كالشجرة التي جعلها الرثيون في الشمال ومزأ للحياة الدنيا — ولكنها تلبل وتفسر وتلقى أوراقتها وتورق بتوازي أزلية ونوايس أبدية ، لا تظهر عليها ورقة إلا عبقات لا يظهر عليها بطل إلا عبقات عجيبة والله ما بين جميع الأشياء والكائنات من لأسباب وبروط . فدا من ، ورقة دنته تعفس عني صهر الطريق . لا وهي حرة ، مند حان في مقام الكائنات أنجع ، مسجين فصله عن سائر الأجزاء . ولست كلمة أو فلة لرجل ما إلا ومنشوها العالم أجمع . ولا بد أن تعود بالتأثير أجملا

١٠٠ هـ، رسل الروح الصالحين إلى عشرة وأحلامهم
١٠١ هـ، خلاصهم، وأحبهم الشوارع، وأحلمهم
١٠٢ هـ، أمكنهم، يقولون، أمكنهم أن يكونوا
١٠٣ هـ، رسلهم، أمكنهم ذلك لو كان نصيبهم في بقية

من أساليب تفسيره شاكسون خصا برسه تصويره للأشخاص والناس،
من أساليب تفسيره عليه شهادة ما تحلى تغطيه في ديث وانستين ولا
حسبنا بس، فيه في ديث القوة مخبره هادته عباد طبري، انسيه،
مرفه في ديث الوجه، ان ديث بل ان صميمه سه فكان ذلك يصور بحت
معه في ثواب من التماس لميكسيف به دجاني تركيه وواض سادته من سسني
دث، بالا والجر ما رحت به حلق شعري وما هو - بو تأمل - إلا "بصر القوي"
المسعودي دثني، لثيمه تدخره وباطله، ومتى وجد ذلك الصبر شاكسون تخطيط
منه في تفسيره بعض الانبياء من تقيده معه مسرعاً - ان سرور في
ما كسب ايتصاف حاكمه والعطل، العزوة والشجاعة، ونزويده ونظره
منه والعزوة - وسدو وحسد، وتثني القيرة الكبيرة وهمة تفسيره منه
عصاف، اذمنة صفت بدخروج من كل فحمة عره، وزوجه بكر، عصمه
ها حرقها الى من بدخرف على اذمنة ونحوها الفكر المصنوع على فحمة،
الحمد والله على ما كسب حرة لمة لمة ذك ككاث لوهان عده من الكتاب
سعوده مر، المعجزة اذمنة، على شاكسون وجل يعل في نصير وسسور
دث، ان جمع لثيم، النشر - رحل كريم عاص نامة، لله وقوه
منه، رعدانه من سسور سسود عسره جمع ضفاف رحت من عصاف
منه بل د ثام، وهو ان انور لثام، وبامه يراه في ها
منه، رعدانه من سسور سسود عسره جمع ضفاف رحت من عصاف
منه، رعدانه من سسور سسود عسره جمع ضفاف رحت من عصاف
منه، رعدانه من سسور سسود عسره جمع ضفاف رحت من عصاف

بعض ذلك من غير قول الأول حتى سجد وعظمته من عبيد أبيه من
صية أرملة مدح حقيرة ناخبة من دهن الشوكية ، ثم
شكسبر في الجراح الخلد مثل قص ، وليس من مدحتي الأول من
بأرحلا وحده « جينا » فيه يصططار بدها فيق لأمو
الأسياء ويحكش . تقول فيه من هو في شاك يترد قلبه
شاكسبر كي سجد لشعيرة جده - سجد برث - علة في وجوه
قصا تريث البوب ، لالات في صيته المكشوفة وحشاهي »
العين الصيرة حده هي كسوة نوحس الأمور والكاهن في
العم والإسلام - كشافة ، ودعه الصيرة أجواف لأشب من
من المعاني موسيقية حب نيك نوحو خفاه ، حشاه نعه نقد
لكل شيء مهم فبح صاهر غرت هو لعن الصيرة وأصبح
الأشياء حشة دسة ؟ إيك هه تفصحت من نيك الأشد ، وقد نككي
ربها الصلاب وأساب كيمنا كات ، أو عسي لأش يحكش
وتصرف ، وتفرع وتحرر ، حتى يحس أن تفسيها وتحوه و
هو أول مواهب شعر ، ثم نوني نيك هه صار شاعر - شعر
بواته ذلك فباع بالعمل ويكره يكتب أو لا يكتب - نه يكتب
هه أمر نوي يعرف عني صدف - ركي على أدبي الصدف ، و
ثمكه من ن سحر باب الأشاء ولودع صمائله من العم (ك
عدما في حووه وثلافة سيشا في صموره ، وثلافة كل سعاد ،
هي سيجه عاد - ولا صدف ولكنها معة الصعة وأون مر
كيمنا كان ريب أول من فوق أشاعر بس حلام إيسال هه
عجرت من دن وثلافة هه نيك في اسعر ان نسي صفة
قوي ، ولا هه نيك الصير ، وسمعة
ونولي نيك أن تقسم من نيك الأمل وعص نيك هه هذه الأمل
فون نيك من سحر بخلا ، مدوحه ، هي حرام مثلاً و
والعطف

وأنت فاضل ما أحببت صنعك وأحسب عمتك أبا كبر ،
 حلالاً طيباً كريماً ، ولا عر في العمل الملقى ما به يخرس حيناً ،
 عمن ، فأنعم هو جل السمع كما فهدد أشد النحر ،
 ذواته يستغضب به ، إلا لحداثة أُنيت من دأوبها
 فبعضه نمر - تقدر بصبره - ولو سفلت أُن - تُعرف ملك -
 مست - سقله على كل عقل لكسب قد أتركك عاية وبعث
 حي في خفية تلك المكات التي يذكرها كأنها أُنشأ شتى ، كرس
 ، صلا ويدر ك مطلقاً له بذلك ورجل وقدام ، وهدد عطفه ميه ،
 مع سائل النمر « طيعه ذهبة » و « صبعة أخلاقية » كأن هدر
 ن في حية - أما إنه لا باعث على استعمال تلك الأنفاظ المختلفة إلا
 شتى ، وزاد كلاً لا يد ناطقين ومنطاطين فلا مناه من استعمال
 - استعمال - ولكن لا يسي أن تتحدد الكمات حتى نصير أشياء ،
 ت هذه السبب أن حطنا في هذا الأمر وصلنا - ونما يجب عيب أن لا
 ت - هذه الأقسام ليست في الحقيقة ، لا أسماء ، و ت صبعة نمر ،
 - صورة حية الكامنة فيه - هي شيء واحد - لا نفسه - لا تشعب ،
 - حلالاً ودرناك ودهد ومعرفة وبصورة وغير ذلك ، إنما هي صور
 ت الصورة المنصورة ، و لكنها شديد اتصال بعضها ببعض .. دليل بعضها
 ت - حتى لو عرفنا أصلها لا يمكننا أن نعرف الباقي . وما أخلاق المرء إلا
 ، ذات القوة الحية التي بها يعمل وبها يكون . وكل أفعال المرء - لو
 - دليل عليه ، حتى ليمكنك أن تعرف عن هذا الرجل كيف يكون
 ، شرب من فحة حديثه وطريقة غذائه ، فإن جسمه أو إقدامه ليدلوك
 ، خطاه وما كلمة الرجل أو رأيه بأقل عيما عن شخصاته أو خوره من
 - وهو هو بعينه واحد يظهر للذات نقسا واحدة في صور شتى .
 - رجل من غمير يدين قائما على قلعه يسعى بهما في الأرض
 لصورة مستحيلة الوجود بلا خلاق ، والرجل الذي لا خلاق

، يتخرد من كثر ثم يعبر ونمر ونكرمة هو معلوم الصورة بآله ، لا يرى شيئا
 من الرؤيه ولا يعرف شيئا حتى يعرفه لأن المعرفة الصادقة شيء ، ما تستوجب
 حبه مدك الشيء - ولا يحذف حبه ، تبقى الاتصال به الصلة الكريمة الصادقة ،
 ، لم يكن من عمن بحث لا يربن يتصف بكل شيء من نفسه ، ويأخذ الحق
 منها بعونها ، ويتعجب ويتعجب ، يهدد ويقهرها ويكون من الشعمة والمروية
 ، تبقى بحث يربن - لحق مني ما ف من عذاب ومصعب ، فكيف يجد بل العلم
 ، حقائق سيلا ، يذ الصفة وحداثتها للحديث النسيم الحسبي كتاب محموم ،
 زاب يعرف من همد من الصبيعه - لا مشورا وأباطيل وحداثت ك يستخدمه في
 تراص ساعته - وب مثله - لا كمثل التعصب ، أو ما يعرف « تعصب شتا من
 لتسعه ؟ - عه يعرف أين توجد الأوز ! وكذلك التعصب الأدمي وما أكثره في كل
 رمن ونقعه ، نره يعرف إلا هذا أو مثل هذا ؟ كلا بل إن الشتمام التعصب ربح
 الدجاج واهتده إليها ، فصبة تعصبية ، ولو أنه أضاع أرقائه حزينا أسفا مطرقا
 يكرمي حسه وشفته وصله لنعص ، نه ، وجور الدهر واشتغال الخط عه بعيره
 من ماعدمات التعالب دوات اليسر والرغد ، ولو لم يكن عبده جرة وإقسام وعزم
 وحزم وغير ذلك من الحامد والمناقب التعلية ، لما أفسد دهره من الدجاج ولا
 ريشة .
 فإذا قلت إذن إن شاكسبر أكبر الأدهان فقد قلت كل ما يقال عنه . على
 أن في ذلك - هي الكثير منزلة لعل الناس لم يلمز كوه بعد هو ما أنصيه ذهنا غير
 متعمد ، وفيه من الفضل أكثر مما يشمر به صاحبه ، وقد قال نومايس : ما
 روايات شاكسبر إلا لمرمة الطيبة ولها جلال الطيبة وعمقها . وأرى ذلك صوابا
 وحقا . فما صناعته بصناعة إنما هي وحى يتدفق به طبعه عموا ، ويهطل به
 خاطره سحادر ت
 وبسبر ذلك بالألى يعزونه - عمو بلا مسح ولا إمساك
 سي ، حصن بلا كد ولا نصب ولا جهد ولا تعب ، يلوب كلمة المخزون
 دمر ومعضر ، ومنت منحة الموراد عمو معتصر ، ويحي كوداد الحب غير معصر

مفسر . وسقط من تلقاء نفسه كالطفل في السحر ، وغناء الحمام في
 حوض . وشد السلك يهوج ويشتر ، وساء السر بلوح ويشتر ، لا تكسر
 عصى ، زود صبح ولا تحفل ، وإي هو بات يست من جوف الطبيعة محزون
 ذلت رخص . أو صوت الطبيعة يخرج إليها من هم ذلك الرجل أو أن
 ستر أن شونه الطبيعة فتدغم به بأشجي نعماتها ، وتخرج منه أشهى
 بها زعل أدمى سجي ، بعد آلاف السنين ستجد هي شاكسبر هـ ،
 جديدة زهـ ، الأعمار حدهم . ونها لعمه الطبيعة على الرجل العتيق
 من أن يخضع جرمها منها ، فمؤلفات هذا الرجل مهما تعتمد أن تختلف
 بها ، تخرج من مجاهل أعماق نفسه عفواً لا أثر فيها للصنعة والكلف .
 زجة بابتة من الشرى ، وكالبجبال والأمور إذ تلتبس أشكالاً خاصة منطقاً
 من قوانين الطبيعة ، موافقة لسه الحق أيا كان . ومع ما أخرج ذلك للرجل من
 زباب ، زخمه يتسخط ويتشكي ويتلف ويتشهي ؟ أعهدتوه بتالم
 و ، ويتوحد ويتضجر ، أم كان خلواً من الألم والوجع والكمد والوجع ؟
 كنه سائر للشجر كقوم للمصيبة ، وكمن عفى في تلك السيرة من الآلام
 . فلم يظهر إلا غارها من بارح الكلام ، ورابع الحكم ، كأنها الجلود ،
 الأغذية السائية والقوى الكونية الحسية تعمل مستورة الأثر . عظيم والله
 ولكن الصمت أعظم

عنى المصوم وسكينة هذا الشاعر الخلقة الفرحة هي من جلال الصفات
 و على ذاتي كآبته وشقوته فإنها حرب بلا ظفر ، ولكنها حرب صافية
 من المسائل وأخطر الأمور . و أرى شاكسبر بعد أعظم من ذاتي من حيث
 عم فظفر . ولا يحالكم الشك في أنه قد كان له حظه من المصوم
 ، وقسطه من القروح والأشجان ، وأخاياه تشف عما كابد من غصص
 تخرج من مرارة الشجن ، وغامس من حومة الحطب ، وكافح من غمرة
 بكدر في بحر الشقاء ويضرب ، ويطلق به ذلك العاصب ويوسس ،
 شاطئ الأمل ونجاة الله من غير . وقد أقال الرأي من رخص أن عيش

شاكسبر كان خلواً من لاسي ، صبر من القدي ، لم يرد منه إلا غلبها وزلا ،
 ورون سلسلا . وأن شاكسبر لم يك إلا بلبلاب بروهة الصفاء أسمى عمره سحما
 وتواليا ، وبلغ أمله شلهواً وتقرانيا ، سعيد المال محبوبه الحان باغم نال هادئ
 لبهال ، شأن اللابل في القمارى اللوتى من :

نوعهم لا يعرفون يؤس معيشة ولا دلتبرات الدهر كيف تلور
 كلاً وأبيكم ما كان مرز ققط هكلنا ، وأنى لرجل أن يتقل من سرقة الغزلان
 إلى كتابة ميكيات كميكات شاكسبر من غير أن يكون قد داق الحزن وليس
 يشجي ؟ بل كيف يأتى لرجل أن يصور أمثال هاميت وكريلاناس وماكيث
 ر عثر هذه من مصوب كبيره سنه ، إلا وقد عرف قلبه الكبير الألم ؟ ثم انظروا
 كيف جمع بين ذلك وبين الضحك الغزير الطافع ؟ وقد تقول ولا حرج إن
 ابداعه عمده مفصورة عني فن المكافة رهن بباب الصعث . وكثير في روايات
 النمط الموجه وعول انتدع راكم الباذ المحرق ، ولكنه عند حد ، وما كان فقط
 يهوى كرهه ينشركن صحك يحط عيبك كالسب مهسر ريد نصب
 من أشخاصه واحد بمكافة هال على رأسه ما لا يحصى من فنون المراح وانجون
 وألقاب السخرية ، وما زال يقله من الأشكال للضحكة فيما يستقصي المعصب
 ويستنفذ الاستغراب . فكانما يضحك ، عمل ضلوعه وقلبه ، ثم هو ضحكك
 صالح لا يقصد به إلا السخرية من الساكنين والبؤساء والضعفاء . ولن يكون
 الضحك من هؤلاء ضحكا وإنما هو سفالة ولوم ، فإن الضحك المحرك الكرم من
 شيء ما يستمر حيث حد نسي ، وليس الضحك الكرم تعممة شارب تحت
 القدر - بهفه ابار وتقدر تصور وتنهب وضحك شاكسبر محروح بالرحمة
 حتى نحو لاسب ، وادع . وهذا ضحكك في نظري كسر السمس عني
 ساحة البحر محيط .

ولا يحالها للاسترسال في وصف كل من رويت شاكسبر عني حلة ،
 وإن كان لا . في ذلك متسع للقول ومنفتح للكلام . فلو أن كل قصة من
 قصصه أتت لها شارح مثل « جيتا » لكان عيوا ، وسيكون ذلك بوما ما . وقد

سمى فنسكوف الكبير الألماني «سكيلجل» رواية: هري لخامس وما شاكسبير
 حيا وصيا وتذكرون ما قاله القائد «مارا برا» من أنه «يعترف من
 تاريخ بريطانيا إلا ما علمه من شاكسبير» ، وقل في كتابنا التاريخية من ضرورة من
 يراى تلك الروايات قيمة ومصلا . وما أدع وصفه خرب «حكور»
 ومعه جيش الإنكليز المكشود المهولك . وسبعه المصاف : نرشد حرب
 بدى ، تلك الساعة الحيلة التي يكمن في أنفائها المحسوس . مع سن
 الشجاعة الخالدة الذكر «معشر الرماة الذين صبحت أكفهم في برص»
 نجاه في ذلك ربح الرصة ؟ م في ذلك مكسبة لبر من شاكسبير عبور
 لوطه وقفة نمره ؟ أما نخسور قلب الشاعر الكبير يمشي في شل حروف من
 مؤلفاته العديدة من مؤد هادى يرى من كل أثر لحنه وعبره . كذا صوب
 يصبه ريب الخمد الصلب وصلى أن في صدر شاكسبير هب حرة بث . وفي
 يمينه بطشة قصور لو أشهدته صروف الدهر ساعة الزخى

هذا هو فلاح قرية «سزاقورد» الذي ارتفع إلى درجة ملهى محيل ، فكفى
 بذلك دل السؤال ، والذي ومفه المورد سوافيتون بعين رحمة ، والذي كمال
 السير توماس - حفظه الله - يربد إرساله إلى السجى ؟ لم يعد سب كارد
 . د هو عائش وصفا ، ولكنه رعد من صعب إيمان لأرب - حذينة بالأبصار ،
 فأي إجلال وإكبار لم يصبه شاكسبير هنا من أبناء اللسان الإنكليزى ؟ نى رحى
 ، بل أنى ميبوب رحى من رحاها لا تجعلهم قد ، شاكسبير الذى هو كبر مع حرب
 وأعظم مآثرنا ؟ - مفخرة نرهمي بها على الأحباب ، وحلية سرده بها صدر
 بريطانيا . انظروا ماذا يكون الجواب إذا خيرنا بين أن نترك شاكسبير ن بلاد اهد
 - أن نكون لم نملك قط شاكسبير أو لم نملك قط إمبراطورية الهند - ن علم
 وحال السياسة والحكومة يفصلون الهند ، ولكننا نحن لنا الحق أيضا في أن نختار ما
 نراه أفضل ، فنقول سواء حكمنا اهد أو لم نحكمها فلا على لنا عن شاكسبير
 مستذهب الهند يوما ما ولكن شاكسبير لا ينذهب .

من إن شاكسبير فضلا عن منزلة الهند والسحر ، وتهديب المومس والأحلاق
 دكة مادة عمله وهي أنه نخامة الكورى والعمرة الوثقى لشتى طوائف البريطان
 ي أعضاء المعمورة . وسبحي يوم تطل جريوتنا هذه لا تنفى من أبناء
 . حيا لا . حرة الأخس ، وسالوهم مبشر في نواحي الكرة مبدى هي جوانبها
 . ن ذلك فما الذى يقرب بين هذى المومس المتدرة ، ويؤلف بين هاتيك
 عيب مسفرة ، فيحضر به شرى ويتخطى ، ويشرق الجو بهم وجلالاً ،
 وحسب نفسه أنه واحد ، مادك سى نكور قص تدور حوله مصاخمهم
 نرصرهم . وكمة شرب حوها نعبفهم وأبصارهم ؟ وعناد يقوم عمود
 . ن حبه في مسفرة وبصية ، ويسحكه ررق عزمهم بأرته وأنبه ؟ عدا
 كور دك ؟ ن حكومة ولا نحب . ثم سالوررة وفراحتنا ، م . سياسة
 وعطالاتها ؟ كلا ثم كلا ! بل بشاكسبير هذا ، فهو الملك الأكبر للحاكم
 على جميع طوائف الإنكليز فى سالر الأعداء والأرجاء .

وكمما رأنا أعظم الرجال في مراكزهم المختلفة يفتنون الأديان - الأساليب الشريفة لحياة اللادوية - العقائد الحيوية المدسوسة بأن يعمى بها أمثال دانسي،

فدا أصف إلى ذلك الأمر بخون ، وهو إنه إنفا مرضت القلوب ووهت
 « وخرشك في عظام اليأس ، فسدت عفت ذلك أعمال المرء ، ونحمت
 هالك لأحلاط والمطالم والمصائب ، ومسدت الفتنة أمسياتها ، وأحدر
 دهنها ، وشترت حسانها ، وما زال من سديهي أنه لا يصدق عمل المرء
 صدق عنده فإذا صعب اعتقاد الإنسان فلم يكن له من عقيدته ما هو
 ١٠٠ على لأعمد ، بل أصبح يحرق في جميع ثمره على مذهب العرب السائد .
 ١٠٠ العادة السبعة ، مختصا برأيه لرأى اسما ، جاعلا ليرادته رديقا لإرادة العالم ،
 ١٠٠ حبيب نكير ملاً ، فما هو والله إذ ذلك لا عيب وأسير وبالخطأ فيما يستند
 - حسن وحدير ، وهو أحد سواقي الفتنة ، وحادثة الثورة ، يصرب عجره
 ١٠٠ باصبتها إلى اليوم الموعود ، والأجل المحدود . وما من عمل يأتيه من غير
 ١٠٠ في ولا إحلاص ، بطرا إلى ظاهره الكاذب فقط ، إلا وهو يتم حديد يلد لبعض
 ١٠٠ حديد مصاب ومستطرف ليله ، ثم تراكم الآثام حتى تصهر عن الثورة
 ١٠٠ ما الركان . وهكذا لما أصبح الناس لا يؤمنون بكتاتوليكية دائية من حيث
 ١٠٠ ، ولا يقدسونها ، لما أفسد الشك والكذب والعمل المنكر الخبيث من
 ١٠٠ ، أتيح لشملها من لوثر محرق ، ولظلمها ميد وعرق ، وقضى ربك سي
 ١٠٠ الانفصالية ، تنف العيشة الموشة البهجة التي أبدع صنعتها لك كسير أن
 ١٠٠ حتمها الثورة الفرانسوية ، وإنما هو كما قلنا انفجار من الآثام للزركمة
 ١٠٠ محار للركان ، ثم لا تستقر الأمور إلا بعد مدة طويلة من الاضطراب
 ١٠٠ . ثم نبيه أن طرد من ذلك الأمر على وجه واحدة ، فلا نصر في آراء
 ١٠٠ وضاماتها . لأنها مشتبهة ملتبسة . وقتية رهبة بالقضاء والموت ، والحققة
 ١٠٠ ، إذ محمد أن القضاء بما هو فـ الشوب لا المظهر ، والموت مـ مـ
 ١٠٠ لا التروح . وكل إتلاف سلاح الثورة بما هو حليل حديد على نظم
 ١٠٠ زعدي زسح ، فكاست الوثنية الأودسية شجاعة وسالة ، وجاءت
 ١٠٠ حسوى وصربه ، وما يخشوع إلا صرب من الشجاعة أسرف

زكرم . وما من رأى حـ هي صدر الإنسان جوله جد وإحلاص عن عقيله
 صدق وإمان إلا وكان في وقته نظرة صادقة من الإنسان في صميم الحق ، فيها
 سر صدق ما يزال على تجدد الأحوال «طبعا ، فهو دحس لها باق على كـ
 حـدين ، وتعاقب الخافقين . ثم نكس من الحور والسحق أن نرى أن جميع من
 حـ الله من الأمم في جميع الأزمان والأمكنة ، عطفى ضان إلا حـ ٩ وأنه ليس
 لي خلق الله غارا وحاضرا من باتت على هدى من ربه إلا نحن ، وأن جميع
 ١٠٠ الأمم والشعوب ضلوا وحايوا لكي نصيب وملح نحن - العفة الصيلة القليلة ،
 ١٠٠ رأ جميع تلك الأمم إنما ساروا منذ بدء الخليقة حتى الآن مسير الجود الروسية ،
 ١٠٠ إذ يث زحفهم نحو الخلق إلا ليلقوا بأنفسهم فيه فيسده بأجسامهم اللينة ،
 ١٠٠ يكون لما لمة من حشهم - حسر نعر عليه إلى المدينة المحاصرة فتأخذها ! وهذا
 ١٠٠ زربكم غاية الغرور ومتهى الباطل .
 ١٠٠ وما أشد ما يتمسك الناس بهذا الباطل فيحسبون أنهم سائرون على حش
 ١٠٠ جميع من سلف من القرون إلى آمد النصر والطير ، ولكن ماذا عسى أن يقال إذا
 ١٠٠ هم وقوا كذلك في الخلق وصاروا أجسادا ميتة ؟ وكذلك أرى في نظرة
 ١٠٠ إنسان أنه ما يوح بحسب فكره إمام الأفكار ، ورأيه حكمة الآراء ، ونصى عسى
 ١٠٠ هذه العقيدة . ولو أنصف لأبصر أن جميع من ذهب من عباد الله الصالحين ومن
 ١٠٠ حضر ، إنما هم جنود جيش واحد أفرحوا في سلك الكنية تحت قيادة الله
 ١٠٠ يتأثروا عدوا واحدا أعنى به عالم الظلمات والباطل ، ففهم التناكر والتجاهل
 ١٠٠ لا تشتغال عن جهاد العدو المشرك قتالا بعضنا بعض ففرد اختلاف في اللباس
 ١٠٠ . ترى ؟ ألا كل الأرباء حسـ ما ررت عمره على دى مروية ومعدة ، ومرحـ
 ١٠٠ السلاح كله على اختلاف بوعه وشكه ، من انعمامة العربية واللبى المرهب
 ١٠٠ . بل معمول « ثور » يصرب به الجان والرنة ، وما رجحة لوتر في حومة الحرب ،
 ١٠٠ وأعداء دائية من البرع والقصب ، ولا عور ما لا عسا ، وكـ تحب ذلك القائل
 ١٠٠ وذاك اللواء !

« وبعد » فليلي نظرة في جهد لوثر هـد نعيم نى صرب مس الجهاد هو ، وكيف كان فيه بلاؤه ؟ ولوثر لا تنسوه كان من أبطال الروحانيين — نيا أمت زومه

ولعل كلمة هـا عن الوثنية على سبيل المقدمة لا تكون إلا فى مستقرها وموضعها . لقد كان من أهم خواص محمد « عليه السلام » وما امتاز به الأنبياء عامة شدة الإنكار للوثنية ، وهو أكثر مسائل الرسل ، وعبادة الأوثان الميتة كإله هو ما لا يمكنون عنه أبدا ولا يطبقونه ، بل لا يزالون يشهدون الكثير عليه ويسمونه بالذبح مياهم القذع والقذاف ، وهو عليهم أس الذنوب ورأس الكفر . وهذا جدير بالتأمل ، وكلمة « أبول » أصلها « أبولون » ومعناها الشيء المظور ، أعنى العلامة أى الزمر . فليس معناه إذن إنها بل رمز للإله ، وجدير ما أن شك هل كان فقط إنسان — مهما بلغ إعطاطه وعبادته فى رأى ذلك الضم — أكثر من أنه رمز ؟ أن لا أظن أن مثل ذلك الإنسان كان يحسب أن الشيء الذى صنعته يديه هو الإله ، بل كل ما يحسب هو أنه يمثل الإله ، وأن الإله كائن فيه بشكل ما . وإذا كان الأمر كذلك حق لنا أن نسأل : أليست كل عبادة أيا كانت هى عبادة بالرموز أو بالأشياء المصورة ؟ وسواء تمثل الإله للعين إخراجية فى صورة منطورة ، أو للعين اندحية أعنى الدهس أو للخيال ، فإنما هو فرق سطحى لا جوهري . إذ لا تزال تبقى هذه حقيقة وهى أن هذا شيئا مظهر — باهين أو بالهين — ديلا على الإله . وليس يخلو أورع الناسكيز وأروع المنصور من امتلات الذهنية لمسائل المقدسة وبها يعبد الله . ولولاها ما وجد إبن العبادة سبيلا : وكذلك كل العقائد والمثل والحل والنسورات مظهره على بوجدات مذهبة على هذا الحد أشياء منطورة ، ولا تسم العبادة فقد بلا بالرموز — بالأوثان وعلى ديث قول إن كل دس وشية ، وإنما بعضها أشد وشية والبعض أقل .

أى يتأشروها ؟ أما إنه لا يد من أن تكون مطوية على شر كبير ، وإلا فما كانت ملائمة من إنكار الأنبياء والرسل أشده وأبلغه . أجل للملائمة الوثنية

بعبية كل ذلك العصب إلى الأنبياء بمقوفة لديهم ؟ ولا أحسب أن أكبر ما سحصر به على الوثنية ، وملا صدره غيظا وحقا ليس هو بالصسط ما كان يحظر بيانه فى ذلك الصلاد ويصرح به للغير ، فإن أحط وثنى من عباد الكواكب أو الأصنام كان كما رأينا ، خيرا من الحصان الذى لم بعد شيئا ! بل لقد كان فى عظمه جدير هـد نوع من الفصل حله ، شى مما يحسب هى الشعراء ، نسي إيمانهم الإلهي والملي . كثير فى الجوز وسائر الكائنات الصعبة على الإخلاص ، فمما ي ترى يقم عليه نلى كل هذه القمة ؟ ب أسفر وثنى عاكف على صممه ليس بـ . متلا صدوره تديا بهما نصم ، بلا جدير بمرحمة لا بالإعص وإن كان بعد أهلا للاختصار وانتت والإحزاب إن شئت ليمتلى باعتقدها قلبه ويستمر بها وعاء دهمه الصق نصم ، أو بالأخصار ليؤم نصمه ، الإنسان كله يكن فى ذلك خير به ، أو عبارة أخرى ما هو حاضر فى ذلك الوقت من الخير ويمكن ، ثم دعه وشاه أما فى سر به ماعا على رسمه

ولكن الوثنية تصاب بعد ذلك بأفئها الكبرى ، وهى أن الإيمان بها يكون قد تطرق إليه المسد أزماء النبوة ، ويكون الكثير من الناس قد أفرقوا بعض ما أدر كه نلى من أن هذا الوثن إنما هو قطعة من حشـ وبكر نلى هذه الوثنية ، والوثنية المكرة هى الخالية من الإخلاص والصدق لما أكلت منكوك قنبا وحت الشهات لىها ، فبينا يتشبه بها الوثنى إذ يحل إليه أنه يتشبه بطيف الطيال وأشباح الطلال . وهذا لعمرى من شر البية وأسر العنة ، وقد قال كولريج : « إنكم لا تعتقدون وإنما تعتقدون أنكم تعتقدون » وذلك هو الفصل الأخير من رواية الأدباء والعقائد . وأية دمو الموت والقرب اعلاك . وهو شىء كى سمع يوم تاع التفاد وتقديس المادات . وليس فى طاعة الإنسان أن نلى جماله ونقطع ، وموقفه شيع ، ولا إنما أفرج — وجوما أنكر وما هى إلا رفيدة «عمل وشلل العصب» وصبغ الإخلاص والصدق ، فلا سحـ بد أن سكر ذنت ومقته وبس بل شىء منه

ولا أجد لوتر في أمر الأصنام وتكسيبها إلا كأي نبي من الأنبياء ، وما كان نصر محمد « عليه السلام » لأمة قريش المصنوعة من الخشب والشمع بأكثر من نرجه بوتر نسالة عمران دون الموتى وأدواتها من الخلد والحجر كما كان يحرقها عتاقة الكاثوليكية . وبه لشأن الطفل أيا كان وهي كل زمان ومكان أن يرجع إلى أحفقه ويخمد على الأشياء لا على طواهر الأشياء . ونقدت فيه حقائق الأشياء وإحلاله إياها إحلالاً ناطقاً يصلح به صوت الشعر ويسبح ، أو إحلالاً منعماً يجيش به اللسان ويعجز عنه اللسان ، يكون مقفه وكفه لظواهر الأشياء مهما صقل تنويه من أطرافها ، وهذب الترويق من حواشيتها ، ومهما أيدتها قريش أو عززتها قساوسة الكاثوليكية . والبروتستانتية عمل تحليل جليل يفاعله أن يسمى نيا ، وهي في نظري نبوة القرن السادس عشر ، وأول صرخة في معازل عقيدة أصابها الدهر بساء الكذب والنوثية ، وهي تمهيد لحديد صالح مستقبل سيكون حفا ويكون مقدساً !

يظن الذي لا يدقق النظر أن من شأن البروتستانتية محوها لما نسيم عبادة الأبطال ، وجعلها أساس الخير الديني والديوي ترك الثقة برعماء الديس ، وعدم الإيمان بهم . وهذا سمع أن البروتستانتية أوقدت عصراً جديداً شديد اختلاف لجميع ما سبقه من العصور ، « عصر الرأي الشخصي » كما يسمونه ، وقد كانت البروتستانتية نوراً صديداً ، أصبح كل فرد باب لنفسه ، وعلم فيه علم أن من أول واجباته عدم الثقة بأي بابا أو إمام ديني ! وعلى ذلك نسمع القائلين يقولون أو لم تصبح البربطة الدينية وكل إقباد لرعامه دينة بعد ذلك من المستحيلات ؟ أنا لا أنكر أن البروتستانتية لم تكن إلا ثورة ضد أئمة الدين من بابا ونطريق وما يليها ، كما لا أنكر أن البيوريتانية الإنكليزية التي كانت ثورة ضد الملوك والأمراء إنما هي الفصل الذي من الرواية التي أول مصورها البروتستانتية ، وأن الفصل الثالث من هذه الرواية هو الثورة الفرانسوية المائلة التي كان من شأنها فيما يرى ويظن أنها نسخت جميع الرعامات الدينية والدينية — الأراضية والسماوية — أو جعلت أمر مسحها فضاء لا بد من بعده والبروتستانتية هي

بحر الذي عنه تفرع تاريخ أوروبا الحديث وتشتب ، لأن الروحانيات ما يورحت تنقص في العنات والروحاني مبدأ المولى . وقد أصبحنا الآن ونمل آذاننا صحت « يا للمساواة » « يا للإخاء » « يا لتحرره والاستقلال » وأصبحنا ولدينا بدل الملوك وعية أروق الانتحابات وأصوات لانتخاب . كأننا قد ذهب من الدنيا ذات صدع الإنسان في الديويوت والدينيات ولو أن الحقيقة كذلك لنأهي بأسي من الدنيا وأريق صباية رحاني ، ولكن أرسح عقلاي أن الأمر ليس كذلك ، ولولا للحكام أعيان الحكم — الديويون والديتيون لأصبح الأمر الناس موصى . وشتر الأمور القوضي . ولكني أرى البروتستانتية رعماي أحدثت من «دعقر صة لغوضوية منشأ ملوكية حرة صادقة ، ومنشأ نظام وصلاح وزحكم ، وأزف ثورة ضد شرر الملوك وأكديدهم ، وأزف خطورة لأولى بل إقامة أحرار الملوك بيتا وصلاتهم ، وهذا يحتاج إلى قليل من الشرح .

ولندكر أولاً أن أمر « الرأي الشخصي » في العبد لم يك بالأمر الجديد في العالم ، ولكنه كان في تلك الملة حديثاً ، نعم ليس في البروتستانتية شيء جديد في جنسه ، وإنما هي وجعة إلى الحق والظهور بعد الإقامة على الباطل والطاهر الكاذب بشأن كل رقي وتعليم صالح . ولا أحسب إلا أن حرية الرأي الشخصي ما يورحت في الناس من قديم الأزل لم يخل منها جيل من الأحيال . وما أظن أن دافتي كان قد عمد إلى عينيه فقلعهما ، ولا إلى حركات دمه فعلها وقيدتها ، ولقد كان في كاتوليكيته تلك حراً طليفاً ، وإن أصبح قوم في أعلاها من بعده مكيلين ، وفي أصفادها موقنين ، حرية الرأي ؟ ماداً سمع ؟ كلا والله ما كان قط في فترة السلاسل والأغلال ، ولا أي قوة بشرية ترغم إنساناً على الإيمان بهذا الأمر أو الكفر بذلك . وإنما رأيته في ذلك سراحه الدائم «الاشتمال الذي لا يصر إلا مع أقول كركب حباته ، وبه يستتير ويهتلى بعض الله وحده . إن أشقى الضالين الذي يأمر باعتقاد الأعمى والطاعة الميمنة ، لا بد من أن يكون قد أضع نفسه أولاً بأنه لا حق لما في طلب الإقناع . نعم و« رأي الشخصى » هو الذي أشار عليه بذلك كأصوب ما يؤتى . فمثل هذا الرجل حصر الرأي في

صلاته، ولكنه حرم الرأى، وهو فوق ذلك مخلص، وما دام فى قلب المرء، خلاص. ففى الشخصى حازه فى ذلك القلب وحلته، ولحقه شخصى بعد ذلك. وجميع ما هو مطوى عليه من الور والحدس، يسما ترى الرجل لكاتب الذى يحاول جهده أن « يعتقد أنه يعتقد » بملك طريقا آخر، فلأول تنبؤ « سر » « خير صنعت أ » وتقول للأحر « ويل لك أ » فما هو كما يروى بغيوب الخفيد ولا الخطلة الصراء، وإنما كما قلت عودة إلى جميع ما قيل من أقوال الخلاء « كن حرا صادقا كن غلصا » لقد كان محمد (عليه السلام) يلزم غلص قلبه، وكذلك كان أودى وكذلك جميع المسلمين والصارى وصادقى الوثنيين، لقد رأى كل فريق منهم منهجه الذى تبعه (ربى الشخصى) .

والذى لأقرب ولا حرج ب الاستمرار على بعض الرأى الشخصى لا يتبقى فطر بالاستنداد فى السرور والقطاع، بل يتبقى بعكس ذلك بصيغة محال وليست القوصى من نتائج البحث الحز والمحصن الصادق، ولكنها نتيجة منطقيا والكذب وصعفى لإيمان زما ثورة ليرة صد الباطل إلا مل منه إلى ناحية الحس لوجوح إلى حرق برمرة أهل الصلاح والتقى، فاما أهل المنصهر الكدبه فمحال أن يكون يسبه صلة أو رابطة، وكيف ومضى حروف كل منهم فزاد ميت لا عاطفة فيه عنى حقيقة شىء، رلى أمر باحقيق لا بالباطل، وبذا أقرر بقلب من العاصفة على الأشياء، أقرر أن يكون منه على بحونه الأديبين عصفه ٢ كلاً به لا نأسف بالناس - إنه رجل هو صوى، والوحدة - أيدكم الله - والجامعة لا تكون إلا بين إخوان الصدق وأولى الإخلاص .

أما من حيث قولهم إن كل إنسان بعد الله « برأيه الشخصى » فإن معظم الناس ليس فهم آراء شخصية، وإنما الرأى هبة الله يهبها لأعظم الرجال. ثم لا يأس على غير العظماء أن يعتقدوا رأى العظيم ويستشعروه حتى حانهم مذكور وقانصو شربيدته، ومخترعونه ونايسو دفتيه، وحسب المرء من الابتكار والاختراع، والاكتشاف والابتناع، أن يصح إيقاظه ويصدق إيمانه. فإذا كان

ذلك، فما صره إن لم يكن من الرأى بمنزلة كشف خبيته وعاض صيته، ومن كان كذلك فهو الحز الصادق المخلص. بل إن له فوق ذلك من فضيلة لاكتشافه ولا ابتكاره بقدار ما هو ماضهم للرأى الذى يعتقدونه ويستقبله. فإن مهمك لرأى عظيم من العظماء صرب من الشركة مع ذلك العظمى فى إحداه، وكذلك لكل امرئ أن يكون متى شاء غلصا صادقا، أعنى مبتكر بمعنى ما. بل بعد زجده فى أمانا وشعوبا كل أفرادها مؤمن صادق، تلك أمه حتى وشعوب (بند - وفرون الصدق والخلاص، وأعصر البر والدلاج، أعصر مباركة وفرة شمرت، كثيرة الخيرات، جهة المبرات، إذ كل فرد يقوم على أس الحقيقة لا الباطل. فكلى شعرة عمل بآنية النمر، وكل لقحة صعب غزيرة سر، وحاصل الجميع جم وفر، بما كان كل فرد يضرب إلى ناحية واحدة، ويؤم غرضا بذاته وأما بهيه، هذه أعصر لريح لا الخسران، وأرض المريد لا القصد .

ز - برز سدة لربين بمقاطعة ساكسويا من ولايات جرمانيا لعشر خلون من شهر نوفمبر ١٨٨٣، وقد ليست تلك البلدة بمولده حنة فخار تبقى ما ليس النهار حلة الشمس، وتاج مجد يدرج ما ككل البدر هامة الليل. وكانت أمه وأبوه وهو صانع فقير فى بعض معادن البقعة المسماة « موهيرا » قد رجا إلى سوق ليرين لشتوى، فأخذ السيلة المخاض فى حومة السوق وغماره، فعادت بدار حفيرة رويدت غلاما سمى مارتين لوثر، عجيب والله ذلك لول زيرمونه. لقد ذهب هذه مرة « فرلو لوتر » وبطلها إلى ذلك السوق لتفضى حاجا من البيع والشراء - عنه شمع لمه ما كانت مسحت من ثياب الصوف، ولشترى دجيرة خشب - درها حفيرة، وبعض من ذلك اليوم لم يلك فى طول الأرض وعرضها أثنان هما أصغر شانا وأجل ذكر، وأقل حظرا من دلاء العامل المقيم وزوج

ومع ذلك صفانا ملوك الأرض وسلاطين العالم وباباته وعلما منه فى جانب ذلك لاشى ' لقد ولد له بعض حسب، شمس لله شهاب، فإد مسوف يمتد على شربون، لفتت شعرة، فى ذنب لوم ولد بطل أطل السكالك الأرض (الأنطون)

... وحواله التاريخ اجتماعه وترحابه . عجيب والله وعروب وخطيب على
... كبره ارفع ذكرى ليلاد أقدم عصراً ، وأسمى مرسلة وأرفع قدراً ، وقع
... فب وتمامه عام ، وهو حادث الصمت إزايه كولي من الكلام ، وما عساه
... في مثل ذلك المقام ؟ ويزعم الناس بعد لوثر ومولده أن الأرض قد صفرت
... معجرات . ومعص من الآيات كلا وأجاء الله بما العالم عرس في
... أعجاز ، والمعجزة من نيات ذياكم الثرى .

وأنرى أنه كان ملائماً جداً لوطية لوثر في هذا العالم ، وحكمة من الله
... بعد أن ولد ذلك الرجل فقيراً زري فقيراً كأفقر عباده ، وكان أيام تسميته
... يستعد القوت منسلاً من نساء من دار وكان البوس رفقته ، والكبر
... حقيقته ، والشقاء أبداً مجاهره وجهها بوجه ، والديها تكاشعه الكره والعدوة لا
... تحادعه قط بر حارب النازل والكذب وبورق الأمل الخلب ، وهكذا شب لوثر
... بين حقائق الأشياء لمرة المصيبة لا طهرها الملوحة المصفولة . علام حش أهلة
... ضعيف الية في جوفه روح كبيرة نهمة كلها ذكاء ، وشعور شب في منظم
... مورج البلاء ومصصم أودى الشقاء ولكن ذلك خير مدرس له تعلم فيه سنة
... حق وأنف صحبه احتق ، وهذا راحته في الحياة أن يعرف الحقيقة ، ثم يرجع
... بينها العالم الصال بما قد طال في الباطل لجاحه ، واشتد بالروور والكذب لجاحه ،
... علام نشأ في مهد الموصف ، ورى في حجر القور والمهرير ، وعذته مرصعت
... فيه وسكنه ، وعازله باتت للأساء والكمد ، فخرج من أحناء وطه حروح
... نور «^(١) من صمير إسكانديانيا ، وكيف وأنه ما انفك يضرب في شياطين
... فيمك والروور ، وأبالسة لشكر والتمسور ، كما كان يفصل «^(٢) ثور » بالجان
... مرده ، حتى هزم كتاب الكذب والجمال ، وكشف جنود البذع والضلال .

ونعل الأمر الذي كان منه محمول حمري حياته هو موت صديقه
... كسيس» بالصاعقة ، لقد كان لوثر أظهر في زمن لظفرته وصباه أشد الليل

به الرعد عند الأسم الشمالية الوثنية وقد مر ذكره .

للمرس واند كزة رعد من كربات الفجر . ورجا أسواه أن يكون له في الرقي
... قسمة فأركاه طريق لدرسة العصفية ، لأنهم نصرتك يدك إلى الهصة
... والصعود ، فرضى لوثر بذلك وصى ككزه ، وسدغه مساع الشجي ونعصى منه
... على إحدى

فلما كان في التاسعة عشرة وقد شغص هو وصديق له «^(١) الكسيس»
... لبروز بويه في بلدة «^(٢) مسعيند» ثارت ربيعة ورمت بالصاعقة فأصابت
... صديقه ، فاد هو تحت قدمه ميت ، فاجاه مهاجى العيرة من أعناق مصه «^(٣) تها
... هذه ندما وقفا خدس الدر ، وبهاؤوس للعبلة وبارحمتا للإنسان ما هذه
... الحياة ؟ أتروى في لعنة . خذ ولح البصر . وتذهب كاتر طاس طوته ألسنة اللسان
... فصبح في مجاهل الأبد ؟ ماذا الدنيا وماذا الدول والممالك والسلاطين والقيصرة ؟
... كنهم في البرز ؟ يساهمهم ربهم ، عني الأرائك متكون . تدع الأرض ماها
... هذا هم في بطنها ثاورون ، وبالفقر والرخم مكحولون ، والسلم والمصاراة
... مؤسسون ؟ بلى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، عزيم
... من ساعته على الانقطاع لله وعبادته طسول عسره ، وأصبح قسيس كيسة
... القديس ، ثم أن لوثر أوحاسين ببلدة «^(٤) أرفورت» برغم أياه والكهنة من
... معاره .

ولعل هذا أول شعاع برق في تاريخ الرجل ولكنه شعاع وسط ظلمات ،
... وقد حدث نفسه أنه كان في تلك المدة قسيساً صالحاً يجهد ويجهد ليردى وظيفته
... ويردك السعادة . ولكن عبثاً حاول فما عصف مصابه ولا قلت شقوته ، ولكن
... تصاعف عليه البلاء حتى جاوز كل حد ، وما أشقاء لا من كد في عمله ولا
... نصب ، ولا من مهانة العمل وظله أثناء البلاء ، وإنما لسقوط نفسه إذ ذاك في
... أسحق مهاوى الشك والحروب - الشك في أنه على الهدى والخوف من عذاب
... الله في الآخرة ، وقام بمخاطره أنه قد دنا أحده ، وشر من ذلك أنه قد دنا عذابه
... الأبدى . أليس في ذلك دليل على خشوع الرجل وضراعه وإخلاصه ؟ لعله
... جعل يقول في نفسه «من أنت أيها المسكين حتى تدخل الجنة ؟ أنت الذي ما

عزوت إلا الشقاء والحرمان ؟ كلا ذلك مقام نور الشمس » ولم يكذب يفهم
 يهب أد في الصوم و تتحدد وتكالف الدين والكنيسة منحة للمرأة من النار ،
 مصر تم هوت نفسه هي أعتد طلسمات ابليس ، وجعل كأنها يرتج به على شعاع
 حرف حار
 وكان عشوره على نسخة قديمة من الإنجيل في مكتبة أرفورت حسنة أكبر من
 حسب الرمس ، و ديث فط فيها أبصر الإنجيل فلقه درسا خلاف درس صيام
 و سجد ، و أعاد عني ذلك ح مي . لله قسيس . فعم بونترن لنقد رايان من
 وهذه البلاء ليس هو نشيد الصلوات وترتيل الآيات ، وإنما هو الله ومرحمته ،
 ودلت قرب إلى العقل وأوقع في اجدان . فاعتصم من رحمة الله بأوثق عروة ،
 ونسب من معصرة الله في أروسي طلود وهصبة ، ولا بدع أن جعل يقلس الإنجيل
 الذي أسدى إليه ست نية ، فأجده كما يحمل مثله كلام الخالق ، وعزم على ألا
 جبد عنه أضعا . وقد كان منه ذلك حتى بقي وبه .

مكان ذلك خلاصه من أسر الشكوك والريب ، ومتحاته من مرتطم الخوف
 والجنوح ، وانتقاله من الصلال إلى الهدى ، فازدبت نفسه من يوم إلى آخر غيطة
 وضما ، وراحه ورحم ، وكرت النية الطبيعية أنه أظهر للملا ما كان مكتما
 قبل في زوايا صدره من المواهب الإلهية ، والصفات الطبية ، فأعطاه الرؤساء
 و بوعوه من اللوح ما هو أهله ، ووكبوا به أمر البعث ، فكلمنا أب من رحلة
 كلفوه أخرى ، ثقة منهم فيه باحزم والصدق ، ثم اختلوه أمير المقاطعة
 « فريديك الملقب بالعاقل » ، وكان عاللا عادلا أستاذ في جامعة « ونهرج »
 فحس أنه ذلك العمل كما أحسن البلاء في جميع ما نيط به من الأمور ،

ز جعل من يوم دن جر يدعو في أطار الناس ويتعلم في نفوسهم .
 و دس في نساعه والعشرين من عمره أن رأى مدينة روما لأول مرة وكان
 لها بوسنة من بيسرد ، ولا يحال إلا أن لوثر عجب لما أبصر من حد الباب
 « بونيرس النامي » وسائر أحوال روما إذ ذاك ، وكان ظله أنه قد أتى للمدينة
 القلعة عرش ولي الله في الأرض وإمام الناس وهاذ بهم سواء السبيل ، فإذا هو

ين فسق وفسور ، وغفلة وغرور ، وويل وثبور ، وويل إثم وور ، وبلاء وشو ،
 وباطل ومسكر ، وما أحسب إلا أن هذه الحياة السيئة قد بغت خاطره في أودية
 الفكر وشعاب اللطن ولكنها كانت هواجس لم يرفعها قلبه إلى لسانه ، ولا
 أسمها وجدانه إلى بيانه ، لقد علم أنه لا يصير أمامه هدى ولا حقا ، ولكن ماله
 ولذاك ؟ وأني لرجل ضعيف مثله أن يصلح عالما ويقب دينا ، حقا إن لخل هذا
 بعض لاساما غيره أعظم قدرا . وأكثر عظرا . وحسب لوثر أن يوقه الله إلى
 ههنا ، ويسلده إلى عظمة الحق عطاء . وحسبه أن يقوم بواجبه في حقبة
 وعمره . فف نعم فعاء ، لله يفعل به ما يشاء والله في خلقه شاكرون .

وكسبت برك بونتر هده البابوية الصالحة وشأها وعاد إلى بلاده . فعم تركها
 وشأها . ولم يتعرض لها إلا بعد أن تعرضت به ، يقص عليها ويسطر بها حتى
 هاجته واستأثرته ، ومن أكبر فصل الله أنها هاجته واستأثرته واستدعته بذلك إلى
 شن العارة عليها والإيقاع بها ، إذ ماذا كانت الحال تكون وإلى أي شيء كانت
 تصير . الأمور ، يوم يثر بونتر ثورة الأسد المنحد في وجه ديث المنهب الباطل
 فيود عزمه ، ويغل غريه ، ويكف منه عن العالم شرا مستظرا كأن يؤذن بالويل
 المصه . ولحطب الحبيب . والتلف العميم ؟ ماد كان يكون لأمر لو قد
 استمرت تلك البابوية تضرب في سنن غوايتها ، وتغن في طريق عمايتها ، من
 غير أن تعرض بونتر في سببه ، وتصادمه في مهجه فتضطره إلى الحملة عليها ؟
 ي الوضح في أنه لم يكن ذلك ما كان بونتر ليوره بت شمه عن معاند روما
 ومواقفاتها ، وإنما يحمل الأمر في ذلك لله شيمة الرجل المتعصب المتواضع الذي لا
 يورى من شأنه أن يستطيل بالنسفيه على قوى الأمر من غير أن يكون لمة موجب
 أو علة ، بل يورى كما قلت أن حسبه من التطفل بالمصيبة على الغير أن يتضح
 لعنه ويعى بها حادة الحق وسهح السداد ، ولكن البابوية لم يحمها ما أتت في
 سائر جهات و لأمصا من «نصل والتعوير ، حتى هجمت على لوثر في قرته
 مخفيرة فسامه حطة احسب و نصيم فأكب ، وبه الرجل «ناب» هف أنه إذا سم
 الحسب فان لا عجز فيه . وبيان ذلك أن الباب «سو» «ناب» حناج إلى المال

٥٠ - سلباً متلاقفاً ، فابتعاه من وجهه حرام وطريق عقوت ، إذ جعل بيع الناس عنه ، وعقوا لله لا يحتاج إلى شفاعتها ولا بطريق ، وما هو بالسلمة تباغ في السوق بالذهب والورق ، وإنما هي بصاعة لا ثمن لها إلا الإخلاص الصريح ، لا به بصوح ، وضع المذهب يقرع وحتيته ، وسه يضرر سيايته . فكان كان من تنعيم فالتسديد المسيح ومحكم التنزيل ، وآيات التوراة والإنجيل ، ولكن « ربي اظهره فشبها في الناس فأرسل فيهم رهبانه وقساوسته بتلك الأوراق مدسة المرولة ، وكان يسميها أوراق العمران . ومع كل واحد صنفون فيقول الناس « من كان له في إنجيلهم صاحب أو قريب فأحب أن يقرأ الله له وينقله في حبة ، فليسد في هذا الصنفون قرصاً ، فإنه لا يكاد يصل حتى يظهر الروح المحدث من مثواه في أسر إلى أنفسر مقادير الجنة » .

٥١ - أحد هؤلاء الرهبان واسمه «تنزل» على بضعة فراسخ من بلدة «توتوج» حيث كان لوثر ، فأسمى إليه كثير من العامة لسناءهم ، وبلغ من شره أن بعض يقوم سد طاعة لوثر في كثير من أوامره اتكلاً منهم على ما اشتد به من عمو الله باللزهم الملقود ، ففقد ذلك في أحشاءه لوثر ، ورأى أنه قد آن له أن يثور في وجه البابوية الكاذبة ، ولم يخلص الرهبان «تنزل» بل قال « إن يشأ ربي وربكم فلا صدغن مروت ، ولا تخن أنته » .

ثم كتب رسالة أبطل فيها عمل البابا وطعن في معتقده ، وأرسل صورة منها إلى بطريرق ملينة « ماجندروج » شيخ البصيرية بالمانيا ، وعلق صورة تمضاة باسمه بباب كنيسة « وتوتوج » فذهب هذا النبا مهيب الريح في كل وجهه ، وطار في أنحاء العالم الأوربي مطرد البرق .

وأنذر الرهبان «تنزل» فزول بسدة فرانكفورت الواقعة على صفة نهر «درا» ، فكذب رجوداً على أقوال لوثر وشرها ، فتناول تلاميذ لوثر نسخة منها فأحرقوها بيللة « وتوتوج » . وسمع البابا بذلك فقال متهمكاً : « لا إخال أن لوثر هذا من نوايغ العالم » واستمر لوثر يكتب الردود والمطاعن وينشرها زعماء لباوية وأنصارها ، وتقوم بيه ويهيم سوق المناظرة ، وعجمي به وبهم ويطيس

الجدال فيمنع بالحق باطلهم ، ويدفع باليقين شبهاتهم . وما زال ذلك دأبه وحالهم حتى نفذ صبر البابا ، وذهب عنه ما أتقاه التجلد من رفق الاحتمال والمطاوله ، فشر لائحة كفر فيها لوثر ورماه بالخروج والزندقه ، وأمر بكتاياته أن تحرق ، وبه أن يرسل مكبلاً في الأعلام إلى روما لعله ليحرق أيضاً فيلقى من الجزاء ما يعي القسيس « هاس » من قبله ، وبه مناظرة الدار ما أنصهر وما أنسرع ، وما أقرب إلى العاية وحسم النزاع ، يا للظلم ويا للفجور ! يستدعي البابا القسيس « هاس » ويعطيه عهداً الله وميثاقه ألا يكسه بسوء ولا ياله بأذى ، ويحصر « هاس » رجلاً لا مشاعراً شديد الخصومة ، ولا مشاكساً لئلا يجدال ويثما رجلاً سهل الشكيمة من «عطف سلس العال ، فيدعونه سحناً أصيب من يباسهم لئله ثلاث أفرخ في مثلها ، ثم يضرمون عليه نار فيقتصرون بصورم النهب صوتاً ما رفع إلا في طاعة الله . لبس والله ما يصنعون ، وسرعاً الدبس صموا أي مقنن يقبلون

٥٢ - أحد الذين يصحون ساحة العصر ليوثر في قديم الآن صد البابا ، فإن ذلك البابا المذوق الكافر والوثني الأتقي الثوب السالط الطعنة ، لما أوقفه بده لخرين مكتوبات لوثر أصبح بها حنفاً وسعر بها غيظاً وحرراً في أنشجع فزاد كان إذ ذلك في العالم - أنشجع فزاد وأصرعه الله وأشدته تواضعاً بلى نقد أسعر ذلك العزاد وتأنجح ولات حين يطفء . وكانى بنوتر يقول في مصبه جيداًك « تخرق يا هذا الرجل كتابتي هذه وما أريد بها إلا الحق والهدى ، وم يعد بها في غير الله ، وتسمى بمسك بعد ذلك إمام الناس وخليفة للمسيح في الأرض ؟ يُعص الجواب عني هذه الأوراق ، حررها وما فيها إلا عصاة لك وحكمه ، وتريد أن تخرق كتابي ؟ أنت خليفة الشيطان ومثوث مشوه ، ودارك مغنى لإبليس وخنوده ، وعش لخصايش العصى والجهالة ، وجحر صوم السمه والصلالة ، وراي لأشهد عني لا تمسكك تمك التي أصدرتها بقمه على بابا . ب واخوور ، ونيس لنا لدى إلا البار ، وبفعل بعد ذلك ما تشاء » ثم يار له جمع من شيعته ، أنصاره مجمعا ورفضاً ، فأحرقوا فيها لائحة من وكنيتوا

عليها اعتاف والصياح يجرأى من مدينة « وتبرح » ، بل يجرأى من العالم أجمع .
 لك الله أيها الناس : ليسما صنعت إذ استشرت من صدور الناس تلك الصيحة .
 فيها صيحة استيقاظ الأمم وإنشاء العالم . لقد طالما أوعرت صدر ألمانيا حتى
 صاق ديك الصلح بها كطعم ، وحتى طفق ذاك الإناء ولم يبق في قوس الصير
 مروع . ولقد طال ينس حكم لصلال ، وتراحت مدة الباطل وشاخت فيهم
 دولة الزور والهتان ، وقد آن للحق أن يحيل عروشها فيهدمها .

وهل كان لوثر إلا من قبيل الأتياء حاطمي الأصنام ، ومرجعي الناس إلى
 حقيقة يعد طول الإقامة على لصلال . وتلك طبيعة العطاء عامة ؟ أو لم يقل
 محمد (عنه السلام) : لناس إند أصنامكم هذه حشب لا تنصر ولا تنفع ؟ وهل
 كانت مقالة لوثر لبنا إذ يقول له (ما هذه الأوراق التي تسميها أوراق المعو إلا
 كسوية وأصولة ، وما أنت والنصو عن الناس ؟ إنما ذلك بيد الله) إلا كمقالة
 محمد ؟ الله أنت يا لوثر أي كشف عمة ، ومقدامة ، وأي مرجح شياطين ،
 وسيف على رقاب الظالمين أنت ! وبأي أنت إذ تقول ولا تبالي بمران البابا ولا
 جيوش السلطان . « إنما المعو بيد الله والأمر لله وحده ، وإنما البابوية وما
 بدعوه من تلك الرعاية الروحانية إفتك وزور . وكيف وما أراها إلا أنوابا
 مرقوشة ، وأوراقا مقوشة ، وما كانت تلك المواد الحامدة المبنة لتكون رعاة
 بية ، ورعاية روحانية ، إنما هي حقيقة رائعة ، وما دين الله وفردوسه وجحيمه
 طيل كليل ولا أكديب ، فيها وحده ، أو من وبه اعتصم ، وعليه أقوم .
 فيه أصرب أو تادي ، ورسي أضادي ، وبني إذ أفعل ذلك لأقوى منكم جميع ،
 عصمه . الله أمتع للمؤمن من جميع ما يشدونه من القلاع والمعقل ، وبأس الله
 يا أسكم أشد ، وكبده من كدكم أقوى ، وأنا وأنتم بصر الله كمن قبل
 كادوا وكدت فأرهقت ما ديروا . إحدى هتاتك إنما يرهق

أنا في وحدتي يهدي الله قوى ، وأنتم في جموعكم بالصلال والكذب
 . . . من صاعة الله مدحج في أكمل سلاح وأحصى حجة ، وأنتم من
 عسية الله في أعمال وثاث وأطمار وعائيل ، مكشفو العورات حاسرو المقاتل ،

وأنا من تقوى الله على صخرة أصلها تحت الثرى وفرعها في السماء ، وأنتم في
 باطنكم كالشكوى على الهواء ، والمعتمد على الماء .

ثم جاء بعد ذلك حيلة « ورمز » وظهر لوثر هيث . ولعل هذا كان
 أجل مشهد في تاريخ أوربا ، والجمع الذي منه قاض تاريخ مدينة الحديثة ، والذي
 كان من أمر هذه الحيلة أن يمرضور ألمانيا شارل الخامس - أعينه الخيل في لوثر
 ولم تنفعه فيه المناقشات والمجادلات ، وكان قد عقد لجنة للنظر في شئون
 الولايات ، استدعى لوثر ليعرف ما عنده وليتهدى معه عند حال ، وكان المجلس
 حافلا بجميع الوجوه ولأشرف وأمر السولة والسولة ورعما الدبس وسبك ،
 وإلى هذا الجمع لحشد استدعى لوثر من قريته ليسأل ألا يزن مصرأ على رأيه ؟
 فيجيب نعم أو لا ، خصمان متواجهان ، وقرنان متبايزان ، أحدهما : قوة العالم
 وهررة الدنيا وجيوش الأرض ، وثانيهما : رجل فرد نجل الصانع للسكين « هانز
 بوثر » قالما في نصرة الحق . وقد نصح إليه الإعران ألا يذهب ، وذكره نبيا
 القسيس « هاس » ليكون فيه عبرة ومردجر ، فأعلق دون كلامهم أدنيه ومضى
 على عريته في الذهاب وصمم ، وقال (تالله لأذهب ولو أن بمدينة « ورمز »
 من الشياطين بقدر ما بها من الخصى) ، وجعل الناس يصيحون به من نوافذ
 الدور وشرفاتها وهو سائر العدة إلى الحيلة ، أن أقم على مدتك وتشيت برأيك
 ومذهبك ، وإياك والاختلال والهرجة وجعلوا يتمنون . . . من إاجل في ذلك
 معي ، ذلك ما عنده إليه من وصه . وهل هو في الخيفة ، لا حسب العام أجمع -
 طلب العالم الذي جهده أعلال الباطل ، وشعته ظلمات لصلال . . . وأخذ بكلمته
 شيطان الجهل حتى بلغت الروح التواقي - طلب العالم يصيح بلور . أعنا أدرك
 يا بطل الأبطال ، فإن مدار أمرنا عليك ، وأرواحنا في يديك .

ولم يحسم لوثر ولا خيب فيه آمالهم ، وقام في المجلس حصص منكم ما عين
 كلاما سنده الحكمة ولحمته الإخلاص والصدق ، أبان فيه أنه يدعو للحق وليس
 بعيره يدعن ، وأد كتاباته بعضها من إملاء صميره ويعصف مسند من كتاب
 الله ، فأما ما كان من باب خاطره هناك مليء بالعب وحضنة كلام بشر ،

ومن أكرم ما امتاز به لوتر فضيلة التسامح . وبها كان يحفز الأمر الأساسي للجوهرى من غيوره . فقامه ذات يوم عن بعض قسوس المذهب الجليلد أنه يعط الناس مى فلسفته (وكنت هذه سنة المذهب الكاثوليكي وعامة لمبادئ الله الجديده) فسم يعل لوتر بتلك الشكوى بل قال : « رأى ضرر مى الفلسفة ؟ دعوه يفسر فلسفة نوتلان إذا شاء »

وقد ذكر « ريشتر » لوتر فقال : نقد كانت كل كلمة من كلماته كموقعه حربية ، وما أعطى فى قوله ، ولعل أهم صفات لوتر هو أنه كان يستطيع أن يجارب فيفسر ، ويقاقل فيفسر ، وأنه كان قطعة من الشجاعة ، وقلته من المروعة ، ولا تعلم قط فى « تاريخ الحديث والعابر إنسانا أشجع قلباً من لوترس ، ولما قال فى مدينته « ورمز » كلمته الماثورة وهى : « ولو أن فى » ورمز » من الشياطين عدد ما بها من المحصى لما جعلتها « لم تلك لهرد الاتعصار والتيه كما يكون فى مثل تلك المواطن ، ولكنه كان عن عقيدة صحيحة بأن هؤلاء شياطين يعترضون عباده الله فى مسالكهم بالشعر والأذى ، ومن يذهب إلى الترفه الذى كان يكتب فيها لوتر ترجمته للإيجل بر عسى أحد محيطاتها بقعة سوداء - إثر موقفه كانت له مع شيطان من الجن ، وأصل ذلك أن لوتر كان جالساً فى تلك الغرفة يكتب ترجمة الإيجل وكان قد نهكه الكد ، وأعيابه الجهد ، وبلغ منه المرض والنصوم ، وكان من أثر ذلك أن تراءى له شيخ منهم الشكل يخوف الحية فحسبه بليس أثناء ليقعده عن عمله ، فثار لوتر ثورة جدير ، وأخذ الدواة فرمى بها الخيال فبذره هو قد مس . وأثر الدواة فى حائط بقى إلى الآن آية ديلا على أمور شتى ، وأن فى قدرة أى تلميذ بمدرس الطب أن يكشف لنا القناع عن هذه الحادثة ، ويحل لنا مشكلتها ، ولكن اعتقاد لوتر أن الشبح القائم أمامه هو إبليس ، ثم يهتته فى وجهه إبليس وقذعه إياه بالدواة دليس على منتهى الشجاعة وأقصى حدت اللبس والحدة . ومن كان لا يهاب شياطين الجحيم وأبالسة جهنم ، فهو آخرى ألا يهاب ملوك الأرض وحارثهم ، وقد كتب مرة العبارة لاسه : (شيطان يعمد أن عملى هذا ليس ينتجة رهبة ولا مخافة ، فليقد طائلاً رأيت)

وأما ما كان مأخوفاً من قول ، لله فأساسه الحق وليس يبرأ منه أبداً الدهر . ثم ساعد : بتسويه بالحجة والدليل ، دحضوا حجته وأن له عليها وصار إلى ما حبر . قال : « أما لا أخاف ما يلغرنى به العقل واللبى ، ويوحى إلى به صوب حق من روايا الصمير والعفس ذلك ما فى رسمى وطائفى وليس فى عه فعد ولا دوى مذهب ، وعلى شى أنوكى وهو حسمى زعمه لوكيس لا سرو بها لإحور . ثم هذه كانت أخصر سعة فى التاريخ الحديث ، وأن عثب قدم دعائه بمسور الإنكسور وبردياته ، والخربة الأمريكية واستفلاها ، والنبوة "موسوية" - لجها فى أنحاء الأرض ؟ مع فى هذه الساعة غرست جذور تلك الحوادث الكبرى والمسائل العظمى ، ولو سلك لوتر فى تلك الساعة عمدة أخرى لكان قد عواقب أخرى ، وكأكد العالم الأوروبى كان ساعته مائلاً أمام لوتر بماله هذا السؤال : أترى لا أزال فى عمة وبلاء وهوى بسى النحس إلى مساقط الجهل والشقاء ؟ أم يرضى الله من ذلك الداء الشفاء ، ولظلمة الباطل من نور اليقين الجلاء ، فأعبط معاهم الراحة والصداء بعد محاث القبهة للكبراء ؟

وما يمدح به لوتر أنه أثار فى وجه الدين ثورته ، وأحدث ذلك الانقلاب العظيم من غير أن يهيج زوابع الفنة أو يسمر نيران الميحاء : بل حقن الدماء فى الأبدان ، والسيوف فى الأحناف ، ولم يحول اللواح حساماً ، والقرطيس أعلاماً ، ولا استبدل من صبرم الفم فى الظروف . سبل السيف مى سريوس ، ولا من التناضل بالأقوال ، التناضل بالنبأ ، ولا جعل الكلوم (١) موضع كلام . وحلاد بدل الجمل والخصام . وقلما نجد حلاً أحدث أثر ، حلاً وهاج حركة هائلة . لا عاله مما أحدث غلالات . والتهمة من أثر عى حائحات ، وهذه من مسرمات معن والعورف . ومسرحيت كل حى ، عى لأرض عى مائة مرة مرق . وقد وفق لوتر ، دست بعض ما أنس به . خرم ونصيرة . وحررم من سبورع الخصال ، وكراثة الحلال ، وداعية الصلاح ، وساقطة الملاح

(١) الكلوم جمع كد وهو الطرح

نساخين وبادلتها . والدوق جورج لا يعادل شيطاناً واحداً ، وأين هو من
مملكة الشياطين ؟ فليعلم هذا الدوق أي سوء شئت أن أدخل بسدة « ليريسج »
به حبسها قسراً وعسوة وحسب خلاها ، ولو أن نحايتها فمطر أمثالها من
نبوقات تسعة أيام ولأه ، لك الله يا لوثر ! أي طوفان وسيل من الدوقات
يريد ! تقتحم !

وشد ما عظمي فلذين يحسبون أن شعاعة هذا الرجل كانت ضرباً من الطلش
وميث ، وصفا من الماء والمصيان والمفتونة والمعرقية ، وما أبدها عن ذلك
لا أنكر أن هناك ضرباً من قلة الحروف مصدرة قلة العطف أو قلة التفكير ،
ورث كان منشؤه وجود البصاء والحق الأعمى ، كشعاعة النور . وهل ترون
شدة المرقيمة ؟ أما لوثر فكان غير ذلك بة ، ولم أر تهمة أكذب من نسبة
عنه بالقسوة إليه وكيف ؟ وما كان قلبه قط بجلا لغير الحب والرحمة شأن كل
من مزبذع ويو ، والمزبذع إن صادف زنا أشد منه بطشاً فر هارباً ، فما هذه
شدة وتما تلك وقسوة . ولست أعلم شيئاً أرق وألطف مما كان يصدر عن
من نرس أنفاس المسودة والعطف . تلك التي كانت أرق من أنفاس العاشق
في حشر ، وأنفاس السبيح في السحر ، أنه ما كان أرق هاتيك الأنفاس . وأعمى
جسدت الرجل ، وما كان أصفاه وأخلصها من شوائب الرياء والكفة ،
سها بالعلب الزلال تنفجر به الصخرة المساء . وهل كانت كآته وبطرقه
من صباه بلا بعض آثار التفكير والتمسك والعوية عما يكون عادة في
من رقة ، والمعوس الجديدة الشعور الذكية للوجدان ؟ وهي حالة يصاب
رقة من الشعراء ، وقد أصيب به الشاعر للسكين ولهم كوبر ، بل لقد
منه بوثر وتواضعه أنه كان يحسب الطائر غيو للدقق رجلاً ضعيفاً هباباً ،
من أكرم الشجاعة وأسمها ، بل أشدها وأقولها ، هي المسفة من فؤاد كده

في كتاب لوثر المسمى « حديث المائدة » ذلك الذي جمعه أصحابه
من أقواله وكلماته من الآيات البيات الدالة على عظمة الرجل وفصله

لعل ذلك من بده عده وفده حبسه له من جد في رقة ، وصبر في حرقه ، وقوة
أنه استوعب حسية عسدة بة ، وبك لا يملك مع دسك وجد عبيها قد أوقد
لوعته ، وهج عليه ، ركندا والتاعا ، وحسا وبرعا ثم جعل وهو مشبوه
(مدهوش) حائر ، بطر في تعقب روحها الصاعدة إلى الله قد عات في آتاء
سك حو ، بجهوية وراء حجب الموت ، - بطر دهشاً حائراً وحسبكم ذلك
ديلا سبي صدق الرجل وإخلاصه وعلمه ، إنه رغما من اختلاف الملل والفتراق
الحل في معشر لأهمين لا تعلم شيئاً ولن تعلم ، وكل ما يدرك إراء حادوت
لموت السبي عظام حفيدته هو أنها ستصبح عند الله ، وأن الله أرف بها
وأرحم ، وإن خير الأمور أن يسلم الأمر لله ، فالإسلام دينه ومذهبه .

ومن ثبات مصمته أنه أطل من من نافقته مرة في جوف الليل فقال في
نفسه « عجا هذه القه الرزقاء ، وهذا الملك الدوار ، وهذا السحاب
الركام ، يا لله ما أروع وما أجل ! على أي دعامة تقوم هذه السماء ؟ لا دعامة
بلا قوة الله سبحانه رفع السموات بغير عمد ، وأمطر من السماء ماء فأنخرج به
بساتين ، وما من دبة في الأرض إلا على الله رزقها ويمه مستقره ومستودعها »
ولم يك عاداً يوم إلى دره تحفه روء معروس القمح فقن ما أنهب
مطره صخر ، غل فوق حصراء كأنها حقائق الذهب تلبي قصصان الزبرجد
بركه يعصرت حبها أحشاء الأرض وبعمة سلتها يد منه من أعماق الترد

زمن . ثم أنصرت ذات مساء مصعوراً قد حسم في وكبره على شجرة
بأحد السنين ، فقال : عجا لهذا المصفور ما راعه هول ما فوقه من هدى
السموات . يطمئن في عشه آمن السرب ، ساكن القلب ، موضوعاً أمره للعالم
لأى مبهمة ، في جناحه ووطأ له في كفه هد وما رلت شذور سراج تفصل
بصم حاحمه . وما برحت كنت القاهة تربي دياجه كلب ، وكذلك من كان
فده من يوحى رفق حواشي ، عرس مائة أدهان : أخص ، وقاما كيا .
الصحف : شرح عنون المكرم والخير ، وأمره لمروعة الر ثم ما برز في حبه
منه به موصفي حمة ماصلة هذه الأكرام المكرمة ، وجمعه بتمارين هذه

مرعات العالية ؟ وكمن من معنى لطيف بعد به البيان ، ووجدان شريف يعجز عن دينة اللسان ، أواه إيتنا لسان مزماره ، وباحت به مناطق أوتاره . وكان يقبول الشياطين لتفتر من نقضاته ، وتقعد عند وجود ألمقه ونبراته . فله أنت أيها حيا من جامع الصلوات ، ومؤلف القيصير ، بأس تسطو به على الحن وأبالستها . رقة جنبت بيلك نحو الأنعام ومطرباتها ، والألحان ومرفقاتها . إتهما والله مصلح لروحك العظيمة ، وبين هذين القطبين مجال لكل كريمة من الخصصال ، معصوب لكل شريعة من الخلال .

ورى في وجهه بوتر عبودا على حلقه فهو وجهه حشش الملايح تعرف في غصنه ووعورة زكته معنى الناس والقوة ، والنشاط وأهمة ، وفي العيس في صبر ، ووجد في سكية ، وكآبة لا تكيف ، وربة لا توصف ، ونسك كس عاطفة رافقه ، ومنها يسمد ذلك الوجه ما يسرى فيه من سيماء نرف و نسل ، وقد قلنا إن الصحك كان معروفا في طينة الرجل ، ولكن ذلك منه كانت فوق ذلك مسقية بالدموع نهلا ، وكان فيها يابيح الدمع وبخاره ، سمحه وأنهاه ، وكان أساس حياته الحزن والجهل والإحلاص والجلد . ولقد نحر خريبات عمره بعد مظاهرة وانتصاره إنه قد مل البقاء وسمم تكاليفه : زنا له عند الله أمنية هي أن يوجه من متاعب الوجود ويقضه إليه . ومن كسسته هذه وأعلها عليه فقد أخطأ ! وما أحسب إلا أن لوثر كان رجلا كثر القلب كثر العقل كثر العسر - رجل من خيرة رجلا وصعوبهم ، زره و كاه بيل الأشم ، أصم الصخور صلد الصفا ، وفي نقره وثقائه الزلال عس سسال ، وعلى جزابه الرصاص نسم صلوة ، وترف بهجة وعصارة نر ورجان ، وفاكهة ألوان . وقصارى القول إنه بطل ونسي ، وقبيح ز نيل لحقيقة ، والجلد أن يحدد الله عليه هذه الأجيال ، ومن مسوف في هذه الأرض من غابر الناس ويدل .

منه لوتر مرق شعفا فأكرم شمه وطيب مروع ، ذلك الذي سب نسي اسمه اللوريبانية فأما هي جرمانيا داتها فهو لوريبانية .

أخذت تفضحل حتى تحولت عن منزلة الأديان إلى مواطن الجدل والمناصمة ، وزالت عن القلب إلى اللسان ، وعن العقيدة إلى الحجة والبرهان ، بل ما زال بها الأصمحلل حتى صارت فولتورية ، وانتهت إلى تلك المباحثات الخلية التي كانت أيام الثورة الفرنسية ، أما في بلادنا « بريطانيا » فقد أخذت البروتستانتية صورة أخرى هي الليوريبانية ، ثم عول باليوريبانية حتى صارت الملة المسماة (البربريتانية) وهي الكنيسة القومية لأهالي اسكولالندة ، وهي ملة حق صرحة ، . سميدة محصة صادقة معرستها القلب ، ولما رما حجة في ألحاء العالم البريطاني ، وحقيق بنا أن نذكر كلمة عن مؤسس هذه الملة الإصام « نوكس » ذلك الشجاع النبيل ، وقل ذلك بذكر كلمة عن الليوريبانية ومعناها البروتستانتية في إنكلترا ، ومنها نشأت البربريتانية - مذهب القيس نوكس .

في عام ١٩٢٥ رحل القيس الإنكليزي ولیم تيدال إلى بلدة لوثر « وشروح » مجدبا إليها بشهرة ذلك الطل الكبير وخطورة معمه . وكان القيس تيدال شديد الدين والتقوى باقما على الكاتوليكية ، فرحب مذهب لوثر أي فرحب وكان قبل رحلته إلى جرمانيا بطوبل قال لأحد القيس بلديير . (إ ب يطل الله مدني لأثر كي راعي العم وهو أعلم بكتاب الله منك) ، وما ذهب إلى بلدة لوثر ووجدنا محط الرجال وملقى الرجال ، قد أودحت بالقاصدين من كل صوب وحسب وجعلهم من الطلبة ، فقد أحصوا لله ومعاونوه فيه حبه فلم يكن لحاطم سث مثل لا حجة الصيبين ، ولا لبلدة لوثر شسها إلا مدينة بست القلنس ، وكمن إذ دنوا من البلدة حضروا أحمد ، لله وصاحوا عطية وسرورا ، وهالك ترجم تيدال الإنجیل وأرسل مة آلاف مسحة مه إلى بكنلرا ولم يك هذا الكتاب قاصرا على ترجمة الإنجیل بل كان بما ضمن من أقوال لوثر كأنه قطعة من محرقة اللوربية ، عقابله الكنيسة الإنكليزية بأشد اللقت والإنكار ، وأمرت بعدد كبير من نسخته أن تحرق فأحرق في مدافن كنيسة سانت بول بعين الوزير ولوى . ولكن ذلك لم يمنع أرباب المذهب الجديد من تهريب العدد الوهم من تلك المسخ ، ومن الرسائل المهيحة التي كان يكتبها لوثر وألصاره إلى الأقطار

مات فيهم فصيلة النمامح والتساهل حتى فنى أصغر الأشياء . وهكذا تحولت حقائق الأمور في حرارة التلويح ووهج النهوة حساسهم وعظامهم ، رُضِحَ جدهم بؤله من رؤية فظيوة المبدأ أو كعكسه ما يؤله من رؤية احداثك والناموس . وبانت حياه وهي عبء من الأعباء ، وسحرة خياله من اللذة ، وكفنه قفر من السجدة .

قدم مباحث لعهد الإليصاباتى ومعارحه ، ومأسسه ومآرجه ، مسره

سور مادية وجددها ، وعبوسها وأربادها

ولقد كان البيوريتانى مصابيا فوق كل ذلك بمخافة عذاب النار وهو من ضمة ، وينصى أكثر من وقته نهب هاتيك لوساوس ، وتلك الهواجس .

وكان فى شدة حرصهم على الورع والتقى ما يخل بهم أن حياة الناس تعاديه نوع من الإثم والخطيئة . ولقد قال أحد كبار البيوريتانية أربعمار كرومبول « لشدة ما غويت وصللت أيام الشباب » وم أترك ما هدد . صلال وما عدت

العويه ؟ هي أنه كان يباشر الطب الحلال من ملاهى الشباب ونسبه . ويعبر ركنية حتم الكهل وورثة عقل الشيخ . ولا بأس على الشاب فى ألا يكون كذلك . ثم انظر إلى جون بايانان صاحب الكتاب الجليل « صورة الحاج »

كيف حدث عن نفسه فقال « لما كتب صب فى سابعة من عمري كنت محصرى جوطر الموت وهو جس النار والحشر والملة وم . نشبه ذلك . فكسب معث رعب لى ومثار قلق وكرب ، تعقبنى أثناء لعبى مع الصبية عظة من الله

(وحسرة ، ولكنى كنت أهمها وأبى إلا إقامة على دوسى ومائى » . ففسر ما هى تلك الدوب التى نسى . لا إقامة عندها ؟ هي سوع من تعب الأفعال

وصصف من الرقص ، فمأ عبه الحففى وهو الإكثار من خلاف . فقد كمال فقع عه عملا بصحيحة محموز رأته منه ذلك فأكرته . وكان له ولوع شليد

سماع الأجراس تفرخ ، وكان يحسب ذلك مأثما فكان لا يزال يهتسب من موضع تلك الأجراس من الكنيسة فقف تحتها وهي تفرخ ، حتى تيميل إليه .

لله سيرة بأحاديها فيع هارب ، ويصرف جيسا عن رقص ولاعبت ثم عد

بها ، وفى ذلك يقول « لقد صرعتى عفت رحل من خموس من لأهاب

م ما لبثت أن استهوتى بدلتها ، فلبثت يوم لأعب فطنى وقد صحتها بعمه وهممت أن نصب يندية ، وده بصوت من سماء قد مددلى صمى قسى وكأنا يقول أنهم تنصل . وتختار ترك الدوب ويعيم لجنة ؟ . إقامة عبيها وعداب النار ؟ فاصطفت لذلك رهشة ، وأطقت القطة ورفت صرعى دلى السماء ، وكأنا رأيت عين دهمى سيد مسيح يصرون كالعاصب عنى . وكأنا

يهدى بعقوبة صرمة . ن لم تقع عن لك الدوب والآثم »

وكذلك كانت بيوريتانية مريجا من شقص ومصل ، وخيفة من مسحف

والنبل ، ولنا أن نلزم من تملك الملة عيوبها ما شئنا ، ولكنه لا يستنا مع ذلك إلا الاعتراف بأنه لا يزال فيها ولن يزال جوهر من الحق . وهي بعد شمس عرسه

الطليعة ، وما إن تران تنقله فهو يسوم ثم يسو . وطالما قلت إن لحياة مدرك ومن عذ مثلا عطلة أمريكا الحالية ، وانظر ماذا كان أصلها ومشعلها ؟ لقد يعلم أن

مشاه لم يك إلا أنه صعيمة بيوريتانية من هدى هولادة أضربهم جور . مسطبان

وشقهم ظلم الحكومة ، فخرجوا من ديارهم وهاجروا منذ قرون إلى أمريكا فى تلك السفينة الصغيرة المسماة زهرة الربيع أو زينا . كان لنا خيال الزنان وشاعرهم

اقلنا فى ذلك الحادث المذكور القصيد عجم حسب أن الطليعة

هنا . خادرت المذكور قصيدتها الغراء بحروف حقائق الناصعة على صفحة العام ، ولقد كان أمريك . نى تملك القطة البيوريتانية جمعة من سرلاء مع رول هب

وهذا ، ولكنهم . يكونوا إلا كحسب ميت . فلما زلت تلك القطة فيهم كانت كأنها لروح ذب فى لجنة هدمه نعم بعد صقت به ، لا ، القوم

بلاهم ففهموا على تنج أمريكا ، وم . ن . ك ماذا كدست نمر ؟

غاباب حصر واحد سور مسودة عذر بها قدم ولا فتة

يدان ، مسهمه مع صمته الأعلام ، و دمسح وحشبة

سج وضاه من حجاب الطامة والسوك وقد غنموا به مهب

صعورة حجاب صمته هدمت ، فاب فى بالل

ويستعزروا درهماً، ويستعزروا عيوها. وأهلهم سيعلون من الأرض وطاء، ومن السماء عطاء، ثم تظلم بهم البرق ويستقرون في حيث تمام عههم الحاذقات وتنهو صروف الدهر، فيقصرون أعمارهم بالمعانة والفتى، ويجتزون من دنياههم لا حريتهم. ولما صحت مهم البيات على ذلك وصلقت انعامهم، أحلوا عددهم وشحوا أمتعتهم واستأجروا مركباً السفينة المسماة رهرة الريح - واستقلوا بها صاب السهم

ولما برزوا السفينة أقاموا بها شعائر الوداع والتشيع على صورة ديبية، ولا يزل بعد كان عملهم هذا ديبياً - وإن نشأ فقل ضرباً من المصلاة والعبادة، فحجهم فنيستهم إلى جوف السفينة، وشيعهم كذلك إخوانهم الباقون ههنا، وانتقلوا جميعاً إلى رزق السر في السماء والخوت في بطس الماء، أن يحرمهم بعين عيائهم، ويستقيم من صوب نعمته، ويظلمهم بخناج وعيائهم، هم في بلاد الغربة وديار الوحشة حوزاً متعباً، وروضاً مريباً، وكنا زواراً وطيباً. نعم لقد كان لهذه البيوريتانية شأن كبير، ولقد جعل نثرهم نداء لهم من أجل أسورة، وإن كان قدرهم إذ ذاك لم يكن إلا مع قول النار شرر، وأول الغيث قطر، وكل شيء حق، فنهما ضلوا مع صوريكه الدهر يوماً ما صحهما جميعاً.

مثل اهلال بنا فلم يرح به صوع الديال فيه حتى أقصر

سراجية وإن سحر منها الساس سلفاً فلا يستصيعون أن يسحروا منها
سب وقد أخذت عددها وليست سلاحها، وحملت الخندق والباقة في
مع عترة، والبطش والقوة في فوائده الأربع، وأنصح من وسعها سرف
زحف الجلال، وتسخير البهائم، وتسيير الجوار المشآت كالأعلام،
شدد قوى العالم

رأى في قساويح اسكون ثلاثة عصرًا جليهاً بالذكر إلا ذلك الذي

زيتانية «نوكس» وما طلك بلاد قعر لا تقيها المشاحنات من

سب والفتى والمذابح - فلم في أدنى حضيض انعطلة والسقوط

أحسن يقلل من أهان أيرسة الحايين - طوائف من جياح الأمراء وسدة نبي عليهم
جهلهم وحمافتهم أن يعرفو كيف يتفاسمون فيما بينهم تلك العالم سي سلوها جماعة
فترتهم وعمالهم، ولكنهم كجمهوريات الكولومبية الحالية لا يستطيعون أن يحدنوا
بغير حتى يحدنوا معه توبة عامة، ولا يحدون إلى تدبير وزارة سلا بلا شفق أفراد
نمت الوراثة، شجاعة هذه؟ هم وكهبة شجاعة موحشين لا نار عن شجاعة أمانا
الأول الوشيين من سكان انشمال، وأليك الذين لا عهد في مآثره، بحشية ومسالمتهم
الدعوية شيئاً يذكر، أجل لقد استمر اسكون ثلاثة جسم بلا روح حتى صبح الله
فيها من نهضة «نوكس» روحاً، فأصبح كل فرد بها نورا حاصل تقياً، وإن نشأ فقل
بطلا ورسولا نبيا.

وما يقال في مدح هذا الرجل أنه لم يطلب تلك المرتبة بجهد، ولا ملها بوسيلة،
وإنما أتته من تلقاء نفسها، وذلك بعد أن أوفى عقد الأربعين. وكان من أمره أنه عاش
طول تلك مدة عناصر انشال، قضى أيام صباه في المدرس، ثم تخرج مه فنيسيا
واعتنق المذهب الخديب - مذهب نوثر، وقد قبع من الاندخال في شبر نعيم بالإقبال
على نفسه بصلاح من شأها وبخمسها على نهج القوم، وكان يكسب بالبقاء الدروس
في الأسرات الكبرية، يشرح مبادئ مذهبه إذا سئل، نابا على بعض صدى به مبي
دعت الحال، غير حاسب أنه يستطيع أكثر من ذلك، وعلى هذه صورة قصي
أربعين من عمره، فلما كان داب يود وقد اشتد حصار على خمسة حوزج انصلحين
وكان «نوكس» سهم، وقد أخذ رئيسهم بخطهم يربط بافر جأسه، ويصل مرور
عزالمهم، ويستنهض عائر همهمهم، قال فيما قال: إنه لا بأس أن يكون من القوم
من يعمل عمله من عصاة الناس ونشر للنهب، وإنه جليو بكل من ربه الله قسبا حاططا
ولسانا نهقا أن يكذب في نشر الحق لسانه، ويصح في الإرشاد إلى الصوب، وإن جيون
نوكس هو ذلكم الرجل ثم التفت إلى القوم فقال: «أرأس هو - وصعب؟»
فما قعوده عن الإرشاد والمصحة؟ «هو افقه الجمع على معانته وقادر، به عمل غير
صالح، فاضطر نوكس إلى الوقوف، ولكنه ارتج عليه فلبث برهة صامتا حائراً، ثم
أجهش بالبكاء وخرج من المجلس يندو ودموعه على وجهه أشد عذر

من تلك الوقت فصاعداً تار ثورته وأشعل المذهب الليبريتاني في قلوب الناس ، حتى عادت الأمة الاسكوتلاندية أمة مفسوس ، وعادت البلاد وكأنها كسبية ، الناس عجيون . واعتقادي أن كل ما جاء بعد ذلك من آداب أسكوتلاندية ، وأزهار وصاعاتها أثر من آثار تلك الهبة ، بل إن من آثارها أيضاً وثائقها أوائل الناس هم فخر الأمة الاسكوتلاندية ! جيمس وات ، وداعد « داود » هيو . سكوت ، وروبرت باربر وإني لأجد نو كس ومدهه سفتان قوتهما وسرهما . قلب كل واحد من أولئك الأبطال وهاتيك العوارض ، وأرى أنها ما كانت تكون لا الليبريتانية ، نعم لقد فاضت تلك الثورة الدينية الاسكوتلاندية بالخير العميم . جمع أشاء الدول البريطانية ، وذلك أنها شئت حمرة في كبسة إدسرح (عاصمة لاندة) فإذا هي قد صارت حريقاً سرح في كل حاسب من جنائب بريطانيا . أن دارت رحي الجهاد حمسين عما زف الله إلى البلاد عروس الحرية متعة هنية ، سة ، والفصل في ذلك سدين جاهدوا له وكاهدوا وله يعموا بشرة كدهم . بها فوهم ، وما تلك بالقسمة العدل أن يسطلوا نار الجحيم وتستصح نحن . وماكل حتى الحبل وهم يكابدون ندع يرها ، وتلك حار هي كما قلت حال الجيش الزاحف على قلعة محصورة ، تبادر مقدمته الخندق المحفور فتسلها . لكي يبور القنور عني تلك الأجسام كأنها قطرة فيمحرو القلعة ويمكروها . فاسم الخطوط لهؤلاء النصر والظفر ، ولأولئك الموت لأخمر وكم من رجل من وكرومويل كاهدوا وجاهدوا ، وقاسوا وكابدوا ، ولاقوا الشدة والريحاء ، والبلاد ، بل اللوم والتعيب ، والهجوم والتبديد ، قبل أن يسوق الله للبلاد ، ترفل في الأوراق الرسمية ، والموايد البرلمانية .

إذ لم أفض الجور أن تتناول النرية عرض نو كس بالفتح والذم فيكون وهم

وي ينسوه أيا الفيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار
فب وعار ألا تزال الأجيال تستشير صدى ذلك البطل من لحده ، ثم تنصيه
... شمة كأنه بعض الحلة للجرير ، ولا حزم له إلا اليد البيضاء ، والهمة البيضاء ،
... في الصميم ، والحسب الحسيم ، وإلا أنه كان يحمل تحت ضلوعه أشجع فراد

في الأفطار البريطانية ، وأنه كان ولا مشاة أبل أهلاء جلسته وأنجدهم . ولو كان متقدس الله متقاعد العوم للوم روية به كما فعل غيره ، هم تشتمل سكون ثلاثة من لفظة نبلا ، وراح هو بغرض بركة الآسحة الملتجأ ، ولكنه أثر المروعة مع لوم الناس على الدنة مع قه اللوم . فأصبح وحده ذا الفضل المصم على بلاده ، والنعم حبة على حتم أجمع . فواضعا أن يحمل ذلك البطل على أن يستغفر لنفسه من ذنب المروعة وأنم سجد ، وأن يسأل اسكون ثلاثة العفو لأنه كان أتبع لها من الآلاف للواقعة من لم يدينو بذنبه . فهم في مأمن من مثل ما يصاب به من اللوم ، وفي غير حاجة إلى مثل ما يقدمه من الأعذار أهل في العدل أن يحمل ذلك برجل يدع السنة في سوق حق الألام ، والراحة بالنصب ، والرفقه بالشطط والفتنف ، ورون لمعترك بلاد درع ولا حبة ، وتهدف مسهام صدره ، وحمل في الله التي والأسر يسام لعذاب ألوان ، ويعرض سرعود والتقواصف ، والرياح لموصف ، إن غير ذلك من صروب المحر وصوب الدياء ولكن ينقل الناس به ما يقولون ، فبس والله بهيه قوتهم وهو يعمن من نفسه ما لا يعلمون ، وإن كان يعنيها نحن أن ندفع نعلم عن رجل لا نزال نرتع في غرس يديه ، وأن نقشع ضباب النهمة عن شمس حقيقته .

وأرى أن أول شروطنا في البطولة - أعني الإخلاص - ينطبق مما على نوكس ، وليس أحد يكر أنه مهما نكس غيره وعوراته ، فقد كان من أشبه الناس بإخلاصا ، وكيف روى كان الحق لا غيره ينشث وذلك بصور به وعريرة ، ثم يرى كل ما عدا الحق شبيها باطلا فيدعه . ولما نفى أسيرا مع أصحابه في سجون نهر اللور بفرنسا بعد سقوط حصصهم إثر حصار طويل ، جاءهم أحد سجناء يوما بصورة مريم وسألهم أن يركعوا لها . فقال نوكس « أترعم هذه أم المسيح ؟ كلا ما هذه إلا قطعة خشب عبيد ألوان وصعب أو ولي بها ، أن نطو عنى مبد . » ثم تحولها فالتقى بها في اليوم ولم يكن مثل هذا المرح بالشيء ، الرخص ولكن . . . كس لا سأل في سبيل الحق نادا يندل .

وليس أحد يكره له مهما تكن غيره وعورته ، فقد كان من أشد الناس إخلاصا ،
وأرى أن أول شروطينا في البطولة - أعني الإخلاص - ينطبق تماما على نوكس ،
وكمف وبى كان الحق لا غيره واثبت ذلك بقصر به وعريته ، ثم يرى كل ما عدا
الحق شبيها باطلا فيدهه . ولما تفنى أسيرامع أصحابه ، في سجون نهر اللؤلؤ بفرنسا يعلو
سقوط حصصهم إثر حصار طويل ، جاءهم أحد سجناء يروما بصورة مريم وسألهم
أن يركموا لها . فقال نوكس « أترعم هذه أم المسيح ؟ كلا ، هذه إلا قطعة خشب
عبيده ألوان وصنع أولي بها ، أن يصفو عني مبد . » سهر ثم سألها فالتفت بها في
اليه ولم يكن مثل هذا المرح بالشيء الرخص ونوكس - كس لا سأل في
سما الحق ماذا يفعل .

سبيل الحق فاما يبدل .
وكان يسلى صيحة فى الكراء . وعربى لم .
الحمه السداء ، ويقول لهم
سيظهر الله الحق مهما لج به الخفاء .
وخلق أنس .
ياطل الجميع ، وآنحو «ياطل على
الأيام مقهور ، وصاحب الحق على كمر العصور .
ووجهه به الدباب ، وياطل

سلك الشيطان ، ولا بد من يوم يقذف الله بالحق على الباطل فيدمقه فإذا هو راهب ،
 مثل هذا الظل من لا حياة له إلا في عصر الحقيقة ، فهو يتشبه بأعطافها كما
 يتشبه العريق في أنوار الصحرة الزكوة ، وما أحسب إلا أن الله قد طبع مؤاد هذا
 «بطل على عرار أفنده الأبياء ، فهو يبي القلب وإن لم يكن نبي اللسان وما أصدق
 ما كتب «مورتون» على قبره حيث كتب «تحت هذه الصمايح رجل كان لا
 بهاب وجه إنسان» وهو أشبه المحدثين بالأبياء الأولين من رسل نبي إسرائيل ، به
 ما لهم من شدة المسك بطريقة ، والتفاني في الله وتصحية كل شيء في تلك
 «سبل ، وشدة الإحياء بالائمة على كل من شد عن الصراط السوى والخطئة المثني ،
 فإله من نبي عتيق في ثياب قميص محدث ، وما ينبغي لنا إلا أن نعدده كذلك ولا
 بأسف أنه كان كذلك .

وقد أنكر الناس سيرته مع الملكة ماري وعاطلة خطابه لها وحشونة نصحه ، هكذا
 يرمع الناس ولكن من قرأ تاريخ هذه الحوادث وجد ، الأمر على خلاف ما يزعمون ،
 ولم ير لصالح الرجل ومقالاته من العظمة ما يستحق إليها بل إلى لأراها من الذين على
 قدر ما كانت تسمح له الحال إذ ذلك أروم يمثل بوكس أمام الملكة ليعطيها ملق
 الحاشية ، وإنما الأمر غير ذلك كان مثوله حاله ومن قرأ عمارته معها علم في غيرها ، إلا
 قحة سوفى لأميرة أخطأ وجه الحقيقة ، وأشوى مقتل الصواب ، لأنه كان من
 المستحيل إذ ذلك أن يجمع جامع بين التآدب في حصرة الأميرة ، وبين مصلحة الأمة
 الاسكوتلاندية وشرورها ومن كان همه حينئذ أن يحصى البلاد من أيدي الأجانب من
 أمراء هرسا ، ويربأ بها عن أن تكون مديا لمكاييد أمثال «دي حير» ومسر حا
 مضامهم ، ويعترف بدين الله عن مساقط الدلة ومواطني الأقدام ومواطني الكذب
 و«صلال» فعير ملهى أن يتدبر بحلاوة منق وعذوبة الإطراء إلى الخطوة لدى
 «الأميرة والحال عدها وما أصدق قول «مورتون» حيث يقول «لأن تكسى
 سماء حير من أن تحصل اللحي بدموع الرجال» ، ومادا كان بوكس يفعل وقد رأى
 «لوحان قد خابها الأعوان ، وبام عنها الأنصار» ، وتواكل من أشرفها وغادال من
 عيونها وأملأها من كان يوحى للكبرية ، ويدختر للحلي ؟ ، كان يفعد عنها فمهم
 نخاعه ، ونخس فيمن نخاعه ، ويتر كها بهيا لأندى الحوادث وعرضا لسهام

الخطوب ؟ كلا ما هذه شيمة الرجال ، ولا تلك سحجة الأبطال ، وهذا أمر دونه خراط
 القناد ، وضرب الأجياد . وقالت له الأميرة ماري حين جاء ينصحبها : «من هذا
 الذي قد بلغ من جرأته أنه تكلم نصيحة وجوه هذه الملكة وأميرتها ؟» فأجاب :
 «سيدتي أرحل من رعايا هذه الملكة وأباتها» جواب أصاب والله انفصل وقرطس
 الفرض !

نحن نلوم بوكس على عدم تسامحه ، ولا أنكر أن التسامح محمود بشرط ألا يتجاوز
 «صماير إلى كياير والقشور إلى حواهر ، وأنت التسامح الصادق هو العدل والعتاك
 النفس عند العصب ، وألا يكون مرء لسم القدرة . فأما التسامح مطبقا بلا حد فهذا
 من المكر لدى من حرق السلاء أن يترفعوا عنه ، وم أرسل الله المرشدين والهداة
 ليسامحوا ، وبكى ليحاجلوا ويكادحوا ويعزموا ويقهروا . نحن لا تسامح في جرائم
 الكذب والسرقة والظلم إذا أصابتنا ، وإنما نخاطبها بقولنا : «أنت أكذوبة وأنت سرقة
 وأنت ظالمة ، لا تسامح فيك ولا يتجاوز عدك» ، وإنما نحن في هذا العالم لخمند
 الأكديب ونقطع دابرها بطريقة صالحة ، ولست مشددا الكبير على طريقة استصان
 «بطل وإن شديها العيب ، فحسبها أن بلعا العرض من إزلة الشر وخو الباطل ، ومن
 هذه الوجهة أعنى من وجهة الصلال ولو بواسطة معينة - بالواسطة التي لم يمكن غيرها
 - كان بوكس عليهم للتسامح» .

وما كان رجل اضطهد ومنى إلى بلاد العربية أسيرها سيكون في معظم أوقاته
 إلا مر الصاع وعمر الساحة ، ولست بقاتل قط إن بوكس كان في طبعه عدوية وفي
 جانبه بين ومائة ، ولا أنه كان سعي ملطي شرس الشيمة ونم يحمل قلبه من عواطف
 الرحمة و«الرأفة» . هذا ولقد كان في جرأته عنى ملكة باليوم ، ومنى رجاحة وره
 عند أشرف اسكوتلاندا - أولئك الذين كان بهم من الكبرياء والته الميزان الراجح -
 واستطاعته أن يقص على مام النمود في تلك البلاد الوحشية العاتية وما طويلا - لقد
 كان في كل ذلك دليل على أن الرجل لم يث حرج الصلبر صس العطر ، وإنما كان
 رجلا حمالا للعب نهاضا بالفادح من الأمر ، مصطعلا بالباهظ من الخطيب . ولا
 يكون ذلك إلا لمن أوتى بسطة في الحلم ، وفصلا في الذكاء والفعل ، وقد يتعن عليه
 تهديده للكنائس كما لو كان ثوريا مجزيا ، وإنما أمره عكس ذلك لو أنعمنا للنظر ، وما

همه رز و لست . و بعمل القلوب من كل دمس ورحس ؟ نعم ولا كان ديدنه حورة بل النظام سم ، ربما كان من سوء حظه أن الجنى بل الثورة فى سبيل إعصاء غريمه ، وما كان مثل هذا الرجل ليكون إلا عدوا للثورة والثورى ، ولكن ماذا يصعب به بعد بد من ركوب الفتنة لسوء عرصه ؟ تركبها الرجل المضطر ، تركب الصمص وهو عالم بركوبه ، هذا وإنه كان على الحق ، والحق هو النظام .

ومى العجيب غير المتظر أن نوكس هذا كان فيه مروح ومكاهة ، وكان يصير موضوع الضحك فى كل شىء ، وصعوبة تزيجه غنلة من سطور العكاهة بما يلين من فسوة جعما ، ويخلى من مرارة وقارها . فلما تشاهدنا أثنان من القسوس يباب كنيسة « جلاصحو » على الأولوية فى الدعوى من ثا يتقدم صاحبه ، ونشد الحصام بينهما وعلا الضجيج رجاها بصويهما ، كاد نوكس فى هذا المظر مصحك أنى مصحك ! ضحك فيه مع سلكهم والأرداء والمرارة شىء من الرحمة والثناء والعطف . لا قهقهة وإنما اسماء تملأ أعين بشرقا ، ورجل رقق العواد ، كثير الودد ، محب لنى آدم ، أحم للقرى وأحم بصعيف ، صاحب للوصيع صاحب لشريف . وكان يتناول لكأس فى حان حمار عذبة بإسرح — دليل والله عسى رقة طبعه ونصيف شمائنه ، وأنه لم يث كتم برغم لئس بالشرف السكد ، البعد الأخلاق اعهم الصلعة ، المكهر الحين ، انصص انصص ، كلابه كان من أيتت اساس لمرأ وأرسخهم حالا .. حازم بصير جلد صور ، طويل الإغصاء عن الأمر الذى لا يفسد عنه أموره ، فإن عرضت مفسدات الشرف ، والذى قام بها على قدم ، فهو كما قيل .

صموح إذا ما الدتب لم يعدد حله إلى البوتر قبا ققا البوتر أرقسم وكما قيل :

له مسورة مكتنة فى سكيننة كما اكن فى اللغد الجرار المهند
لقد جاهد هذا الطل فى الله حتى جهاده ، وركب من عيشته متى صعبة عوصاء
بمايح الأمراء ، ويكافح الزعماء ، يصرم لا تفص من حله المخطوب التوازل ، وجنان
ثابت على الهراهر والرازل

توى مساكن الأوصال باسط وجهه بهرك الهويننا والأمور تطير

كابد والله من حياته هول حروب صبرس ، ووقائع همس ، ولكنه صرح منها بإعصام العضب بحول فى صفحته رونق لصبر ، وفرند القوز والنصر ، وإن كان عريه فلون وثلم ، وما زال الأمل طليعه حتى دخل معه قبره ، لما جاعته سكرة بات واعتقل لسانه ، سألوه « هل عندك مل » « فرجع أصعبه بشير نحو السمعة ثم دس ، له المجد والشرف وسقى عهده ثمام .

كسة فى اعتم عن مذهب نوكس كان مدبه سادة الكيسة على الحكومة ، قائمة القسس على الملوك ، أو بعبارة أخرى حاول أن يجعل عسى اسكونلاتنة حكومة دبية ، وهذه فى نظر الناس جرئته ، وحفا لقد حاول أن يسمير الناس جميعا على كتاب انه مو كارسوق ، وأن يعلم أن حد قانونهم الذى ليس موفه قانون ، شد ما ساعه عتصاف حناغ لأعيان منته الكيسة ، وقد جعل يقول : « إن هذه ست مكا مدبنا ، راما مدك دينى ، وحققنا أن نوقف على مفعة الكيسة — على تعليم والندارس والعبادة . فأجابه الوصى « موران » مستهزئا : « هذه أحلام نمة » دلب مدعب « نوكس » اندى سعى فى تحقيقه ، وإنه وبك أحقق فى بلوغ دنت وبكته نه يحقق فى حياء الدين وبعث الأمة من طول رقادف معنا كان أصل رقتها وبهصتها ، ويحمد وبهصتها ، وكيف يعنى الناس عليه مدبه — كيف يكرزون مه محوته أن يجعل الحكومة لله وتم ما لا يرب محاول وسرجو وما جاءت الرسل والقسوس لا سالك ، وقد أرادها « هلك براند » وحاولها « كروموبل » وبلغها « محمد » أو به برل نمية كل عيور غلص ، وكل ولى تقى ، وكل رسول بى ؟ ولا يصعب لا شكر دك القسس الطل تدى حاول جهله تحقيق هذه الأسبة : وأفتى فى طبعها أيمه به ، الكدح والحد ، ولحارصة الرد ، والصب والسهر ، والحس والاسر

وجود الإله الذى خلق كل امرئ وكل شيء ، وقد علم محمد هذا اللبس بأسلوبه ، وتجاه أولئك بأسلوبه ، وهو اللبس الذى ما زال كل قلب حتى يلقن اللبس ببطلان صوابه و تملك

وذلك سسمى « هشتي » الكاتب بيا أو قيسا لا يزال جليو لأبصار العالم المدعى بمقدسة ، والكاتب كيسة مستمرة تعدم السام أن الله موجود ، وأن جميع الصوهر وكل ما يراه في الكون إنما هي ثوب « لمعنى الدنيا للقدس » - ثوب « للسر كامن تحت الظواهر » - فما من كاتب صادق إلا وفه سر إلى سر سواء اعترف بذلك أم لم يعترفوا ، فهو سر سراج يستضاء به وقسيس يصحح ويعط ، ويرشد الخلق ويهديهم على طريقهم الظلم ، ومسلكتهم البهيم ، هي معاني الوقت وقدر الدهر كانه عمود من النور . ويشهد هشتي جدا في التمييز بين الكاتب الصادق الذى سببه هب الكاتب الطفل ، وبين آلاف الكتاب الكاذبين غير الأبطال ، فمن كان من الكتاب قد اشتمل ذلك « المعنى المقدس » على جميع معسه ، أو اشتمل على ناحية منها ثم لم يحاول أن يدخل البقية في حيز ذلك المعنى فهو دعوى وتلك ومزور ، بل هو لا شيء . مهما اكتسى من رونق الأبهة وجماعة المراه والمثل ومثل هذا غير حقيق أن يعلم سر الاسم بالسعادة ويعور بانها ! هذا رأى هشتي في الكاتب وهو في أسلوبه غير مومى إليه نحن في أسلوبنا .

ومن هذه الوجهة نرى أن أكثر الكتاب أثناء القرن السالف هو الألماني الكبير « جيتا » ، فقد قدر الله لذلك الرجل أن يشتمل عليه « المعنى المقدس » ويذهب البصر الباعد إلى أعماق السر لنفوس ولقد تدبر لما الدنيا من خلال الله ورونق القدس تشهد أنها من صنع الخلق ، ومنها هيكل مؤلفاته عبيها خلال الله يتعها سور من سماوى ، ولست أرى هذه إلا سورة في عصور ساد منها الفكر ولا إحداد ، وعملا من أجل أعمال تلك العصور وإن كان من أنسكتها وأنسكتها ، ولو لا غنل عوتى نكر مثالا على الكاتب الطفل هو « جيتا » هذا ، وما كنت إلى شيء أشوق منى ، بل الخوض في حديث بطولته ، وموضوع عظمتها ، لأننى أراه بطلا صادقا ، وعظمت جللا ، بطلا وعظيما فيما قال وفعل ، ورنى كان أشد بطوبه ، عظمتها وما لم يعل وبه يعمل ، وهو في صبرى به من رباب الله - وبطل عصم قدمه شبهه في كلامه ووصفه

بنى غابر في ثياب أديب حدث بلس أحد رباب التهذيب والمدنية ، وما رأينا منذ مائة وخمسين عاما سطرأ كهذا

ولكن صلة الجليل الحاضر في أمر هذا بطل وجهلهم بحقيقته ، وسوء قدرهم بقيمته يحض التعرض لتقليده وجلاله ضربا من القيث الباطل ، ومهما أخل فيه فسيبقى عظمكم من من الألفاظ ، ولن تدركوا من ثمره إلا عتلاف الواقع ، وإنما أمره دقيقة شتى المسفل ، وحسب سعة حاضرة أن توقف على ثلاثة من أكبر أبطال القرن السالف جوسون وباربر وزر زوسو ، ثلاثة كانوا من الفقر وسوء الحال يعكس ما فيه « جيتا » اليوم من الرفه وتعممة ، هؤلاء هم يظفروا صغر جيتا ولكنهم حاربوا مصرعوا ، ولم يكونوا من جاني الصياء وإن من طائفة ، ولقد كانوا من عيشهم في نوح نوح ، وألم فرح ، كأنما يساتون من بينهم سلاسل وأعلالا ، ويحملون من مواد دهرهم مصابا وحالا ، ولا بدع أن تعدر عنهم أن يبرروا من كوامن أفكارهم كل خفية ، أو يستقصوا العاية بكشف العاص من تلك (المعنى المقدس) والذي عرصه الآن عبيكم من هؤلاء لأصل هو قبرهم ، فإنهم الكتاب الأثرية التي يشوى تحتها ثلاثة من أصحاب حائرة غصة ، مشهد محزون وبكاه لبيد جمع ، فقروا بما على تلك القبور مليا .

كثرت الشكوى الآن مما يسمونه اختلال نظام المجتمع ، وكيف أن كثيرا من العوامل الاجتماعية تسيء أداء وظائفها ، وكيف أن كثيرا من القوى العمرانية الشديدة تكدر في غير مكدر وتكد في غير مكدر ، وتلك شكوى لا شك في صحتها . ولكن من نظر في جهة الكتاب والكتب وجدها أشد جميع اختلالا وفسادا ، بل أصل كل اختلال وفساد - وجدها كأنها قلب يصدر عنه ويخرج إليه كل اختلاط وتشوش في العالم ، ولست أرى حالا أنكر من سوء ما يجرى به الكتاب على جليل ما يسلبته إلى اللأ . ولو غمنا القلم في هذا البحث غمسته في بحر لا قرار له ، ولكن لا بد لنا أن نمس شاطئ الموضوع إذ كنا غير خائضين عيابه إجمالا للقائمة ، وأسوأ ما كان من أسر هؤلاء الثلاثة الكتاب أنهم وجدوا عملهم في هذه الحياة ومركزهم ضربا من النوصى . والسائح إذا صادف طريقا منكلا ومهجها واصحا مصى في سنته وأمعن في قصده ، فإذا أصاب غفلة لا يتحتم وسلا لا يمتح فحعل يظعن فيه يعنى فسادا ، (الأبطال)

ماخر به أن يفلح من عمله هذا في مصاب حمل ، وأوشك أن تمز به قريسة بين عقال
لهلات !

تذكر آياتها ما هالك من العائدة العظمى في خطاب الرجل للرجال وعطلة المرأة
أخواته ، فانسوا الكائنات والمساجد بذلك العرضي . فما من نعمة في العالم ، لا تمدح
ولا تها مسر يستطيع منه الرجل أن يعط باللسان إخوانه في الله . كانوا يرون ذلك من
أهم الأمور وأنه لا يخسر في آتية من دونه . ولله ما كان أنفله عملا وأجمله مشهدا !
فأما الآن وقد ظهرت صناعة الكتابة والطباعة فقد طرأ تغيير كلي على ذلك الأمر . أو
ليس الكاتب الذي يضع كتابا خطيا ليست عطيته فاصرة على هذه البلدة أو تلك ،
رهبه بذلك اليوم أو ذلك ، ولكنها حطه لكل إنسان في زمان ومكان ؟ وحقا به من
يحقق في عمله ، فأوجب الواجبات على كاتب الكتاب أن يترجم الصواب والساد .
وخطب العظيم والطامة الكبرى أن الناس لا يحسمون ألينة أصاب كتاب الكتب ثم
أخطأوا - وأجد كتاب الكتب أم فقروا . بعد قد يكون للكتاب شيء من الأهمية عند
طابع الكتب الذي يرجو أن يربح مبلغ من زر ، مؤلفه ، فأما عند خلاه فلا كلا ولا
يعيا الناس من أين جاء ذلك الكاتب وأين يذهب ، وكيف وصل وكيف يمكن أن
تستغل به طرق القدام والاستمرار ، وإنما يره المجتمع كأنه هو إحدى الشرائع فيتركه .
يقيم كالذي لا يلمز أين هو

أنا في أمة تكثر كنهها الله - غريب كصالح في تمسود
وصناعة الكتابة لا شئ أكثر العصور بصحرا ، أو أعجب ما أبدع الإنسان ،
« وحروف » لو دين كانت أول عمل أنه أول أبطال العالم ، وليست الكتب في هذه
الأوقات إلا من قبيل « حروف » « نوديس » ، والكتب - حرسكم الله - مسودع
حكمه العائرين ، وفيها تتجلى بأروع العصور ماضية ، والحقب الحالية ، بعد أن
هست أحساما ، وأصبح أولهم وأحلاما ولا مكر أن يغيث للهام ، ولا أصفور
الصحم ، الحسام ، والمراحم والتعور ، والمائل والقصور ، أشبه رائعة جليلة ، ولكن ماد
مانيه وأنس مصرها ؟ وإذا سألت « م » عن أعمامهم وبيوتهم وبوراهم ، ربيها
عهدنا تكي ويد في عدد أن دب مشهد تنوع وتسمو . ولم تزل عينك معها إلا
دم عافيات ، وظلولا دارسات ، ورسوم دارات ، ومعاهد خربات ، كأنها صحف

باليات تنشرها أيدي السحب السواكب ، وتطويها أكتب الرياح العراب ، إنها تفشيها
أقلام الهاطلات ، مسحتها أنامل السافيات .

لا بدى البلى فيها سطور مينة عبارتها أن كس يست سبهصر
ولكن ماذا كان من أمر مؤلفات اليونان ؟ هي اليوم عيها بالأمس لم يغيرها
الزمان ، ولم يكرها الحندان ، ولا تبسها العصور ، ولا أحتقنها الدهور ، هذا وقد عطلد
الله اليونان بين أوراقها وصحفها ، وأحيائها في سطورهم وجزرهمها ، فكأنها لم تحت
ونما طوتها من تلك الكتب صناديق وخزائن . وأصحت في تلك الأسفار ردايع
ودقائق ، والكتاب - وعاكم الله - مؤاد العالم ، هي ككل ما طرأ عليه من حوادث
وأخبار ، وخواطر وأفكار ، ووجدانات ومشاعر ، وفعال ومآثر ، ومشاهد ومناظر ،
فهم تراث للأزمنة ، ونعمة المائر للحاضر .

أو ما زالت الكتب تأتي بالمعجزات ، كالتي زعموا أن « حروف أوديس » كانت
تأتيها ؟ بلى حسنها أن فيها للس ذرائع ومجربات ، وبواعث وعرضات ، ولكن تعلم
أحق قصة وأسجعها أثرها الخمد في ذراتها ذوات الخرق والحق من بنات الربيع ،
تجدها بعد الرواج في ترتيب بينها وتنظيمه ، ثم « طروا » ما الذي شاد كيسة سات
بول ، هو كتاب التوراة الذي هو كلمة الرجل موسى خارجي الطريد راعي الغنم في
صحارى الطور . نعم لقد أقامت الكتابة في العالم دولة المعجزات ، وضمت لماضي
والحاضر بأرقى العقد وأركد الصلات ، ولاصفت بين الشرق والغرب ، وصافيت بين
القطب والقطب ، وجمعت بين طسعة ويكون في الغرب ، وألفت بين يوح وبابيون في
زمن ، وغيرت للناس وجوه الأمور وصور الأعمال ، وحددت شأنا بعد شأن وحالا
بعد حال .

فالطروا مثلا إلى التعليم وما أحدثت فيه الكتب من الأثر جميل ، وحسن النبر
والشديبل ، فقد كانت الجامعات قبل الكتب هي الطريقة الوحيدة لاقتناء العلوم
والاكتساب المعارف . نشأت الجامعة حين لا كتب يدع وتتشر ، وحين كان الرجل
يريد الكتاب فيأثر الصياح والنفد . وكان ذو العلم إذا أراد أن يعصى من علمه لم يجد
بنا من جمع الطلاب حوله فيلقهم العلم فما لم . فودد كنت في ذلك الوقت وأحبست
أن تعرف من العلم ما يعرفه « أبلاندر » لم يكن أمامك إلا أن تذهب إلى

الصرط المستقيمة . وقد كان اللسان يرمز لأمانة الكتابة ولا طابعة هو الأداة الوحيدة لبث البور والهدى ، فأن قد ذاعت الكتب فقد أصبح كل كاتب يلين من غيوب الناس ، ويأخذ برامها نحو حق ، فذلك بغير حق أمته وإيمانها ، وغدا قلت إن كتاب لطرائد والنباتات والرسائل والشعر والكتب ، هم في الحقيقة الكنيسة العامة الفعالة ، هم لأهم الموصلة . وبسبب الكتب خصنا فقط بل هي أيضا صروب العمد ، وبعضها تكون قرينة حسن صلاة لله وتسبح . أو ليس المعنى الشريف يرفه . بحث البيع في رونق نصف حقيق ، يختل من صفاء السك وشرف الديبحة في كبر حدة وألحاح حمة ، فمتخرج بأجره العس ويجرى مع الروح حتى

يطلق سامعه لدنا مفاصله كأنما صمرت أوصله الكلس

يفعل بالنفس ما تفعله للعبادة . ولعل الكثيرين لا يعرفون في هذه الأوقات الفاسدة من أساليب العبادة إلا هذا الأسلوب . والشاعر الذي يرك من جمال الزهرة ما كان في عاتق عس ، ليس كأنه أطلقك على مظهر من مظاهر قوة الله وعظمته ، وشعبية من يسوع محمد . (سبحي الشامل ، وعنى سطر خطه القلم انلوى في صحيمية الكون هدا ميبا صعبا ، حيا ساطعا ، وكأنا على لنا شبيد ، قدسيا ؟ وإذا كان هذا شأن من يصف زهرة الزهر ، فكيف الذي يتعنى بعمكرم أولي العرم وما برهم ، وما يقب دوى الفضل ومدحهم ؟ مثل هدا كأنما يحس أكباد مجذوبة من بحر المحراب ، ولعبها أشرف شرق لعبادة

وما الأدب إلا كشف وجلاء لأسرار بذائع الله ، أو ما يسمونه « السر الجلي » وقد عرفت الأدب « ميثي » بأنه البيان المستمر ما يكس من أسرار الله في الأشياء الأرضية العادية . فإن أسرار الله ما برحت كاذبة في كل شيء ، وما برحت تصادف من هدا الكاتب زهد من تيررها في هده الصورة أو تلك ، في معادير مجلدة من الوصوح ، ودرجات متفصلة من البيان ، كل حسب ما وهبه الله من الفضل . هدا هو السدى ما ران ذور الواهب اللدنية من الشعراء والكتاب والخطباء والتكلمير بصعوبة عند زعديا ، حتى لقد تجد أن شعر يورول لا يجلو من تلك الأسرار يورهم من متلا ، من ربح الحب ، وصومعي مدف ولانتقام ، ومناصف العمل والمقد الصعصع سبي في شتر ، وهي (الأسرار) أيضا كاذبة في مد صبح سحر نازر ، دلالة

« زلزالود » . حتى لقد بلغ قصاص أبلالود وحجاجة نحو من ثلاثين ألفا يمتثلون حمة يستمعو مسعده ، وإذا وجد بهذا المكان هدا العديد للصحف من طلاب العلم ، ر ه عيباء لا حزن فرصة يحسب إعتنائها . فمن وجد في نفسه للكمائة لتعريس حسم ر ذلت كذا : حتى الأمكة بأن يذهب إليه فيعرض في سوقه سلعة علمه . وهكذا ندم دفة مدد للموسى راد عيبه الإقبال من الطلاب والعلمين معا ، وبعد ذلك صبح كذا . لا يحتاج إلا إلى التفات السلطان إليه ليجمع تلك المدارس المتعددة في مرسد ر حدة ، ثم يجمعها للماسي وشر واسع ويسميتها جامعة ، وهذا هو في نظري مشا خدمت

وسكن . شار الكتب وسهولة احتلالها قرب الأمر قدام الرأس ، وندرة لأس ، ومضى فوجدت طاعة سحت أمر الجامعات وعيونها عبرا ميبا ؟ إذ لا يصح المظلم في حاجة إلى أن يجمع الطلاب حونه لسمعوا مده وما هو إلا أن تطبع الكتاب حتى يتاوله من ناقاضي الأرض عيمة بلا عدا ، ويرتشفه شربة بلا رشاء — هنا مرير — وهو متكني على أركبته ، مرتفق فوق وسادته ، ليقلب فيه القصر ، وينعم في معانيه البطر إلا شك أن في اللحظة لرية خاصة ، حتى لقد يحسن أحيانا بكتاب الكتب أن يخطو . طلابهم أيضا ، وحسبكم ما غش فيه . لأن وأرى أنه ما دام للمرء لشار مسيقى لخطاة فصل لا بكر . وقيمة لا تحقر ، ومطلق لكتاب . خلاف مطلق الأقدام ولكن الحد الفاصل بين المصنفين لم يبر حتى اللحظة ، ولم توجد بعد تلك الجامعة التي يحرص معها صدور قوة الكتب وتأثير سلطانها . ولا أعرف بعد كيف تكون تلك الجامعة وما معالمها وحدودها . بيد كك معكرين في ذلك فمثل هذه الجامعة لن تكون إلا كأقدم جامعة ، أعنى أن يكون من شأنها تعليم القراءة في مختلف البعات والعلوم — أي تعليم مبادئ كل صنف من أصناف الكتب . ولكن مأخذ العلوم ومقتبسها هو الكتب أعينها ! ومبلنا في العلم متوقف بعد على ما نقرأ بأنفسنا مهما صبح لنا المعلمون ، وأحاد المدرسون ، ونخرج من ذلك على أن خير جامعة في هذه الأوقات هي مجموعة كتب .

وأما من جهة الكنيسة والتغير الحادث عليها من بشر الكتب تغيير تام ، والكنيسة هي جماعة القسوس والأقباء ذوى الهداية والإرشاد ، من تعلمون بمطابهم عباد الله

علاج بلدى كان يحلّس القوافى من خلال حرركات الفلاس والمحروث - صاحب
تقنية - التي كانتا أثاريد القسرة صاعدة من أديم السراب ، إلى أعلى دوائس
سحابة - وخلقته - كل عناء صادق هو عبادة ، كما أن كل شغل صادق هو أيضا
عبادة - وما العبد - صادق لو نظرت إلا صفة للشغل الجيد المحر وتجميل موسيقى
مقرب - ومن نعم سطر رأى هالك قطعة حمة من الأناشيد الكيسية ، والصلوات
مدينية ، عطية على مياه ذلك البحر الخضم الذي يسوته بحر الأدب . فالكاتب أيضا
كسب

يشن الآن إلى تأثير الأدب في الحكومة ، لقد كان البرلمان فترة عظمت تسمي أسود
رعيه ونقص ، وتعقد شئون الأمة وتحل ، وتصرف أجنة البلاد وتقدر ، وتقطع
حكمتها وتقرر ، بعد صول الزرية والنظر ، وإيمان التأمل والعكر ، وإطالة المناقشة
، والمخاطرة ، وإيمان المجادلة والباطرة ، ولكن انصروا الآن أما ترون أن عمل البرلمان
عنا يعمل الآن خارج سريان في طول البلاد وعرضها ، بواسطة المطبوعات ، من
حرركه ومجلات ، ورسائل ومؤسسات ، وإن كان البرلمان لما يزل باقيا . ولقد قال بيرك :
إن البرلمان ثلاثة أركان ، ولكن مجلس مجرى الخالد وكنا ربعا أهم من تلك الأركان
ثلاثة . ولم تلك كلمته هذه بالمخار والاستعارة ولكنها عين الحقيقة . وقد أصبحت
صدورها اليوم أحسن منها يوم قالها بيرك ، فأدب هو برلمان أيضا ، والديمقراطية -
ثم الله - وهن الطاعة التي هي من نتائج الكتابة ، وما هو إلا أن تخترع الكتابة
في تسع الديمقراطية - فنكتابة تنبع الطاعة - الطابعة العامة اليومية كما يرى اليوم ،
ومسح كل ذي لسان يرق بسمع الشعب ، وقوة وسرعة من أفرع الحكومة راجح
الآن عند وضع الشرائع والقوانين ، وجميع تصاريح السلطة ، ولا يطر إليه من أي
أداة هو وماذا يملك وماذا يلبس ، وإنما الأمر الموهري هو أصحاب لسان ، وأصويال
... متى إليه ، ويغل غسه ؟ هذا لا غيره الأمر الأساسي ، والإقامة حكومة لكل ذي
لسان نسايتها ، وهك الديمقراطية ولا مشاحة . أصعب إلى ذلك أنه ما من قوة
... تودة في الكون إلا وسير يكها الدهر يوما ما فعالة مقروا بساطتها ، فهي لا تزال
... بل في حصاء ، وككد تحت عطاء ، تدافع العوائق والعوائق تدافعها ، وتصارع الموانع
... أو أوسع نصار عها ، حتى يخلوها صبح اليقين من غياهب الشبهات ، وتطلقها مد

النصر من سلاسل العقبات ، فتذهب شعاب الحق لكل مذهب ، وتضرب في مناصر
الإصلاح كل مصروب . ولا تستريح الديمقراطية حتى تنير للعالم ، ويصصى شمسها
كل إنسان .

أول ما يزل في كل شيء ، دليل على أن خير ما في طاقة امرئ أن يصح ، وأنحب
الأشياء صر ، وتقبل في المومس ورنا ، وأضعها على الأسديع حصص ، وتظفها في
المومس مكاء ، وألقها في العقول رجحان ، هو كتاب الله تلك الرفيع ، هذه الرقشة
التي لم يلع لمدد الأسود إلى جيل من الأمر لم تات ؟ وأي شيء له تصنع ولا تصنع
ولم تصنع ؟ ولا عرو فهل كانت تلك الرقع مهما حق طاهرها إلا أنشور . نتائج البشر
البشري ؟ هي فكر الإنسان - نصية الحرة التي بها يصنع كل شيء . جميع ما بعد
الإنسان ويحدث إنما هو ثوب فكرة ، وجسم روحه ، ورأى من آرائه . فمدينة لندن
هذه بجميع ما بها من منازل وجور ، وحلل وقصور ، وعمد ونز ، وكنايس
وبيجات ، وحرارة وصحب . وجنية ولج - ما كل هذه إلا فكرة أو سرور وفكرة ،
فكر شمله . نظام فصارت واحدة . ما هي إلا روح فكرة جسيمة قد كسدت في
الصور والحديد والخشب ، والتراب والدخان والقصور ، والبرامات والركبات
والصناع ، وسائر ما تظريه من الأشياء . وم من طوبة صنعت إلا وقد عمل بعض
الرجال فكرته كيف يصنعها ؟ وما نسميه قطعا من الورق عليها لمع من الخير إنما هو
أطيب مطهر للفكر البشري ، فلا عجب أن يكون أنشطها وأكرمها .

وقد طامنا قرأنا بعض الكتاب وخطرة شئهم في العصر الحديث .
ومستلأله على الكيسة والبرلمان والجماعات وغيرها . ولكنه يقرر لم سمعه عون ولا
مساعدة ، وعسى أن يكون قد أن للوطن أن تخلى مكانها بلاء . ت السادية ،
ولاد كنا مقرر ونعترف بأن للكتاب على الخضم العم الغراء ، والنس "نساء" ، ولهم
يخزون في سس تقدم وسعون به في مرفق المدينة ، فما بدا من سر عمه في نسو
حال من كد . حياة وحشد العيش ، من أكرهم هي حيرة تشواء ، وصلابة عيب
ويجي أن كل شيء فيه فصيحة قوة حصة ، فسيحس يوما ماثامه ، ويكس قاعه ،
ويستمر ل اصم الصورة واضح العرة ، بين الإشارة جهر صوب ، فأما : يسس نس
رى لأدب والكتابة يقتضون أجراها ، وتصور من حبه . الكاتب لاهر صا

أن يؤذنه لم يخل عما قد جعلت عليه سائر القلوب من الكبرياء وحسب الدلائل بجميع شمه ومروعه ، وأنه من رُحِب الوُجْهِ اقتلاع همه الآخرى الملقمة من توبة النفس . ثم يذكر أن تيزيد مع عباد وشرف به ، كان أقل فائدة وأصغر مثرة من نادر مع قدره وضعه به . ثم يربط به في المستقبل البعيد ذلك الطعام المنشود كان طائفة من الشحاذين متاحا لهم العوز والنكصف حتى يحسوا ما فيهما من كرائم الثمرات ، ويتعموا بهما اتضاع غيرهم باليسار والعنى ؟ ولا أكر أن العليب الكبير يبلغ بالمال ، ولكن ما يبلغ بالفقر عليب وأكبر ، وإذا علبا أن يعرف حد المال فقصف عنده ، ونعلم أن ما زاد على ذلك فصول حقه الرد والرفض .

هذا ولو فرضنا وجود الإمدادات المادية والرسم المالية ، فأنى لنا معرفة الكتاب الكبير الذى يستحقها ؟ إنه لا بد قبل ذلك من أن يجوز الامتحان الاخر . وأرى أن الحياة الأدبية - تلك التى كلها فوضى يتلاطم موجها ويتصادم بها ، هى نوع من الامتحان ، وما زال هناك عنصر من الحق فى قولهم إن الجهاد هو سبيل المصمود من وهاد الطغاة يسمى ، بل ترى تصقات العليا هو من الأمر شئ لا بد من مقائنها ، لما يترتب عليها من استنزاف رقى العائنه ، إذ أنه ما راك يولد هي عقبات السمنى من سمى أن يكون في رفيع نهار ونسمى الطغاة : حتى كيف يعظم ذلك الجهاد ؟ هذه مسألة المسائل ، فأما أن يترك هذا الجهاد كما هم الآن رهسا كحساس الصدوف ، فكذلك أفلح فيه كاتب من عصابة محارب الباقون . - يا واحد من ألف هلك في الطريق بعد التسمية تسعة وتسعون ، وبتارك مثل - - - د بروجه ولا تجود عليه إسمان بلورهم ، ومثل جونسون يوحى الوقت بين الثوب - - - سموه هي حذرته يطبق عليه قول القرآن :

ليوم علي تيلها قلبوبا نلاقي مس مويته جيانا
 ادا ما السار نم فقهه وقودا هياوشك ان نمر به سادنا
 حتي ان شرع نكتب راح وهو من دفعة العمل وعنده مع اخي والو كس
 كانه في مصماره اني بيلمه ملا عدائه يكاهج التيار . وبيت من نسمو علي حارة

جور و نفعه ، فما ذاك يعقل وإنما جور و عسف . ولكن رد هذه المقالمة لن يكون
وسمه لا بعد الجهد الجهد ، والرأس المديد ؟ و كم حزن ذلك من مشكلات
معقدة به و حده لمن على حلها . فإذا سألتموني ما هو أحسن نظام لعمل عليه
حانه حتى يفي العصور الحديثة ؟ وما هي خير طريقة لنظم شئونه و استمرارها
يكون من ذم مطابقة لركهم و لمركز المجتمع ؟ استقلت من الإجابة عن هذا السؤال
للعصور مسع غفلى عه ، و إنما المعصلة لم تتباينت عليها عدة عقول راجحة لما
نستعص بها حلاً تقريباً ، فكيف يعقل واحد ؟ نعم ولا أحسب أن أحد يقدر أن
يهل به هو . حسن نظام لأمر الكتاب ، فأما إذا سأل سائل ما هو شر نظام و خشة ؟
لعلنا قد نرى هو كائن اليوم — هذا الخطأ المساند والوهي المستحكة ، وما أبعد
ما ييسره . نظام صالح طبيب

ونبة شيء لا يتوحي ذكره ، وهو ل هـ ناك غير أمر العطايا المالية أمر أعظم ،
ألا وهو إجمال الكتابات وتقديمهم . وهو أمر كان معدوما في القرون الثامن عشر -
من المصحوح والأكبر ، فأما هـ العطايا وترتيب الرسوم فهي على صيورتها في بعض
الديار ، فلما تقربا وحدهما من الطعام المطلوب لحالة الكتاب وأبني لأحد الذين
منهم كره ما يملط به من سلطان المال وعمله على كل شيء بل أبي أحد الثقلين
ألا لا صير على الخمر أن يكون فقير ، وأنه يجب أن يكون من الفقير على الأدهان
الحناء وميبار لقيهم وأقدارهم وقد أوجدت الكيسة العصرية عرق المشاحن من
البحر نزل قدرت لهم الشهد والتسول ، وأتت الكيسة أن ذلك من أساس بشر
ج "عني وثأنيده . وهل تست المصرية نفسها إلا على الفقر والحر والاصطهاد
"التسليم رسائل أضاف لهم والمهابة ؟ وما أن قول . إن من لم يعرف هذه الأشياء
علم منها نرسا الذي لا تقدر قيمته : فقد فاته من فرص التعليم أنهما ، ومن
بالتقريب والتثقيف أمتهما ، ومن فولد الثرية والتفنيبه أكرمها وأحسنها . ولم
شهادة والجماء وليس للمسرح وشدة الجبال في الأوصاف ، بالشيء الجميل أو
شأن . في أعين الناس حتى حمله وشرفه مودة الكرم له ، ولئن أخدمه الأشراف ياه
س موضوع المشاهدة من أعراض هذا الكتاب ، ولكن من حاذق لا يقول بأن
حاشا نحو فوسن لم يقضه العتر وتبيده المائة ؟ ولقد كان مثله جديرا أن يعلم أن المال

شرح وبيانه ، وما أحسب إلا أن هذه الأمور لن يكون إلا عدم النجاح ، غير أن مجرد محاولتها فضلا كبيرا ، ويظهر أن جميع أنحاء لصير سببة شديدة بالبحث عن أولى الألب في كل جيل من جيل ، ولكل درجة من طبقة مدروسة ، فمن أشهر براعة في دنيا المدارس رفع إلى غنى منها درجة ، وهكذا حتى يعصى إلى أشرفها منزلة . ومن ثم نفس إلى مراكز الحكومة ومناصبها ، وربما قلد عملا أو ولاية ، وتلك هي الطائفة التي معها يختار «الولاة» وخكام مع الأمل والسرور . ففهمهم — وليس في غيرهم — طهرت آيات الفصل وأمرت السب والكفاء . مع فيحرب هؤلاء وإن كانوا لا يدرولو لحكم والإدارة وقد يعجزون عنها ويعيون بها . ولكن لهم على كل حال فهم وعقل — ذلك الذي لا يستصاع الحكم والإدارة إلا به . وليس الفصل آلة كما جرت الحالة بتشيهه ، ولكنه يد تمكهم أن تستعمل كل آلة مليحرب هؤلاء الغلبة ثور الألب هباتهم حتى الساس بالتحفة ، ولا أحسب أن هناك شيئا أسوأ لطلاب الإصلاح ذوي الإخلاص والغيرة من ساد الرئاسة إلى ذوي النقص ، لأنهم في الحقيقة دورو العدل والبر وسروعة الرحمة فسوهم أموركم تطوروا ، لكن شيء ، دعوا توليهم تخسروا كل شيء !

ولعلكم ترون من هذه المسائل غريب مما لا يخفى في مجازات الساس ولا يلزم في مذكراتهم ، وليس العيب في المسائل وإنما في جيل والعصر . يك الواجب أن تطرح هذه المسائل على بساط البحث والمناقشة حتى توضح ، فتخرج إلى حيز الفعل . ويسلها بعد . إنما ألقيا البصر رجدا دنيا يس وبراها باصفا على أن دولة القديم قد رأت . وب طول عمر العادة ليس في هذا الزمن حجة على وجوب بقائها ، وأن لأشياء التي كنت قبل اليوم قد بليت وفقدت مبرها ومدها . وأن لأشرف المؤلعة من لأوربيين قد أصبحوا لا يصقرون لاستمرار على أسوب المعشه القديم ورد عدت . ملا . من حتى إليه وهم لا يستطيعون إحراز انطعم . ويظن ننت الساس لا يطعمون مخصوب . على أود أنواع السطامس مدة ثلاثة أرباع العلم ، فقد ن لا شئت بالأمر أن سمر وبلاحوال أن تسدل الهد . وحسب ذلك في كلام عن انصام المؤسس لحسين حالة الكتاب .

إعصار والإحراق يعمد ويدف بشر الكلم اللامع ، فيخرج الثروات العروسية - هدم ونيم به شر النظام ونسوة . فأما النظام ، أحسن مبهات منه نحن وأنتي ن به

لا

يبد أنه لا شك هناك من أن ذلك النظام آت يحميه المستغل البعيد في حوزة حيا . في رحم الزمان الآجل ، وهذا ما أحرز على أن أنبأ به ، لأنه لا يكاد الناس يرون فضل الشيء حتى يأخذوا في تسبيبه وترجيته ، وتنظيمه وبريقه ، ثم لا يستريحون أو يروه قد بلغ منتهى ما يستطيعون أن يلمروا به . وقد قلت . به ليس في سلطات الكنيسة والحكومات بأنواعها سلطة تستحق أن تقارن بسلوة الأقلام ، وقد قال البوزير « بيت » وقد مثل أن يكتب بشيء من المال للشاعر الأكبر بارنز : « الأدب سيد نفسه زمامها ويسوسها وليس في حاجة إلى فلس » قال المستر سيد نفسه زمامها ويسوسها ويسير زمامها ، وهو أيضا سيدك ، « سودي » : نعم هو سيد نفسه يسوسها ويسير زمامها ، وقد قال له قهره ! .

يسوسك ويأخذ بنظام أنك إذا أنت لم تنعت إليه وتعرف له قدره ! . وما منظم القصر يوقع على الكتاب ، فإنهم أفراد وحزء ضئيل جدا من الجسم الكمي ، وهي جهلهم أن يجاهدوا ويكسوا حتى يصغروا ، أو ينجسوا بعبود ، ونكته يثم المجتمع أن يصح شيه ومصانحه في البرى والغروب ، وحيث نرى فنهدي ، ثم يجعلوها تحت أقدامهم ويدخلوا جواهرها الساطع شروا يستطير في حيث لا مقتبس ولا متور ، ويعرضوا أنفسهم بذلك لما قد عساه يحدث من الحريق ؟ وقد حدث ، والبر - هناك الله - هو رئيس المنافع وأصل نجية وأول حاجات المجتمع وآخرها ، وأن دنيا يتقدمها الثور لجلدية أن تنظر في حوزها مع الدهر وتكون للإنسان أحسن دنيا ، وعدي أن مرض التوفى الكندية هو أصل سائر الأمراض فداؤه تشفى للمجتمع من كل داء به وعلة . وقد بدأ في آفاق الأدب بفرنسا وروسيا بتأثير نظام نقابها بالاستيشار والتهاتف ، لأنها بشر بأن ما قد حدث في هذين البلدين خلق أن يحدث في غيرهما

إن أهم ما سمعت عن الصين أمر فيه علينا ليس وإيهام ، ولكنه يحرك فيها أعظم انشوق على لسه وإشكائه . وهو محذرتهم أن يخلعوا ملوكهم من بين كتبهم وأدبائهم وأرى أنه من الخط والخط أن تكلف أحافنا فهم هذا الأمر فضلا عن

وإن عدم ذلك الطام وإن كان من إجابات حنبلا الثلاثة، فلم يك بعد أشد من الأولات! بل كان ثمة آفة هي أصل عدم الطام، نسب كل آفة أخرى! وهي إلحاد مغرب الناس عنز وكموره. فأما خطيب عدم الندام فقد كان على مصغه يمكن احصائه! وقد كان الكاتب البطل يطبق السور على وعونة الطريق ووعونه، وعلى وحله السور ووحشته، ويتقرب بعقده الداء في الساء والمفرصة والعقبات القائمة، لولا أن ذلك العقل قد قلل من حدة تأثير ما كان حمله من الكفر والإحاد. نعم، لقد كتب آفة العظمى وظامته الكبرى ما ساد في تلك الأركان من شلال لأرواح وموت العموس، ولم يعلم ذلك الوسط السوى والخسر العاسد أثره الخبيث في قلوب أبطاس الثلاثة، وحسبى أن أقول عن القرن الثامن عشر إنه كان عصر إحاد، وقد معه بكل حبيسة، ووصفته بكل دينة وحيثة! والكفر - وماكم الله - حملة نعلن والدنيا، وحملة الداهيات والرزيا. وليس الإلحاد هو موت الأدهان فقط، بل موت الأخلاق كذلك. وفيه كافة أنواع الكذب وعدم الإخلاص وخمود الأرواح كما فست ومثل ذلك العصر أبعد العصور من فهم البطولة ومعرفة الأبطال، وجو سام بهم، والبطولة روح لا تنتمش إلا بسية الإيمان والثقوى وكيف وقد كان معنى البطولة قد غي من كل عاظر وبال، وأمسى براه كل إنسان حديث حرفة وصورها من المعدل! وأصبح قد سار به القارطال، وبات في خسر كان، وطارب به العفاء وتبدل في رياح الكفر مدد الهباء، وذاب في موج المحمود دواب. بلعد، أو حروب السراب المرقوق في أنكاف القفرة المساء. وقام بدل معنى البطولة معنى الشك والاستهداف والرسم لينة والإصطلاحات الجديدة، وأصبح ساس في عهده - لا رعاه الله من عالم - حلو من الرزعة والعصب والعظمة، عدله حولا جوه من القديس ماض فيه الشيطان والفرح.

وما كان أحيث الأفكار إذ فاك وأفسها وسميه. فذا فورثت بأفكار قداما الوثنيين سو حشيين، لا بأفكار الأتقياء دنتى وشكسبر ومسبر. وكيف وقد كان الوثنيون مسهون الحياة الإنسانية والطبيعية بشجرة جدور. في عالم الموت ومروعها في سحان، وهي هبالة غداء، وحملة عباء. كسفة - ن مصفة الأعصان، غير محصية مصول والألوان، محددة الظلال مسهين. فية. نه صرحت في جميع الأرجاء

والإنحاء، وعصت به كافة لاهق والأجواء. معنى كمار لمسة الجديدة - أهل القرن الثامن عشر - هذا التشبيه وشبهو حياة والكورن تمكية نصال صليل الحديبد، وترن وبن العالاس. يا نه أى فرق. شجرة ومكية؟ قدربو - أصلحكم الله - بين هاتين أما ما نسب نقاش فقه. العبه مكه الست بقنا. بها تدور بولب وعجل وعما يقوله الاقتصديون من عومر ونصايح وموانع، والميريس والتقيس. وكفى صايح على، فهي ن هسل نسر خلاف ربي لال المصايح، وصحيح صرح الرنايات، وأن نعلم على كل حد ليس تمكية. أقللا تنزوب بعد فصل آراء الوثنيين الموحشين على. راء نولك جملة تمديبين أصحاب مذهب «لكيسى»^(١) ولا عجب فقد كان الوثنيون قداماء آفة محصة مؤمنة، وكى هؤلاء الكفرة لأشقياء لا بإخلاص لهم ولا صدق ولا مربة ولا شعور، وكاب حق عدهم هو ما اجمع فاس على استحسانه لا يصروب. نأب شىء وحقيقه، بل إلى أقوال الناس فيه، فمقدارك من الفصل بعدد من خمر من صواب المدح وكأف عاب عنهم أن الإخلاص قد يكون في هذه سبب أنه به مصر بعد من مستحالات. بل جهونا معنى لإخلاص بالمرة. وكه من سافط كد ك يسائل الناس من صميم قلبه سؤال مدعش غير مصعب، «لا تزوى رجلا محمدا؟» أما بو حست فمسل أيها النسيم لتديق رجلا محمدا، لشد ما أنصت معنى لإخلاص. وحملة القول به كان عصر موت لا حياة، منه لا حياة كحياه مكات حركة بلا روح، وكان الرجل العامى جند لا يحبه من العرق في عذب ديك الكفر إلا ركوبه خشية صلبة من حطام نذهب القديم. ودين الثقوب - مه القرب - سلف الذى عفا ندهر رسمة وأقدم على صبه ذلك الساء حيث أدنى كى طبة فيه قلب كافر ومفس ملحد، وهو بعد لا يسلم من موقع تيار الكفر وعونب طبه وغوامر موجه. وهو هالك لا عمالة إلا أن يكون صارم العوم مدعى حيا لشد أنه قد كد. نأب سم تلك حاته بعد إلا حياة بقدها الموت. ولم يسحق من لأساء. لا لقب «نصف نطل»

(١) - سبب من سبب كذا بوعده. - بؤر. مكية

وكل ما وصفت الآن هو ما نسميه الشك وهو عولان هذه الآفات وأصلها: ولو
رأينا عدنان القلم في ذلك المصمار لاغتيال شأوه ما ليس يخصى من الساعات،
وكرر في قليل الكلام غيبة عن كثيره، وقد يُحتزأ عن طول المقال بقصيره. وإن كان
ذلك المسمى «الشك» هو الداء العقام، ورسم أنفيلة الذي إليه وُجِعت جيوش
الهجاء، وظلت كائنات القذف منذ بدء الخليقة. وحرب الشك واليقين هي الحرب
شئ لا تنتهى: ولقد تظلم أهل ذلك القرن أن نخاسهم حساب للمحرم، وإنما
هي سة لدهر وتصرفات الحلال واضمحلال المذاهب القديمة، وعلى الآراء المتنبهة،
وإعداد والتجهيز لمذاهب مسيحية، بها لمستقبل البعيد خيراً من القديم وأسمى، فكيف
نأخذ بوم بذلك وإنما هو قصاء عتوم، وقدر محمود. ومضى الرشاء لهم ورجعتهم
مدرحة عن عدلهم وتأنيهم لو بقعه. ولعرف بعد أن بعدام الصور القديمة والأوصاف
العتيقة ليس إعلاما للحقائق الخالدة، وإن الشك أو الإخاد على شره ونكره ليس بخاتمة
رأى هو فائقة

ولقد أنكرت في بعض كتاباتي مذهب بشتام - مذهب الماديين، وما إنكارى له
يطلق على مؤسسه وأتباعه، كان مذهب الماديين هو المحمود لبعض، ووجود الله،
واليقين الصراح بأن الكون محال من كل معنى إلهي، وليس هو إلا مادة حاملة
تتحرك بدوافع غريزية فيه - أقول: إذا كان مذهب الماديين هو للكفر للحض فهو
عدوى خيرة من مذهب الشك، عما أنه استقرار وثبت في ذلك بوصف الذي يقوم حوله
أهل شك في حيرة وتردد، ورأى أن الإقامة على شر الظرفين أشرف من الحيرة بين
بين، ولأن يروق المريض الشفاء أو الموت، خير له من أن يظل وهو لا حى فيرجى،
ولا ميت فيمكن. نعم ورأى أن هذه المادية المكيية^(١) هي اقتراب من المذهب الإيماني
القديم، عما أنها كانت اطراحا للتصنع والفسطة، وكانت كقول الإنسان لنفسه:
« لا شك في أن هذا الكون إما هو مكيية ميتة من الجهد، وما إلهها إلا الجادلية
والالجور والشره وحب الدات. فلدها ننظر كيف يمكننا استخراج أكرم ثنائيتها

(١) المادنة أعنى مذهب الماديين، على حد قولهم الصرائفة أى مذهب

المادية، أى مكيية نسبة إلى مكيية وقد مر تفسيرها

محس يدرة محلات ودقة تحريك اللالب! « أفلا ترون بعد ذلك في جراحة اللادة
على السمك ت تعقد، معنى توفى القوه والرجولة والشجاعة، حتى ليتمكنك
سمها بوعا من الطولة، ول كست بعد بطولة نعت عيناها! هي كما قلب الد،
القصوى لمسك الشك الذي أخذ بخناق القرن الثامن عشر - بلقها أصحانها بفصل
النصره ونصرة والخزاة وشجاعة، ويظهر لي أن جميع الكافرين والمؤمنين باللاد
لا يقب. سيصرون يوماً بى لادلية لى ساعدتهم جراحة وصدق بية والد،
كست بطونة عمية، وأب نسه النوع الإنساني في المباديات مجالوت في طاحوز
يب بنفسى سوز معقود معين، ثم لا يشك أن يشب بلميه فى أعمدة الطاحوز

فيهار موقه الساء حراما، وككه حرب يشمه خلاص
وككى مع ذلك أقول - وأرجو أن أصدد قلوب وعية - إن كل من ثم يجد في
ذلك الكون إلا آلة جامدة فقد أضل سر الكون شر إضلال، ولست أرى نقطة شمع
من أن يشهد رأى الإنسان في هذه الخليقة من كل معنى إلهي، فإن ذلك نسب
وخطر - كذب في سويد، وصميم كبد، ومن كانت هذه عبيدته فأحرى به
يخطئ، الصور مى كل شىء، وإن لا يتبع عسى سدد قط. فكل نحة يستند
ألمدتها عيه ذلك العالمة جوهرية، فهي حيرة أن نعد مى طرا شر ضلولة عبر
مستبين حسولة السحر نفسها، وكيف وقد كان السحر يحمل أهله على عادة شعرا،
حى، ونية عمل أهدبا على عيدة شيعان حديدى ميت؟ عما لها إذ حبر -
يكون من نية، أفلا قل من أن تترك فيه شيطانا؟ تها لها بقدر عورت ذلك الو -
الربع من كى ياب وشرف والجلال والبراعة والقدس، وتركه حنة بلا روح وهما -
بلا حدة، ونى الأسان بعد ذلك عسمى الأبطال، وماتر دوى الهمم والبراد، -
الرجال - مدى يسجد من ذلك مذهب الكادوب هو أن ليس مى لحدة بلا -
الشهو - شوحدة مة ولأكم، و - حقيقة الصوى فى حاة المة هي المة -
المعقوب سبر نذح وصال وسائر الماديات، أو بالاحصار هي الكفر، والحر

نفسه

أما ذ - فهو عندى صبح العقل الراجح ونتيجة للفهم الصحيح، و -
حجية م - لا توصف، شأن كل عمية حبة جوهرية. ولم معط العقل لعد

وكانني بك قد وقعت على أصل أدواء العالم حينما تسميه عالما كامرا — عالم
عنه الإخلاص — عالم كذب وباطل — عالما شطائيا ! وهذا هو ما آراه منيع كل
فه حسنة — مسح شجرات العرسوية

وإني لم لا بد من تغير هذه الحال ، ولست أتوقع لعالم حينما أصبحا حتى
مدت دلت شعير ، وإن لملي الوحيد في حس المال ، وعمرني عما آراه من شفاء
عشر زبوس الحال . هو أنني أرى ذلك التغير قد بد منه مستر وإنني قد أخذ
من بلى آخر الرجل ليؤمن الذي يعرف من هذا العالم حتى . وما هو بأكثرية
زبنة ، زبنة هو نفسه حتى وليس يحس ولا مفلسوج ، وأن العالم حتى يخلق فيه
روح الله ويجول في أرجائه رونق الجمال والجلال ، وأنه كحاله في أوائل الزمن
بكرة الدهر أو وعدى أنه متى عرف أحد الناس ذلك عرفه بكتير ، بل عرفه
الجميع على مدى الأيام ، وكيف أنه حتى واضح لو كشف الغي عن قلبه العطاء .
وطرح عن إنسان عيه الألقاء ، وكأنه بللكم الرجل المؤمن وهو يظهر من دولة
أكثر من أعقاب حجم آفل ، وبينة ظل زائل ، ويستقبل من دولة الإيمان تباشير
صحيح أشر ، ونفحات روض عاطر . ولا يرى الرسوم القديمة على متانتها إلا
خيالات تهتم بالزوال ، وأشباهها تشد للرجل الرحال . وكانني بذلك المؤمن
بخطب دولة الكفر المسيرة بقوله « ما أنت بحق وإنما حمار زور ، فادهي وعيد
العاه ! » نعم سندهب دولة الإلحاد بخزيبها من مادييات وكبريات ، ورسوم
كاديات ، وما ذلك القرن الثامن عشر بعد إلا فنتة من فئات الدهر لا شيء حتى
تصرف ، وإنني لأتأمل للعالم بإقبال السعد والضحاح ، وأخير والعلاج ، ودولة
الإيمان بنوم عمودها ، ويصير روقها ، وترتف زرقها ، وعقد
ذلك يروح العالم بقلح رابع ، وسهم راجح .

بل ما لنا وهوز العالم ورونجه ؟ لشد ما لهج الناس بذكر العالم ونجحه وحسنه .
وبما حب عني كل رجل أن يعرف أن له حبة نعمة شتى بها ، وشيوة نعمة لها .
مهما يكن من أمر الدنيا ، وسواء أفلح العالم أو أخص ، وأن عمره ما هو لمح
بمن أيدى ، وما للإنسان بعد الموت إلى هذه الحياة من كرامة ، فحذر ما لا يعش
عيشه لوكني الأصفار من كل فضل ومكرمة ، ولكن يشبهه ببلالة عماري
الطوس بالحق والهدى . وما لنا ولا اهتمام بالدنيا وما في نجاحتها ويصح لنا ولا في

حيثما مصارة ، وإنما هم العاقل أن يعنى بأمر نفسه ، وعلى ذلك منقوحة لشمس
غيره ومشغلة . وأحق الناس بالانتباه إلى هذه المصلحة قوم أولعوا بالتطواف في
نحاء الأرض قصد رقية الأمم والشعوب ، وللأسمم والشعوب إليه أريجهم بهم من
كل مخلوق ، وأملأ بتعليمهم وترقيتهم . وفكرة الجولان جدامن نتائج تصنع القرن
السالف وكده ، فليجعه بها أهل هذا القرن ، وليكن لهم في إصلاح شعوب
أنفسهم شغل عن القيام بمصالح العمر .

وعنى تلك الأحوال وهاتيك الأركان ، كان يعيش كتبها الثلاثة جونسون وبارنز
زورسو — في أزمان أصفرت الحياة في أثنائها من كل أثر للحق والصدق . فأما
الحقائق القديمة فكانت قد هد ركها ، وعمرس لسانها ، وأما الجدية فكانت آمنة
في بطل المستقبل لا حرس لها ولا نيس ، ولم يك لاح في طلمة الكفر المظلمة
فجر ليقيس وصديق لإيمان ، رسم يك في بيع قفسار دلت مكذب وباطل يسوع
حق . كلا ولا الثورة القرسوية نفسها التي هي على علاقتها نوع من الحق ، وإن
كان بعد حقا ملتغا برفاء من نار جهنم ! وما أهد ما بين سيرة لوثر ذات العاية
المحدودة ، وبين سيرم جونسون المحفوفة بالمزاعم والفروض التي عادت لا تقبل
ولا تفهم ! نقد وجد محمد أباطيل زمه مصنوعة من احتشيب قابلة للحرق فأحرقها
وأخفى من عقباتها سبيله ، ولكن أباطيل زمن جونسون ما كانت مما يحرق بالنار
فبقيت في طريقه . وما يروح كل قوى من الرجال يجد الحياة ملأى من الأعمال —
أعنى من الصعائب والآلام — عما يستفرغ من جهده ، فأب أن يظفر المرء مبین
الظفر في عصر كمصر جونسون بذلك أصعب الصعائب — فلم يك مصاب
جونسون قصيرا على العوائق وفساد النظام والعقر الذي حبس روقه عهد قورشين
في اليوم ، بل لقد كان جونسون قد سلب نور روحه ، فلا معالم تهديه في
الأرض ، وأبرح من ذلك أن أصفرت سماؤه من كل نجم ! فلا غرو أنه لم يس
المصر المين من هؤلاء الثلاثة أحد ، وحسبهم أن جاهدوا فأبوا ، وللك أقول
عرجوا بما على معاهد أولئك الأبطال ، لا كأبطال مدبرز وضفروا بل كأبطال
جاهدوا مصرعوا وقد مهلوا لنا السبيل — ثلاثة جبابرة قدترو في حرب الكفر
والإيمان فسموا من جبال الباطل ما بات أثرا جسيما عني فيروهم ، فقروا بها على
تلك الأحداث فإن فيها عمرة وتذكره

وكنى به يمشى بين القوم قد قصر خطوه المرحى ، وتوكله الوحشه عرييا ففى

الأقربى ، يحمل بين جنبه فؤادا ضخما شرها إلى المكرم مبهما بالعلى ، وورحا
عصا بحبص مشوش من مهمه لأفكار وخرطر سنه كل م يصدف من عائدته
دبية وركى قيع من العوائد ديبه ت قد يعثر عليه من نقوال الكتاب والشعراء .
وحقا لقد كان سيد أهل رمبه وبعة قومه الذى كان يجربه على تلك العظمة
والسوة درهمين فى كل يوم . ولكن ماذا يؤثر ذلك فى نفس جبارة لا تهزم ،
وعزم مص لا يكسر ، وفؤاد صراره لا يفس ، ثم لا تنسو تلك الحكاية الماثورة
عنه - حكاية حده . وذلك أن جوسوب كان قد سقى حدادوه وبصر به بعض
الكرماء فى عليه سائين فرجه . ثم عمد إلى حدهاء جديد وشتره له ووضع على
باب داره فى حمية حتى د حده جوسوب ورفع سطلين يحداد إيهما القطر من
عيين كينتين ، حدته الحوة ونسج بألفه نكر مرماه من السامه ، ومعاد
الله أن يتلى بصل العصبه من مبط نشحادة ويسف من محط السؤال ، وقد
يختل بقر ولسج ولدع خيبه - بالخصير . فام لشحاده فلا مانفرو هداكم
الله أى قوة كانت فى ذلك رجل نفور نباش . رأى زباء وعرة ، وأى توكل
على الله واعتمده على النفس . حتى رأى فى جوف هد رجل عانا من القوة
وعشوية ، وسؤس ونفقه ، وكه يؤس نى عهيب ، وعافه عروف أنوف ، ومده
الحادة عور على حدة رجل جميعها . نعم فقد كان رجلا حرا جديد الديناحه
ويش باخى من خلق الأدب . ولا دليلا ولا شحادا ، وأولى بكل دى مروءة أن
يقوم على ما وحه الله ولو كبر . رجل وشرب ، لا على عطائها الغير ولو كانت
العصه ويدهب .

ومع ما نرى لجونسون من وعورة الإبه ، ومراة الكبرياء ، وشدة الأنفة ،
كان قط رجل رفق حث مه ، . نفسى نفادا سحر لأمر الشريف والنفسى
نفدى ؟ وقدمه كانت الفوم . كسرة محدبات تلقاه ما هو أشرف منها وأسى
فؤادا . حد نل شىء نس مبه ، سسمى صغار النفوس ودينها هى نسى
لا يفعل ذلك . وجوسوب فى ذلك حبر مبه نل د نر - فب - من أن به انحص
أنه حبس الطاعة ، وأبلك لا نرى المصوغ و خشوع المعانى البطولة إلا فى عصر
كده : فم حد د عص لم يس فى أنه جديد مبتدخ . ففقد

لقد سمى نى الشكاسة عن هؤلاء الأبطال قصدا أو عرضا ، ولا أراكم إلا عابرين
من سرهم ما لا حاجة بنا إلى ذكره . وإنما سلكم عنهم الآن كأداء ذلك العصر
محسب ذرب فى الكلام عن حالهم وحالة عصرهم من تلك الوجهة - أى من
جهة نهم ساره - مثال خمسة آراء . ونسى أراهم الثلاثة رجلا دوى صدق
جده ، فى إحلاص أن يمدوا غاية الصدق ، ويشترى أقدامهم فى أراسى قومعد
من . فكانت ضائعهم من أكثر البواعث على ملهم نل سة ، د كان بهم حتى
من عصمة النفس ما به يستصيوها معه أن يقيموا على الباطل ، وقد جعلت سحب
لأصائل والأكاديب سهال تحت أقدامهم فلم يكن لهم إلا على أديم الأرض
معتمد ، وإلا فلا مستقر لهم ولا مطنان . وقصارى القول إنهم كنوا أساء طيبه
فى عصر كلغة وتفسح - كانوا رجلا مخلصين فى حين لا إخلاص ولا صدق ،
وكانوا سقوسهم الشريعة على هذا العالم وقد طال عهداه بالشرف والرؤفة .
فاما جوسوب فما رأت أراه رجلا من اعظام رجائنا - قوى النفس مثين
حلق ، شريف الضع معمم العواد من كرامن الكرم ، بما عجز عن استنارته جهود
لنصر الذى عاش فيه ، ولو صداف من إيمان حيله جوا أكثر نورا وحرارة لانفجر
فؤاده بأعذب يابيع الفصل والكرم ، وخبر أن يصبح ملكا حبيلا أو كبر
و شاعرا محلا . وعندى بعد وأنه ليس من العقل أن يشكو المرء عصره وقومه
ودهره ، ولا فائدة فى ذلك ولا لعمرة . وهب عصره عصر حيث هذا بابه لا
يتسه ، وحينه ردى . فما به لا يحسه ؟ وكنا جوسوب فى شدة معسر رث
لحال عاثر الأمل معرود . ولا تحسوا أن سعة الرزق وفسحة اللعبة كانت تخفى
عن عينيه سحب الهم لو أنها انفتحت له ، وددت أنه كان مصابا بالسوداء والأسم
الشماني والروحاني . نسى من عذابة نمسه جيوش الصلا والكفر . فكان كرها
حد اليونان فى خردتهم عن هرقل إبه القوة - بد قائلوا به كان يسس قميص
من أرفهوه منه فى مدب أنيم وبلاء مقيم ، ثم لا سبيل نل برعه . وكيف وإنما
هو سر به وجدته ' . ونعى هذه لطال كان لا بد أن يعس يائسا من إحلاص
والحاجة .

بنا ابن يورقان لا مصر من اللد - به ولا من قصائه للمحوم

كان جونسون فاصلا وكريما مع إقامته على قدم الأراء ، ووجد في ذلك القديم حاجة ويعتد فعاش به عيشة شريف حر ، وما وجد بطل وشأنه في ذلك عريب ، لأنه مع إقامته على تلك الرسوم القديمة المينة لم يكن من أهل الأكاديب والظواهر ، وإنما حقائق وأصون ، وودك أن الرسوم القديمة التي أقام عليها كانت تحمل في جوهرها عصرا من الحق . وعجيب والله من هذا الرجل إيصاره أسرار الكون العنسة ، وحقيقته الحياة الكبرى ، في ذلك العصر الورقي (١) المحلل الجدير المشحون بالكلفة والعش ونصنع ، ولا تعلم كيف وفق ما بين مدعه وملعب ذلك العصر ، بل كيف طردت به عيشة فيه ؟ وحقا إنه لأمر حدير بالتأمل المشغول بالاحترام والرحمة والإحلال . والله أشهد أن من أعجب الأمكنة عدي وأقدسها تلك الكنيسة - كنيسة سانت كلمنت - التي كان جونسون يعبد الله بها في زمن فولتير ، في زمن الكفر !

وبما عند جونسون بيا أنه كان يطلق عن ضمير الطيبة ، وإن كان بالأسلوب والتجديد لتصبح أو ليس في كل أسلوب شيء من النصع ؟ وما كل شيء منصنع بالكتابة ، بل كل شيء منصنع كان في مبدأ أمره حقا . وما سمي بالرسوم المنصعة والاعتبارات لاطلة له تلك في أنزل مرها عنكرات ، وبكف كانت صالحة صورية . وما لرسوم ولا اعتبارات إلا طرق وأساليب وعوائد توجد حيث يوجد الإنسان ، وبما تكون الرسوم كما تكون النسل ، وتصبح مصيبة إلى حادثة شريفة بأمها الملم بعدد من أخبار الناس وأصلها أن رجلا على المهمة سبب لإخلاص غدا بسبب في فعله من الأفعال - قبل مثلا بسبب شكره الله ، أو سبب الإسلام لرجل من الناس يقول مثل هذا العمل أو ذلك على ما سرون من عمره هو في حقيقة جسمه ، وبما صغرة في أنظاركم العادة ، وما كدر ليوجد في هذا العالم لو لم يصدر به صدق ومكبر هو أول من بطل به وأوجد فهو مثل بطل وشأنه ، ما قد أعرب عن معنى شريف ما زال يصطوب بقواده وفده لآلاف المؤمنة من حمد الله ، وفده طريقه في العسر عس ذلك المعنى . وما ناز حصاه هذه مبادئ لمهج . ثم يحيى رجل آخر في رسم آثار الأثر

وبست عصة سهل ، يترسم آثار الأثر مع بهصلاح ونصحيح ونحسن وتنبيح وكلما زاد كتاب الطريق اتسعت أقطاره وانفسحت نوحه ، حتى يشول سهجا وصحا وسبلا مصروبا ينتطبه كس عاد ورائح وما دام بدلت الطريق عابة مقصودة ، وبهية حمودة ، فهو مألوف ناس مرصى لبهم ، حتى إذا صاعقت بهم حجر حريق فالرسوم - رعاكم الله - تكون في أوائل أمرها ملووة بالمدى حنة ، وبك أن سموها جلودا وأجسادا سكنها حقائق حرة صحيحة ، وبولا ذلك ما وجدت نكت الرسوم وقد قدا عن الأقسام نفسها إنها لا تكون باصة حتى تغورها شبهة في نظر عابدها ويصعب إيمانه بها ، وما أحسب أن كثرة ما تعودده من دم الرسوم مسيا قيمة الرسوم الصادقة ونفسها ، وإنها كانت وسوف تكون أروم ما يحتاجه في سكى الدار الدنيا من الفرش والأثاث والذكورا أيضا كيف كان ذلك البطل يتحدث أيام صفرة بإعلاصه إذ لم يكن يشل في أنه من كثير الناس بإخلاص ، ومن أكتفهم لنقيام بأى جليل من العمل وبعد كان في شديد الجهد والاجتهاد يستزل الرزق من شاهق ويستدر به صحرة صماء ، وبو صبه من غير طريق أحسن لأعدق عليه ودر وبك رجح حتى لا يقيم إلا عليه ولا مضطرب له من دونه . كما ترون في ذلك لروما لمهاج الحق من غير افتد ولا إعلان ، لا كمن عخط على حيينه بالمنداد كسمة « حق » بطل الناس ولا شال بهم إلا التحدث به وإطراؤه ، وكذلك ما برح الفصل زينة من لا يتبه به ويعجب .

كان جونسون نبي قومه وكان كلامه لهم إنجيلا ، شأن أمثاله من الأبطال وأضرابه . وكان أنقى ما قال لهم يدور حول موضوع لحزم ، وما أعظم ذلك الموضوع وأجده في هذه الدب نبي قنت فيها معلومات لإسان وكثرت وأجانه وكان محوى ما عمنه انقوم هو « فبحكم بها ناس أن تعمسوا أعسكة في حمار الشك وأعدق أعسك في عاله قصرت به لمدرك وحسرت النصائر ، ونشت أعياه المروص وموارث الملقوق . بكم أن تعمس ذلك تلقو شقة وبؤسا ، وتكونوا كاندس تحصه الشصص ، وبكى يكون لمسحد حدود عقل يعمل به ويعيش ؟ » . هذا هو إنجيل جونسون الذي لقنه لاس وعمنه ، وشمعه بإجييله الآخر الذي فحواه : « خلصوا عقولكم من شوائب الرباء وجوسون مسي المسيح

وأيضا في معاكسة البداية لا في أحذية العير ، ذلكم حجر لكم » (كما كان يقول محمداً) ، عدى أن هذا يخل حكيم - أحكم ما تسر في هذه الأوقات
أما حادث جونسون فهي وإن عقت سوقها قديما فقد أصبحت بين أهل هذه
معصور بضائه كسده ، ولا أنكر أن كثيرا من آراء جونسون قد أصبح اليوم
فلسفة نية ، ولكن تسرب مكبره وعيشته سيقى عالي القمه جند الروي أبدا
مدبر ، وأي الأري في كتب جونسون من أي آيات الفصل وأرجح برهين
الحكمة ، الفقل مالا يدفع ولا يعل ، وما هو جندو أن يرحب به على علاقه مهما
دلت ، لأنه كلام حر صريح أريدت به أغراض سامية وأمور جليلة . أما أسلوبه
فهو جفاء وصلاية - خير ما وفق إليه يد ذاك - أسلوب ضخم البناء يابس
لغاضل ، كأنما يسير بهوياً في أرجح رربة وقار قد أصبح اليوم غير مألوف ولا
مستطرف ، وربما سمعت به طيباً وحجته لا يواريهما ما صمم من المعنى ،
ولكن هذه كتب معنونة في جانب ما أودع كلام الرحل من الحكم والآيات
وإنما المعنونة بالمعاني دون الألفاظ ، والأرواح دون الأبدان ، وكل من أسلوب حلو
موش حلو من المعنى ، كاشغرة المعجبة نقش لا لب فيها ، والصدفة المصقولة
ولا أدرة - وما كنت أريد تلك الأساليب الكاذبة إلا حاجة مجرب ، حقيق بكل
دى دين ومروعة ألا يوقع حقيقتهم ويركب مسهم ، وجدير بكل قارئ أن
يتعلمي كتبهم ويحسب أقوالهم ؛ ولو أن جونسون لم يترك لنا إلا معجمه
(قاموسه) لكان حسبا ديلا عني رجاحة عقله وحلته ذكائه . ومن اطلع على
وصوح ترميزاته وحدوده ومناة مبادئه ، وصحة معانيه وحسن مذهبه كان خليف
أن يعده أحسن معاصم جميعها . وأني لأطر إليه فأراه في جمال تنسيقه ومخانة
صممه ، كاقصر لمشيد متناكل لأطراف متشابه الجوب ، يصرد فيه روح النظام
. تحول في حجرته رونق الإيقان والصناعة - ولا نفوسا كنمة عن صاحب
جونسون وأدبه نورد بورويل - ذلك الذي حاور نخد في إجلاله وبمدهسه
جونسون وقد - مع الناس في تعيده على ذلك وغلوا في احتقاره وإصفاره ،
ورعنا من أن لهم بعض الحق في ذلك فإنهم بعد جاثرون وطالمون . وعدى أن

(١١) يشير إلى الآية القرآنية ﴿ ذلكم خير لكم لو كنتم تعلمون ﴾

جلال بورويل جونسون ما رب من أجل الأثار ، وأعجب - حبار ، ومناذا أعجب
من مصور احتض ديكلي الرجس البورد (سكوتلاند) الآية لمعزور يسو حامي
الرأس حاشع مصر بجلا وحة بحر لأسناد الجسيم في ضماره الرثة الثرية ،
وعرفته الحشرة خاوية هذا ولله صريح الإجلال لنفس كبره وروح شريف ،
وهذه عبيده لأبطال في رسم أفر فيه العالم من لأبطال ومعدة بل كيف أقفر
مهما وعدت ببع أكمل صورة في هدى الرجس ؟

ولعل الوجود ما خلا طريقة عين من الأبطال وعادة الأبطال ، ولا جناح علينا
أن نكر ما قاله القائد للقرنوسى « دى كورس » من أن « نعمة تذهب الإجلال ،
حتى أن أبطال الكثير لا يكون بطلا في غير حدم مرقده » لأن يرى أن الطولة
تشرق من أن تغمس الألفة شمسها فإذا وجد الحدة لدى لا يرى عضة
سبيده ، فالتب عليه في ذلك لا على السبد العقيم ، ومن حدم حسب أن
الطولة هي حمة موشاة وناح وركيل ، وأتوا تسجع ، وإن ترفع وإذا كانت
الحقيقة كذلك فقد كان بالقياد عرسوسى أن يعمل كسبه هكذا ، « لا ملك
يكون سلطان فاجر المظهر في عين خدام مرقده » وسو عند بسان إلى الملك
المجيب ليوح الرابع عشر فهو نبيه وتركه عريسا ، وإن رب شخصاً حقيراً لا
موضع فيه لإجلال خادمه . ولخدم الذي يحمل في جوفه روح خدام أى روحا
وصبغه ليس حقيقاً أن يهمل بطولة لطل ! وإن بهم لطل من خادمتهم جوهرا
الطولة .

أهلا ترون بعد أن إجلال بورويل لجونسون لم يعد موضعه ، وأنه ما كان ليحد
في بريطانيا نصفا أحق غير نهمه ونسى الركية من تلك نفس . لكثرة وهل كان
جونسون إلا رجلا عظيما أركب من عيشته ظهر صعبة شمس ، فراض جهده
من صعوبتها وذلك من شماسها ، وخلق في مضطرب فوضى الأقلام ومخلط
فوضى الأدب والسياسات ، فمهد لنفسه مهبط وصفا وسط تلك المعاصم
لنصادة ، واستطاع على رقة حاله وروهن جسده وعثرته . شغفه ، أن يسحب
للك القوى المتضاربة الملائمة مما كان فيه معه وفادته ، ودث هدى له
ويكونك إرشاد لاح له في سماء عالم الأسرار هو كل به ونعم به

حما عنوقا ، وجعله قبة سعيته في بحر الحياة المعجاج ، صافعا عن كل معربة ومعوكة ، وسال عن حزن إبليس ولم يرفع على قلعة الكذب لوراءه .

* * *

فما روسو لم يبلغ في البطولة الدرجة العليا ، وليس مصيب من إطاره قسط حوسون ولا مصيب بارنز ، وما هو عددي لارجل ليموت ويأمن رجلا مريض نفس سريح الانفعال كسر السربات العصبية ، ولم يكن أنسى فضيله بصمت - وأن فضيله وأنيكه ومرة قصر عن عابيتها معظم الفرنسيين بل معظمه من همد العصر ، والرجل انقوت خير في مذهبي من كتم مصيبه وأحقى عن ساني دحد سرت أحشائه ، وقد ك - يجوز روسو الجلد والصبر على الشدائد ، وهما أول شروح البطولة وره نس الخطأ أن يسمى الناس سرعة الهياج قوة ! والرجل المريض الأعصاب ليس جدير أن يسمى قويا وإن عجز ستة رجال عن إمساكه حين تنور به الموبة الشديدة ، وإن القوي من استقل بالحمل الفادح ثابت الوطاة قائم مضلب وحقيق في هذه الأوقات الكثيرة الصعاب العالية الصراح إلا يزال يذكر ذلك ، ولرجل الذي يبيته أن يسكت حتى يحرق وقت يكلام ولعنه ، هو رجل عاتر يرى جاثرا عن القصد

يرى في وجه روسو عنونا على حده . حب جدير مشرفين وعييين عاترين تخون فيهما حيوة وقل ، ويصطرب فيها سراع ولهف ، ووجها حادلا باباب شفاء يوصيغ ومعنى لسوقية والخطبة - غيوب لا يعوض منها في دنت نوجه بلا أية حد الشديك واحدة صارمة . وقصاري القول إنه وجه رجل متعصب وبطل مشهور . ربما لذكره هه لأن فيه - على علاقه وهي كثيرة - أول صفحات بصيرة الإخلاص . ولست عطفانا إن قلت إنه لم يك قط في الأبطال من هو أشد حلاصا منه ، حتى نقد كان له من شدة الإخلاص م لا يقوم به ضعف الخد تصعب لولا هذا الإخلاص . طلع لدى بيع به أخيرا من منافقت لبحرة م شت لا يكون حنونا . بل لقد أصابه بالفعل في آخر أمره صنف من الجنون ، دنت لا فكاره ركته كما تركب الشياطين الأس ، وساقته أتعف السورق إلى أن همد ومهواه . وكانت مشا عيوب روسو ومصدر شقاه ، هه ما يعر منه سعة المفردة « الأثرة » حب الذات ، وهو مشا كاي عيب ومصدر كل

شقوة . ولم يرض روسو بعنه على قدح النفس . طلع إن لم يزعها الإنسان نزعت به بل شر غاية ، ولم يشحذ عزيمته لقهر جيوش الأهواء والشهوات ، وكان قد مكه جوع حيث للشهرة وغير الشهرة وأحشى أنه دك رجلا كثير المرور والرهو ، به علة إلى مدح الناس وتذكرون قصته مع السدة « جنليز » وملك ألبا سارت به إلى دار التمثل بعد أن اشتراط عليها أن تخفي بعنه عن أعين شهود الناس وتحس بحيث لا يراه إنسان ، قائلا « أسا لا أريد أن يراي الناس ههك ولون لي الدنيا عما فيها » . ولكنه أنفق وعما من ذلك أن أرخى السرو رخي لقوم روسو ولكهم لم يحملوا به كثيرا فأظهر أشا « مصب وقصى لينة أسفا مكتبا ، ولم يعه إلا كمر الكلام ومصيص يقول - ولم رن من عقيدة السدة أن عصب روسو لم يكن لرؤية القوم يباه وربما نقمة اجتماعهم به جميعا روزه وأسماء على ذلكم البطل ! لقد حالط دمه سم الأناسه وتقسيم مؤاده بريية والوحشة وسرم بالناس والاكتئاب والإطراق والهم ، حتى تسبح لا يطبق عشرة إنسان . وكان رجل من سدة بريي يتردد إليه ويجالسه م - كما به مسرورا بحديثه ، مبديا له « صدق آيات الوداد والولاء ، فحذاء دنت يوم م - جده في أسوأ حد من نعم والاكتئاب بلا سب عدهر وبسما الرجل في جيه من ذلك المظطر لعجب صرح به روسو وعيابه تنهات عصبيا » « سيدى لا - خلدك أنك تستطيع أن تموه على سب ديارتنت ههه فاني أعلم به مسك - عد جحت الآن تندجنى . سط مصالى وآلامى ، وتطر أى عيش بكذ كى بد » ، ن حال شديدة أقسى ؟ وكيف أترقى وأتوجع ؟ ومادا أدوق وأفخر ؟ فليكن ذك - يا سيدى ، وهك مرجى على البار فاطر بها عبر العاقبة ، واستمع من أ - هه قصة اللوس . نظر سيدى في ذلك القدر ، هل ترى بها إلا رجلا من اللحم - سرنة وثلاث بصلات ؟ وأنت بعد ذلك في حل أن تقول دنت بكل من دنت « فمثل هذا الرجل قد جاور مصابه كل مصاب ، وعدا في السلود كل - ، وأصحت أعماله تلك نواذر حديث الناس وفكاهات سمرهم يلهون به - سحكون منها ، وما هي يهول ولا ضحك . وكللك رجعات المصارع التحت من دمنه وفته سكرة الموت ، هي مصيبة له وعذاب ، وهي فرحة الجمع المشاهد - سته .

لا تخسروا أن وقصى يتكم طربا فاطير برقص مدب - كما من الألس

«يهو حواء حيرى مريه» (حسرى تلود بأطراف الجلاميد) بلى ماذا أفاده أنهم
نحو، عبه بالضر والأذى، وهاجوه وأغرزه حتى تمزج من العبط وجس حيرته،
وحتى جعل يعتقد أن العالم شر والمدينة سواة وحجرة، وأن الدنيا أكبر أعدائه،
وقاتونها الظلم وتاموسها الجور وأساسها اللوم، وكان أول بالعلم أن لا يصادى
مثل هذا الرجل ويستنزل عقابه ونقته، فيصبح معه كما قيل:

حداك إلى الحين حتى اشتقتى عليك واسبى فى عيرتى لمخدر
لقد قدر العالم على إلقاء ذلك البطل إلى الأسطمة، وعسى اتحاده أصبحوكه
بسحرون منه كما يسخر بالبله والمجانين، وعلى إجماعه وتركه يتعذر من
السفب كالوحش المسحون. فهلا قدر العالم على معه من إصرام الثورة ورشعال
الأرض براتنى ولقد وجدت ثورة لمرسية يجيها فى شابات روسو،
وقد أحدثت آرزوه الشهية بالجنون فى أمات المدينة وتفصيله عيشة المتوحشين
على عش السيسى، جوبا وص فى إحاء مرسا وعمره، وب معد ن سار
ماذا حسى العالم وملوك العالم أن يلغوا من ذلك الرجل ومادا يصحون به؟ هذا
سؤال نهى، ويعنى العالم، تعنى ملوك الأرض بجوايه، فاما ما يستطيع روسو
أن يصنع بالعالم وملوكه، فذلك يا للأسف وضح بين، يضرب أعناقهم

كان من أصحاب المحارب أن ظهر فى القرن الثامن عشر - قرن الكفر
والضعف - بين رجاله الذين كلهم تكلم وتصنع كأنهم قنايل خشب وعرائس
لورق، بطل كبير فى رد صلاح حفير يحمل العأس ويسحب نحرت، ألا
وه روسوت - بر الاسكوتلاندى، الذى جاء فى ذلك العصر غفر كاتينوب
الشم نمرت وسط السياسس اللس، أو كالمثقة الررقاء فى حبه شبد، أو
كمطر سماء وزيتها علال سقف القصر المدخترف، به كند خوم لا
يعرفون من سماء الله ونجومها إلا صورها المقلوبة بسقف دك تقصر،
نوم تملوهمها منه من الأشكال الاربعة^(١). هبب دمه فى

(١) التى يسمه بها بالامية = قصورايح »

وبعد كل ذلك فلا يستعجل بالاقول بأن روسو ههنا، قد عمد نحو الحقيقة فى

عصور اناطل بلك الكتب التى كتبها - العقد الاجتماعى وإشادته بذكر الطبيعة
واحبة النهمه الطبيعية، وكان يؤدي بذلك لقومه رسالة نبى حسب طاقه
ومعه زف ومن العصب أنه كان فى مواد روسو هذا وسط هذه العصورات
وحساتن، والحق الذى كاد يكون جنونا، جنوة من التور الإلهى، وما ذلك
لا والله عد آثار بعد تقادم عهد من بين ذلك للكفر والجحود والفسوق، شعورا
هوذا فى مواد ديك الرجل يوحى إليه أن هذه الحياة حق - وأنها ليست بمكرية ولا
مطربة من الطريبات، وإنما حقيقة عصية هائه - بديك أوتحت إليه الطبيعة ونمرت
أن يصدغ فصدغ - فإذا لم يأت قوله محكما بلعا فإنه جهده لمحتهد - إن خطابه
وشوده وسرقته الأقمشة، وشروده فى الاضاق وبوسه وشقوته كل هذه ايات
الحيره والدهشة والترح اننى تنهر رجلا حمل من الأمر ما لا طفة له به، وترك فى
يعمل طامس الأعلام لا يعرف كيف يهتدى فيه.

أما مكانه فى الكتابة فمقدور فوق قدره. وعدى أن كتاباته كعقلة مريضة
وليست من النوع الذى أسميه صخا، وإنما يمار روسو فى كتاباته بتعلب
لجوبية والمادية، وبلك هى التى نعينه عسى تصوير صورته المنقصة بالرحرف
الحجاب ونكسها صور خلاف كراتم بصور الشعرية بما أبدعه عقل شكسبير
أو (جيتا) كلا ولا كتصويرات (والتر سكوت) ، وكل من نظر فى بدائع
هؤلاء معهم، عرف الفرق بينهما وبين مصنوعات روسو ومن عسى على منواله،
عرف الفرق بين الجمال المبر والكادب، وظل جدبرا أن يفرق بين هذا وذاك ما
عاش، فإنه فرق كالذى بين نور الشمس ونور المراسح الصناعى.

لقد تبا فى جونسون ماد يستطيع الطفل أن يقدم إلى العالم من الخير، وعما
كل ما يجمه من الكاره والآفات. أما فى روسو فلتسير أى شر وصبر وسلاء
قد تصحب ما يهديه اسطل من الفصح والخير. والحقيقة أن لو نصر إلى موقع
روسو من التاريخ، لرأينا مشهدا جنلا ومظرا هائلا. ولشد ما أساء العالم إلى
حسه بإسائه إلى ذلك الأصل وماد فاده أنه شروده وتركوه بأوى من العقاقه
بلى أسطحة التازل يحدق به من همومه وأحزانه شر صحابة، وبطيف به من
عور و مكره أخص حبط، سرب طريدا عجا من عمار إلى كهف ثانه بريح

وسط تلك الصور والأكاذيب ، انزعج لهم سقم المكاد عن سطر السماء والكواكب
مدهشوا ، أو فملكهم حيرة ولم يلمروا ماذا يفهمون من ذلك للشهد وملنا يقولون فيه .
وبعد أن طابت بهم لطيرة أجمع رأيهم على أن هذه السماء وعمومها الباهرة ما هي إلا
من قبيل تلك الصور والأشكال التي اعتادوا رؤيتها ، جهلا منهم وصلة وعماية . وماذا
ترجو من أناس يحتم الله على قلوبهم فهم لا يبصرون ، وضرب على آذانهم فهم لا
يسمعون ؟ هو السماء ! ليسما تلقى به القوم هدية الله إليهم — ذلك الظل الخليل ،
ويش منزلته بهم وجواره فيهم ! ولا أعلم رجلا تلقى من الفين والوكس ، والتعس
والتكس ، ما تلقى روبرت بارتر ، فيأله أي جوهرة كريمة نبذت بأكتاف صحراء ،
وأي دوة مكشوبة ألقيت بكف حرقاء ، وأي بسل صواح نقادته أبدى الأطفال ، وحس
كريم تناشيته أطفال السفلة الأندال !

أصاحبوني وأي قضى أضاعوا ليوم كريهة وسداد نعر
وكان أبوه صانعا فقيرا ، وقد حاول جملة أشياء فخاب فيها وما زال من عيشه في
عذاب دائم وبرح مستمر ، وقد حدثنا بارتر فقال : « كانت ترد على أبي طلبات
العراء يتقاضون ديونهم ، فكنت تحب فنتسا وتستدب دموعا — دموع الوالد
الكلود المكشود المعنى المذهب ، وروح الخلة الصور ، وصيتهما فيهم بارتر كان
لهم الله . لقد صافت عندهم الأرض عارحت ، وحنهم مشارعها العدة وهي حل
سباح سوراد ، ومنهم مرتعها الحصبة وهي طلق حلال لكل مرناد . تأمسا — رحكم
الله — في قوله : « كانت رسائل الغراء تستدب دموعنا » أي مشهد حزن ومنظر
ألم ! وأني ما رلت أرى في والد بارتر صامتا وشاعرا معهما ، ما كان له لولاه
لكون ذلك الشاعر الناطق والبطل الكبير ، وما يدل على فصل ذلك والد . شهادة
معلم به حيث يقول . « لقد حنت مدينة لبد وحضرت بها نوادي السرة والأعيان ،
فلا والله ما لذ أدنى كحديث والد بارتر ، ولا نعمت فيها محطس كذلك التي أمتعتني
منة حور مائدة ذلك الصانع المسكين » وقد كان في الحقيقة مسكب معصر الحياة
موتق موارد العيش حامد أخلاف الرزق ، لم يصادف نجما في السبعة المئذنين التي
رزقه الله ولا في أي شئ غيرها ، فكان بينه وبين الدهر حروب لا تنتهي ، كان
لمحوب فيها أبنا ، وسوق لا تقض كان الخاسر فيها دائما . ولكنه ثبت في ذلك

الحرب طول عمره وما كان مه فقط حصة ولا مرة ، فإله من كريم باسل أيد الركن
ثابت الأس ، لا تهيل من جانبته لمخدرات ولا تخون من فطرته الكوارب والكوارث ،
جهرل يغضى على الأقاء ويردد أنفاس الصعاء ، وتصيفه التنازل والكرب فيقربها
الصمت والسكران ، وتهم المصائب أن تلتهم فيلتهمها ويجعل لها صدره الرحب قبرا
لا تنش دفته ، ولا ترد ديعته :
معازة صبر لو تطرق لم يكن ليسلكها فردا سليك المقاصب

حطبه إذا ضاقت بلاد بأهلها بطل الصعاء الرحب في صدره الرحب
بإله من بطل يناضل كتاب الدهر مستورا عن الأعين ، لا تسير عحاسن ذكره
جريدة يومية ، ولا تطير روائح خبره أسلاك برقية ، ولا تقيد نوافر محمده مصاب
الشعر ، ولا تغلق غرائب همته شوارد الشر ، ولكنه لم يذهب عمله سدى ، ولا شئ
في العالم يذهب سدى ، نعم لم يصح من هذا ولله ! وأن يذهب فلها روبرت بارتر
سليبه — وسليل عدة أجيال كلها أمثاله .

نقد حرج سارر إلى هذه دسا محمود بنكره والشائد ، بين سوء حال وسو
تعليم وكذ ونصب ، يجلس الطلم من ساعات الكدح احتلاسا ، ويسترقى الطرق في
كتب المحرر ستراف ، ويكتب بلغة ريمية مخوبة إلا لإسيم صغير من السدى ولد
فيه . ولو كتب ما كتب باللغة الإنكليزية الشائعة ، لما شككت في أنه كان بنال إجماع
إناس على أنه من أعظم رجالات . وإن كان فيها حمل ألوف الناس على معالجة لعتة
الصعبه رستمح علاقتها عما ودعت ، وعص ختامها عما صمت . فبين قطع عسى
أن هالك جوهرا مكنونا وسرا مصونا . وبعد فقد أحرز إقرار الكتيرين بالفضل
واعتراهم بالقدرة والسبق ، وما تزل دائرة ذكره في تسامح ، وصوت صيته في
ارتفاع ، وقد شرع الناس في جميع أنحاء العالم سكسوني حيث صارت البرج بلصة
بكتيرة ، يكررون أن من حصر ما أُنجست الثرية البريطانية رجلا فلاحا اسكوتلاندي
نسمه روبرت بارتر . نعم ولا حرج على إن قلت : إني أرى في بارتر هذا جوهرة
كريمة بريطانية ، أبدى الله صفحتها وجلا روايعها وبهجتها ، عني حين لا عهد للناس
بالجهر — نعم جوهرة هي على لآلهها ووقدتها امتن الأشياء وأصلبها ، كالمحمر

هم لهما سواء في قوة البدن وقوة الروح ، كلاهما غليظ الرقة شديد الكثرة (١) ، كبير النفس ضخم القوام ، ولكن ميروبو أكثر صخباً وأشد دفعة وثقلًا بالقطرة والشاة ولذبة الفومس . ومزية ميروبو بعد هي الصدق والعقل ، ونفاذ الرأي وحدة الختان ، وكل ثقله حدير أن يحفظ ويحتل ، وما كلمته إلا طعنة الرأي في حشا للشكل ، ونحة يرق القين في دحي الشكل :

ألمسى صوفى يهدى لك به لدى الخطلة العباء القمام
وإذا بهاد الحوادث بالسرأى أصاب الصواب بالإلهام

* * *

ألمسى يرى بأرل طرس آخر الأمر من وراء العيسب

* * *

وكذلك كان بارنز ، وكلاهما كان جياش الصدر عراجل الأهواء والشهوات ، طورا تعصف عصف الجناح وتارة تخطئ من النسيم ، وفي كليهما العارضة والبدئية والبرح والصحك والمكاهمة ، والقلق والنشاط والتوقد ، والعزم والهمة ، والصدق والصراحة ، والجد والإخلاص . فهما من تحت واحد في الكرم ، وإن تشعبت بهما بعد ذلك الأشكال ومن جواهر بهبه في السبل ، وإن تنوعت بعد بهما الأغراض والأحوال . فلو أن بارنز شغل مكان ميروبو في الحكومة والسياسة لأحاد مثله في كليهما . ولكن شجاعته العتيدة كانت بالأأسف تصرف في أمر مهومي الضائع في خليج سولواي بذلك الحمار الشمالية . وفي السكوت عن كثير من العصاب ، حيث كان لا يمدى الكلام وإنما اعتنق الأعيرس . ولو صادفت تلك الشجاعة موضعها لأجست الد الخصاص في الماطرة ، واستعقت قول القائل :

كم حومه للخصب فرجها والقوم عجم في مثلها حرس
شك حشاها بخصه عرس كأنها منه طعمة حفس

ولندت تلك الشجاعة لعيون المأطرا في تدبير الدول وتنظيم الممالك وبصلاح شئون العالم . ولكن القوم - أعنى الحكومة - قالت لبارنز قول مويخ : « لست

للتفكير إما أنت للعمل » مكر - قالت له صم - « لا حاجة بما إيل قوة المعركة - أكبر قوى البلاد في هذا القرب - وإنما نريد منك أن تمسح الأراضي ، ولنا لغير ذلك نريدك » حسن والله هذا وحسن ! حتى لكأن قوة التفكير ليست في كل آن ومكان أهم ما تحتاجه الدنيا أولس شر الناس هو الرجل الذي لا يرى له ولا تفكير عده ، ولا يرى وإنما يتحسس ويعت ويتخبط ويهتد حقيقة الشيء الذي يؤوله ، ويطل حائرا مصلا لا خير فيه ولا نيرة ؟ هذا هو شر الناس وهو الآفة واللية . وعسى قائل يقول . ما بالك تعلم شكرك وبمك على ذلك ؟ أما تعلم أن ذا القوة قلما مجموع من مجال إظهار قوته ؟ » نعم ودمت نصر على به زبرج . وإذا كانت الشكوى قليلة الحد فما ذكر الحقائق بقليلة ولا يسعى إلا القوم بأن استضاء العالم الأوربي عن مثل باربر والثرورة العرسوية على الأبواب ، لا يدعوى إلا إلى المحزن والأسف .

وبعد فاهم صعات باربر الإخلاص ، وهو نصا أكبر مرابا شعره وعيشته ، وما فقيده الذي ينسى به محجود تصورات زبهد ، وإما إحساسات نجيش محاضره وتور بوجدانه . وسر ذلك وسر فصله في جميع أركان حياته هو الحق . وحياتة بارنز هي ما يمكن أن نسميه رؤية عرة سداها حق ، وجمتها الإخلاص . ولكن الإخلاص المر الوعر ليس القاسي ، ولكنه إخلاص حوى تأثير يساور الحقائق ليروضها ويقادها . ومن ثم ترى في جميع الأبطال روح التوحش والسطوة .

عبادة الأبطال - لقد يعربا عن شفاء أربك الكتاب الأبطال إجلال بعض الناس إياهم . ولكن أي حالة عجيبة وصل إليهم ذلك إجلال ! أما إن في ازدحام خدمة الصادق بياب غرفة الجلوس ، يوهمون الآذان لاستراي كمة من كلام بارنز لإجلالهم منهم لبدك البطل ، وإن كانوا بذلك لا يشعروا بها . وقد أوتى جونسون في اللورد بورويل أحشع محرم ومعصب ، وصخر أنه لرومو أشهراف اللولة وأمرأ يست الملك يودونه في عرفته المحقرة وحنون مه رجلا نذسمه البواب ، فسطره للبرس وشطره للبرس وحصل نفاقص . ثم الله عجيب ، وحيية لا ينشم طرفها ويكر أسعلها أعلاها . فبها هو مجلس مبدن والبراة . وروا أن لرؤساء والقضاة ، إذا هو سمح بيده سطور العباء لسال من القوم . مسكه الدم ، ومر ماثور قوله في هذا الصدد « لقد حملت عيسى بالتفدى في سرال الأمراء على شطر الهلاك جوعا في منزلي » وفي ذلك

عاشية ومعظميه من العار ما فيه . وعلى كل حال سواء سال الكتاب الأبطال منهم من الإجلال أو لم يبالوا ، فهم سائلة العالم يؤدونه ويحكمونه ويعطونه وما رده لا كلمهم لا مرد لها ولا ملغى لحكمها . فعلى الكاتب الطفل أن يفكر .
 • وعلى الأذن مدعى وتخصص ، وعلى الكاتب أن يأمر ، وعلى العالم أن يصنع ،
 • عالم بعد أن خسر صريقة الإعدان وشدة ، فبما قهر وأب احب ، وبما حسنة وبما صبر .
 • إما صحر حريف هب الابل ، بعنم الاصل ، صبر زوال الصبر ،
 • معقول رزق الصبح ، وبما سحب صوب قطر المطر والور ، وبكاء تسف النور
 • صبح أشجار ، صريف معكسكس مقصدهما واحد ، وصور - مشامان واحوهر
 • مرد ، فاما سور مفيد وما يرى مفيد ، وبس الأمر الهام هو هذا يسمى الفصل وعاد
 • بعده ، وإنما هو صدق كلمته ويصبح بأمره أم لا ، وإذا كانت كلمه صادقة وأمره
 • حتى لمستفاد ، ويعمل بها طوعاً وقسراً ، بل لم يكن كينا ورعت فرعه أنوف ، وفي
 • دينه استغنايا به ومعصيته له ، فذلك من ششوسا ورجع الب ، وبما كلمه ملكت
 • رسة الله في العالم . ولا بد من أن ترتد شئ تنبها ونسوى شئ ينوب

و آخر أقول في هذه المبحث كلمه عن أهم حوادث حياة باربر . أعني وفده على
 • دسرح ، وطلب ريت أنه قد كان في ربحه جاشه هائل ونسب جابه ، وصرح فيه
 • على وفرة رجوله ورجاحة قصه . قد كان في انتقاله من أسفل حصص الناس
 • وكرب والطمور ، إلى أشرف درى النعمة والثناء والذكر ما هو جدير أن يظير بلب
 • في مسرتهم ويدهب عقل في بسار . فما روبرت مارت فلاح مسكن مد ربه
 • نحس ، أجزته الرهينة سبعة جنهات في العام - فصادت الدنيا في عينيه أضييق من
 • ساح ليمه ، وصرح غنى وجهه بر - . نهجرة إلى أمريكا ، إذ به مد . راجع رمره
 • لأشرف والأمراء فامسحوا له بهم أكرم مقام ، وبوعوه صدور المحامل ، وخصرته
 • ربه عذود سدير به مرفوب كسابره . رايات إليه بأعين الجائر ، عاطفات سواف
 • لا ربه وأتلفت نحوه الأعصاق ، والرحمت فيه للعيون ، فقلبه من حديق نطق ،

(١) سواف جمع سافله وهي صفة العنق . آرام جمع رثم وهو الطير

و عصر . ثقبه على كاهل " رجل ولكن السر - ثقل ، وعلى كل ألف من البعير
 • بعص البوس واحده يتعش ثقل النعمة ، ونادر في الناس من له أن يقول :

كأن بلوت فلا العماء تطرنى ولا تخمعت من لأواله حزرعا

ولا تعلم في الليل من فوجي من النعمة بمثل ما فوجي به باربر ، ولا نفل أن رجلا

غيره كان يبدى ما أهداه من الرزقة والوقار . فقد لقي ذلك الحاد حيل لا حرا

ولا رجلا . ولا هائل ولا ححلا ، ولم يزل من دالة ولا سحده ، ولا من حيرة ، لا

غيرة . وكب يشع رست هذا جمع الزهره هو روبرت باربر العلاج للتوسع ،

وب هذه حربة السانية وحده العريض ليس إلا من قبيل نقش هي صفحة ادب لا

ينقص من قيمته ولا يربس . وب الشهرة ما هي ، لا صياء يرسل على الرجل هيريت نى

رجل هو . ولكنه لا يخلص منه ولا يفسح ولا يشده من صورته ولا يفسح ، غير أنه

فبح يشده في علا الرجل كبر وعزور ، ويصغر حده ويصف جابه ، وما يصحه حتى

ينصاع فيعود كأسد لبث حبر مه كب حتى ، فصار في هه . الأمر قد سرع

ووقف ، وجاء عرة زهره في جهة السن . وكب هؤلاء خدعة . عشقه مصحبه

هه - وب سب شقوه ومزبه ، هم الذين حرموه سة العيش وحرمو عليه صيب

الحياة ! هم كانوا يلتمون به في حقله ، ويحرمون به وبين عمله ، لا يقصده عه

بعد الدار ولا شطط المزار :

فاضحوا ولو كانت حراسان فونهم رأوها مكان السوق أو هي أقرب

قد غنى على صدق الجهد والمجد . ، أن يحرم ذكر نفسه من أذهب

أهمه . وكب أراد أن يعصه عروة ما يسه وسبه فما أفصح ، وهكذا نصب عليه الهم

ولا كبر ومحن وخطايا . وأثرت عه الدب ورسه الأمن والعافية والعطفة وحسن

السمعة . ، أصبح إلا من الهموم والأشجان مسر . وبان في ذكره والله خير وحسن

وفيه كبر . ، وبم - بوم . فبه لم يكون حسب عرته . ، وبسور حصصه

بلى به ما من رحمه كانت به منهم وإنما يهوى وسحكه ، ودهست حيرة تعمل صحنه

درا

قال ريشار : إن في تجريرة « صوماطرا » ضربا من حسيب اللذباب يراق الأجندحة،
بمسح به سرقة القوم فيحصلونه في أطراف العصي كالذباب ويسيرون في صورته
وهكذا يجمع سرقة القوم بأعمال السحوم الطوالع ، والشهب اللوامع ، فلام الإله ورعنا
على تلك الدباب !

مقدمة السادسة

بطر في صورة ملك

كر صوبين - نابليون

الثورة في العصور الحديثة

الثورة الإنكليزية

مذكر اليوم آخر أشكر - صبره - ملك الذي نسميه الإمارة ، وأسير الناس وقائدهم
الذي عس رأيه يصليهم ، وذاكره - عيون ، وبه في جميع الأمور يقتلون ، وأجدهم
في ذلك الخير والعلاج ودراسة ، وهدير أن ييوا من دسوان الأبطال صبره ويحمل
في دولة العطاء النواء ، وبه هو في حقيقة جملة البطولة على اختلاف أصنافها ، وهو
المخلص والريدة والعصاة - وجهه في دانه سائر صروب ، لأبطال ، وليس دسك
على الله مستنكر

وقد تعرضت هذه مسائل حصرية ، حيث معصلة ، بمعنا من طروقها ضيق لجمال
وبدئ مذكر كسنة - نسبة نكته (بيرث) حيث يقول (بساد القساء إلى خسة من
القضاة يشتركون - في صدر - نذكره ، هو روح الحكومة) مكملتك تقول حسن - إن
علاصة أعمال حشمت الإنسي سراء سارت على طريق الخطأ ثم على مهج السداد ،
هو الإهتداء - رجال بسك وأداسهم وأحزمهم ، ثم تقليده الحكومة والنسطة ،
وعطائه حسب - صعه - استطاع بذلك أن يهدي الناس حسبما يالهم عقله
ونحو حتى به - نما إلى دسك قسملت لوايح الإصلاح والثورات فرنسية وغيره
فرنسية ، هتته - صر - مددا وأكفهم وارعهم إلى المكان الأعلى ، ونجله وأكبر
يحرر لبلادك - دمة - وبسك - تتم هذا فقد بلغت المدي وكل شيء بعد ذلك
فصول - نرجس - أيضا أكرمهم وأبرهم وأرحمهم ، وليس فورا

منه من حق وقول الإمام القول وكان ما يأمر به فهو ولا شك أحكم وليس
 يستطيع أن يجده تحت قبة الملك وهو ما يجب علينا أن نأثمه ونصدق به
 مع حمد و شكر ، وتلك المحكمة هي "صالة المشودة والعاية" منصوب
 قد . هذه القصوى والله يعلم أن العايات تلعب بالأمل ولا تنس العمل ، ولأهماني
 تنسى وقد الرجح ، يوسعها الفكر في مصمم أروهم فظفر بأجحة
 الروحاني كل عاياه أبعد مدلا من الثريا . فإذا طلبت تلك نغمة بأفراش العقل في
 مد ن الحقائق قامت العقبات ، واعتبر حست السور والآفات . وسقطت أحياد أثناء
 صمما صمما أيضا ، حسرى ، جهلهم وإعياه ، دامية السائد من الجلاء ، مهروبه
 الأعصاب من الأخر والرجح ، وكذلك تنفي العايات ما طعمه إلى سحرة الواقع ،
 كاحمال في المرأة يبيع العيون ما يبيع الكف

أو كالسقاء وكل ما ريت به وكفدها وكفورها من لاق
 وناوب استحال علي أن سبع العبادات ، فحسب أن يأخذ في سنها أو يقع منها
 على مسافة تروى وتسرا ولا يقل أحد من الناس ما نهي عنه الشاعر الأملاني (شلر)
 إذ قال : « المرء تلقاء الحوادث ضعيف . فلا يقس أحد منكم مجهود التور القليل
 بمقياس الكمال » ومن عايف هذا القول كان مريض العقل بقاء السخط ، مأفون
 الرأى مصدرا عن الحق ، ولكن لا يسر لمراء أن يحمل العدة نصب العين فيه
 لا يقوم عمود صلاح الدين والدنيا على أساسه ويستقر به في نصابه ، حتى يسر
 الإنسان قريبا من العاية ، فإذا لم يتم به ذلك انهارت دعائم الصلاح وتقوض روافده ،
 ونحن نعلم أنه ليس في العالم بناء يحكمه أن يشيد حصارا فيجعل في أقصى درجة
 العمودية ، أن أن يجعل الرأية الحادثة سنة ، بين سطح الأرض تسعين درجة بالضبط لا
 تنقص ولا تزيد درجه . كلا فهما مسحين علميا ، فكيف باستحالته عمليا ؟ ولكن
 إن لم يبدأ بناء يأخذ من هذه العاية بعض الدين ، فأخر مجدها أن تنهار أركانها ،
 ويهدم جثمها . مع بدأ استهوان بقاؤون عمودية وضرح مداسه ومعياره ، وحسن
 تركم التصور بعضه على بعض بلا نظر ، لا حساب كيفما اتفق ، فأختر به أن تسوء
 نعمه ويشقى ، فإنه قد أعصل أمره وسعى نفسه . ولكن قانون التوازن - ناموس

الطبيعة - لم ينس أن يسرى عليه وعلى بنائه ، ومن هي إلا نهره حتى يسقط هو وينزله
 فهو - كتيبا مشوشا ومعها خرابا .
 زهد هو أصل كل فقه ، وتاريخ كل ثورة ، وحديث كل انصهار اجتماعي هي
 "أرمان القدوة والمحدثه" أجل إنما سبها هو تلك وليب الرجس العاجز وجمعت عشر
 كلف - غنى رجوس "الأعمال" - الرجل المحسوس السائل الدنيا والكاتب ، ونسيت أن
 هديت دنوبا أو صوره طيبة تستدعي تولد القادر الكف ، وفلتت أنه لا بأس
 عيب - تركم الصور بعضه فوق بعض كيما جاء واتقى ، بلا قاعدة ولا حساب
 ورجح كدوب إذ ونيه كان حديرا أن يتحد كل كادوب حث مشه ، ومن ثم تزعج
 فر حاس عمل نصاد مدد الشمس ، تأكل جوفه بحية ويهدم أركانه الشقاء والبؤس
 وتزنى - لا يرس من حث قد اصصرت عيبتهم أمور دينهم وديارهم ، والنسود في
 عيوبه صلوات النفس وحيرة ، فهو يمدول الأبدى استهواء ولا هادي ولا مرشد ،
 ويسطور الأكلف استعطاء ولا ماح ولا راد . رحيمه يمد قلوب التوازن حكمه ،
 وتسرى بوميس الصيغة ، وهي التي ما عمت عن العمل طرفة عين ، فتور فلا يرس
 زبح جوبهم ويسقط ساء والبد
 بن من يفتش الآن المكاتب العامة والخاصة ، يلتق بها أسفارا ضحاما ومولنات
 جساما تفيض في موضوع (حقوق الملوك المقدسة : ومعناه أن كل ملك مهما كان ،
 هو خليفة الله في الأرض قد ولاه للملك القدوس رعامه حقيقة بمقد مقلد حفي ،
 بعقدت في رقاب العباد بيعته ، ورجحت عيبتهم طاعته ، واستحكمت هي نفوسهم
 مهابته وخشيته) . تلك هي عقيدة القرون العبرا ، ورأى آياتها الأول . عبدة دوست
 معبه في قلوبهم . ورأى بان بيهم ، ومنهبت عمت رسومه وضعت "دهر" دلامه ،
 محمد ب ، تخور سبي فيها أفكاره ، وسخر في جوفها عظام عيوبها ، لا يراه
 ولا هو لا يه محبة ، وضل لاح في ظلم الجهل أنه محب له
 ودونه زور سفل تخمها ثم حوى ، واسمخر صودها ثم حوى ، وكذبته ذنب منها
 حتى رأى مع ذلك لا يرى من كرم الضم وشرف الشمة أن سمع ذلك ضل - سر
 ويحده ناهج وشتمانيا ، فحسده هركته ودهاه حربه ومضجحه
 لا يحجب عاونه ولا تزع أنه لا حسد سأل سركه . سرور ، ومحب ، مضرب

لنا من عودة إلى الحق ولو جرت عليها أهوال ثورة فرنسية ، وحلت على وعوسنا شر «الطاع وأشع البلاء ، هذه هي الثورة الفرنسية - هي كما ترون حق ، ولكنه حق ملتحق في شواطئ الحميم ولنفي جبهه !

وكان قد ذاع لدى جماعات كثيرة من أهالي إنكلترا أن الأمة الفرنسية كانت في تلك الأوقات (أوقات الثورة) قد حنت ، وإن الثورة الفرنسية كانت صفها من الجنون تحولت فرنسا وفرن عظمية من سكان المعصورة أثناءه مارستانا . ذلك كان رأي العدد العند من الإنكليز ولاعتنهم . إن الثورة كانت حريق جنون شب ثم جمد وأصبح الآن في عالم الأحكام والأحكام ، والنقص والمعائب ، والنواقر والعرايب !

مست شعري كيف وقع الثورة الشدية - ثورة ١٨٣٠ في موس هذلاء الفلاسفة الذين حسبوا أن الثورة الأولى كانت ثلاثة حضون وبيضة الديك ، وإن حديثها أصبح كحديث الحرافات لا يكاد يصدق ؟ مدد كان شعورهم جيسا رأوا فرنسا قد نارت ثانيا إلى السلاح تكفح كضاح لمستعنت لنذبح ونذبح ، وكل ذلك لتقيد الثورة الأولى وتخط آثارها وساتجها ؟ مع إن أبناء رجال الثورة الفرنسية وأحفادهم يبررون عمل آبائهم وأجدادهم ، ويأتون بالإتمسك به ويصرار عليه هم لا سرأون منه إلى الله ، بل يعملون على حفظ أثره ، واستتاع ثمره ، باذلين السماء والأرواح في سبيل ذلك .

ولعل في هذا لمحدث (حادث الثورة الثانية) أكبر مصاب لأولئك الفلاسفة الذين أسسوا مبدأهم وشافوا مذهبهم على أن الثورة الفرنسية قلعة جنون تترأ منها فرنسا ، ولا يعود بها الزمن أبدا ، نعم إن في ذلك لمحدث نكبة لأولئك الفلاسفة ، حتى لقد داب قلب الأستاذ الألماني « نيور » كسما وتقطعت نفسه حصرة ، لما بلغه نبأ هذا المحدث ، ثم اعتل على أثر ذلك وقضى عليه قتيلا بداء الأيام الثلاثة (هو اسم ثورة ١٨٣٠) وما حكما تموت الرحال - ولست أشبه هذه للموتة بالإموتة الشاعر الفرنسي الكبير (راسين) الذي قته أن لوير الرابع عشر تجهه^(١) مرة ورمقه شزرا ، هيا ليت الأستاذ الألماني علم أن الكرة الأرضية صلبة جلدة ، وأنها ظالما تحملت صدمات الدهر وصريرات النقاء ، وأنه ليس من العبد أن تعيش وتبقى وتترى دائرة

حول محورها بعد ثورة (الأيام الثلاثة) ، ولقد جاءت تلك الثورة الثانية لتعلم الناس جميعا أن الثورة الفرنسية لم تكن قط قلعة جنون ولكنها ثمرة حرة من ثمار هذا العالم - عالم الله ، وأنها كانت حقاً بحسن بكل إنسان أن يعلمه حقاً لا باطلا ولا جنونا .

وحقا أنه لولا الثورة الفرنسية لأشكل عيبا ماذا يصنع بعصر مثل ذلك العصر اسعور ، ولعميت علنا وجوه الرشد ، واستهتت معالم القصد وكما لا محالة هانكس . وبمرحب دائره الفرنسية ترحاب المسرفين على الفرق بالصخرة العوس .

وهل كانت الثورة الفرنسية إلا كندك أو وجب صدقا ورسنة حقاً ، وإن راعت القلوب وأزعجت الحرافط في عصر تصنع وكذب - رسالة تبي أن للكون سرا ، فإن لم يكن إليها فهو إذن شيطاني ، ولكنه سر على أية حال . وأن التصنع والعش ليس محس ، وأنه لا بد أن يتحون حق ، وبلا اشتعل العالم تحت ما يسره من أثواب بعش ورسوم وباطل فأحرقها . ولبت شعري إذ احتزقت فصارت « لا شيء » ، فليس كنت قبل ذلك إلا « لا شيء » معم بالثورة الفرنسية انتهى تصنع والعش والبطل الأحمق العار ، وسهني شر كبير ومساد جمد . والثورة الفرنسية رسالة الله ، بل الأرض صدع بها صوت من الرعد ، أو صرحت به منحة إسرائيل في الصور يوم القيامة ؟ فمن أسرع إلى اعتقاده أصاب عيرا وجهه العقبي ، ثم لا طمأنينة ولا صفاء ، ولا أمن ولا سلام أو تعرف هذه الرسالة حتى ليسر . وقد كد الرجل وسط هذه الأبطال والأكاذيب والأهليل جديرا أن يصير ويتنظر - جديرا أن يحضى في شأنه ويعى بعمله ، ويعلم أن القلم العلوي قد جرى يحكم الهلاك والموت على هذه المربقات والشعور ، وإن هذا الحكم الصارم قد كتب اليوم في الأرض بعد أن صدر في السماء . لقد كان الرجل المخلص جديرا أن يرى ذلك ، فيعبط ويصير ويتنظر ، ثم هو من وجهة أخرى إذا أبصر ما قد وقع فيه العالم من الأزمات والشذائد ، وصيحاته المتوالية يطلب انفراج الأزم وتراخي الخفاق ، كان جديرا أن يتصرف بحكم هذه الصلوة عن شأنه وعمله إلى شئون أخرى ، لا سيما وقد نال السيل الربى وبلغت الروح التراقي . وعدى أن أسس الخفايق في مثل هذه المحدثات (حوادث الثورة) حتى حقيقة « عادة الأبطال » فإنها أحمل العزاء وأحسن السلوة في هذه

وبعد فليس هذا المذهب إلا تحولاً وانتقالاً من الباطل إلى الحق وليس هو
 باخترى ، فإذا رآه (١) أنه الحق يأكسه فهو إذن باطل محض - فيجعله الشك الأعمى
 يحوّل أن يكشف عماه ليصير ، فإن عبادة الأبطال موجودة في كل زمان
 ومكان . وما هي قاصرة على إجلال الملوك والسادة ولسوء الفاعلة ، بل إنها
 تمتد من عبادة الله إلى أخط مواطن الحياة العملية . واعتناء الرجل بأخيه بالسلام ما
 به يكسبه ومفاد فيه من قبيل عبادة الأبطال ، وانتزاع بيان في كل إنسان
 حقيقة أنه روحاً من حقيق . وإن كل امرئ مظهر لجلال الله . وعسى أن الذين
 يشعرون بالتحية واللائم اللطيفة والاحتفاء التي تحمل الحياة وتزينها هم شعراء
 وعباد مقدسة والمعاذرة ليست بكذب ولا باطل ، والولاء والإجلال المنفرد

يشرف على العبادة لا يرب من الممكنات بل من الاحتمالات
 وإنما قوبل به وإن رأينا كثيراً من أبطال العصور الأخيرة قد ظهروا في
 الثورات والثورات ، فهم يهبطون إلى أساء عدم لا ثورة ، واشتغالهم بضرورة بيعة
 عليهم ومصيبة . إذ يربح أحدهم هي الغنة وكأنه هو صيرى ، وما هو بموصوفى ولا
 كانت الموصى فقد من شأنه ، ولكن جوا من الموصى يحيط به ، وعقبات مها لا
 ترتفعه وتفوق مسعاه ، وهو عبد الموصى وخصمه ، وإنما النظام عمله
 وصيغة كثر ، وما حق أنه الإنسان إلا ليصلح لفسد ويتم الشعث ، ويعمل
 في شيء منخطط فيصه في أيدى قائل من النظام ، ويعيه في أكمل صورة من
 السبق والإحكام . وإنسان رسول النظام ، أو ليس كل ما يصنع لمرء في هذه
 الداء هو حقيقاً وتعليماً ، فحجار يعمل إلى الشجر المبيط الأشعث فيعم تحت
 وتقيمه ، وحسن تقديره وتصويره ، وتبذل حرصه وصقته ، ويقبه في أعجب
 غور حار خور ، وبه كد يقع نسائ ووصيه في مجتمع ، وقد حنق الله جميعاً
 اعتناء الفساد والموصى . وبه ليس إليه عسا جميعاً ، سوء الخط أن يصرف عن
 لسبق والتعليق ، إلى التقوى والتخطيط ، وسوء الخط في ذلك والبيئة مصعفة
 على الرجل العظيم الذي يكون حبه للنظام على قدر عظمته

(١) ربي فعل ماض مسمى للجهول والفساد عائد على المذهب

وأما الوجه الثاني في مسألة نيلنا ونسبوه وسواك ثورة هدمت جميع
 مبادئ وحقائق وأسماع ، واللح وسجل أسمعت لنا هذه الحقيقة ، فإن
 هذا ، أنه مبرهن على الأبطال ، وما حنا عليه من إجلالهم حنا برسولون إيسا -
 هذه ، به بعبه بشرى عليها كعبه حدة . وسط عهاب ، مدحان وعاهف النقع ،
 ١٠٠٠ كل التهادن وسجار

وبوشت أسمعت نوار الثورة الفرنسية كسمة « إجلال الأبطال » لوقعت منهم
 مزيج مكاتب والإتكار ، ولأرخوا دورها حجب الأذان وقادوا حديث عرافة ، فقد
 ك . هذا لاء المجاهدين فصلان عن عدم احتراهم الأبطال لا يصنفون بوجود الأبطال ،
 بل لا يوزون أن يحى نرمن يطل قط ، وكأهم صواب أن يكون بعد أن غور مكينة ،
 ورضى وبنى حصى صعب عن إخراج الأبطال ودمه صله منهم ، وإن صبح أن الكون قد
 أصبح كينك غايي قائم له أوى لك أن تكف بدوه عن إخراج الرجال ، فإن لا نقل
 يصده ليس فيها « تحف والفتاوى . ولا رضى : سحبه من فيها الحمر والديهاج ،
 نوب لا حصار لا سنى ساعن . لأبطال « ما مذهب » حرية والمساواة » فقد كان من
 نتائج تلك الأحوال ، كان إذ ذلك شيد عبيها فسدت لا خمس بي أن أزد عليه ، ومعنى
 « الحرية والمساواة » هو هذا « تأيد قد استحال وجود العظم ، والأبطال ، فسماع
 الآن أن يستحق عن هؤلاء ، الأقداد المور وطمعهم العبيد المتساوية في صوته القادر
 وحصة القيمة وحقة لأحلام وعمر الأراء ، ماد . قول في هذا مذهب وساء أقباه إلا
 بعصر نوابه والسكرت عنه كحقيقة كذا . لا بد منها إن ذلك ، ولا مفر ؟ ذهب ارباب
 ذلك المبدأ إلى أن ساس أحرار مساوون . وإنه ليس لرجل أن يسود ويتقود ويسلط ،
 وحجتهم على ذلك أن عدداً الأفعال والأحسام مستحقين لرعباءة والقبادة فد طهر
 فمادهمما وما هم . لا كتاب رضى عن فحسب منهم ما شاء ، فقد حنسا من هذا
 القرض مراراً حتى فسدت سقته ، وصار صمد تشا حتى لا يصاب ، وإن دبر مجار
 « سواد » نزلته هي لأسرى كلاب ليس بوجود مذهب لبراح . وإنه قد يصبح الأمور
 وسمسمه أحال لا دهم ، أن لا أحد « عموم مهدي » الأراء بل غيرهم منها . وأرى أنها
 كانت سره ذلك العصر الطمعه . وإن كانت حدة أوعقده

وكذلك نرى أن أشد أعمال الثورة الفرنسية جونا كانت تفسير نحو النظام . أقول وليس رجل من أولئك الثوار قد طار في دماغه جئون الحق والحق إلا وهو مدفوع في كل حركاته نحو للنظم منحذب إليه ، وكيف وما حياته نفسها إلا مسيرة نحو النظام ، بل لهنى النظام ذاته . إذ أن القوضى هى المصاد هى الموت ، وما من قوضى تنور إلا ويجعل الله لها قطبا تنور عليه فتتحول بفعله نظاما . وما دام الإنسان إنسانا فيكون لثورة رجل كتابليون أو كرمويل تختم به وتم . عينا والله كيف تكون عبادة الأبطال فى أزمان الثورة ضربة من المحال فى عقيدة الشعب السافر ، ثم لا نلبث أن تبدو للعيان ملا يستطيع أحد إنكارها ، وأرى « الحق القفس » معناه على وجه العموم « القوة المقدسة » . مادنا حسيت الإسارة والسلطة فى عصور الثورة انمحت وماتت ، إذا بها قد عادت إليك فى شخص نابليون أو كرمويل ، وإنما هى المظاهر الكاذبة والقشور قد هتكت وأتلفت وظهرت الحقائق والجواهر من ورثها صحيحة خالدة ، وتاريخ نابليون وكرمويل هو ما تنتظر فيه الآن إن شاء الله ، وهو آخر أصناف البطولة كما قسمنا ، وأنى أرى فى تاريخ هذين الطليين ما يعيد إلينا عهد الملوك فى طعولة الأمم ، إذ يربا كيف كانت تنشأ الإمارة فخر تاريخ العالم ، وكيف كانت تولد الملوك يومئذ .

كروموويل - نابليون بونابرت

علم الذين نظروا فى كتاب الأبطال الذى وضعه الفيلسوف الإنكليزى توماس كاريل ، وعمره الفاصل محمد السباعى ، وأخرجته للناس مكتبة البيان أنها انتهيا لصا صيرناه من هد . كتاب بن الكلام عمى كروموويل وباسيون وبونابرت . وأنا لا أقدم سعادته ، ولأن كاريل خير من كتب على بوابع العالم ، وكروموويل وباسيون هم من تبع سويج . أثرا أن سحف قراء البيان بتلك الكمات الإلهية نشي خرجت من قلب ذلك لرجل الإلهى (كاريل) عن كروموويل ونابليون . قال كاريل تمهيدا للكلام عنى كرومويل .

* * *

تجد حدثت فى إنكلترا حروب داخلية كثيرة : حروب الوردة الحمراء ، والوردة البيضاء ، وحروب سيمون دى مونتهورت - حروب ليست من الأهمية مكان . ولكن حرب الخوارج (البيوريشان) كان لها من المفارقة ما لم يكن نهرها . حتى ليحوز لى أن نسميها جزءا من تلك الحرب العظيمة العامة التى ليس إلا منها يتكون تاريخ الدنيا الحار الصميم - حرب الإيمان ضد الكفر . جهاد حزب الله المتسمكين بالحققة ضد الكاذبة المعجزة العاكبين على المظاهر والقشور . وقد لا يرى كثيرون فى حواجز إنكلترا ، إلا عصبة سمة غلاظ مضطام مولعين بهدم لرسم وإزلاف القرب و لإصراع ، وحس بهم أن يدعوا أعداء الرسوم الكاذبة وبعث محمد لهم عدو : فى أحسنهم الطريق « لود » رعيم الديابة إذ ذلك ، وحققه عليه وعنى « نوره » نوره تشتر من الأول . و « نود » هذا هو فى رأى ضعيف العقل مكند لحقد وما هو أحد . نسم ، ويد هو رجل أحقق ؟ وكبير حقه لمسبث «الأعشى » مددهه والأسود سموت برته ، وهو كباطر مدرسه لا يرى هى العالم ست لا فوسد مدرسته ذرسمها وأصاعهه ، معتقد أن هذه هى قوام الدب وعماد الوجود ، وأن صلا . تكون موهون بها ، والمحة العظمى والطامة الكبرى

أن الملك تشارلس الأول عمد إلى هذه الرجل الذى رأيه فى الكون والحياة والوجود هو ما دكرت ، وجعله الرئيس لا على مدرسة بل على أمة بدير من شئونها أكثرها إشكالا ، ومن حاجتها ومصالحها أشدها احتياصا وإحصالا ، ويرى هذا الرئيس الشقى المسكين أن تدار ديك الشئون ونصالح بالقواعد القديمة والضمانات العتيقة ، بل يرى أن حاجتها فى إعلاء هذه بقواعد وتأييد أساليبها ، ثم تراه كالأحمق الضعيف يفلع بأقصى الشدة والعنف فى سبيل غايته لا يجيل رأيا ولا يعمل روية ، ولا يسمح فيها ولا يصغى إلى نصيحة .

حانها فى العنان لا يسمح الزوج - ولا يهرعوى إلى الشرور

هو كما قلت رجل أعشى التعصب أحمق الاستبداد ، يلقى إلا أن يعد قواعده المدرسية على تقوس الأمة - قائلا للشعب : تعيد قواعدى قبل كل شئ ؟ له الله من مستند أحمق . أبى إلا أن يعمل عائم الله بطويل العريض مدرسة ، وبأبى الله أن تكون ديناه مدرسة . وبعد فيعبر الله له أهلا ترور أنه لقي من العقاب ما هو أهله ؟

(وبعد) فالحرص على الرسوم والأوضاع حميد مستحب إذ أنه من شأن الديانات غيرها أن تلبس الرسوم والأشكال ، ولا مقام للإنسان قط إلا فى الأمكنة ذات لرسوم والأوضاع . ولست أحمد فى المذهب الحارحسى (البيوريتانى) عريه من الأثواب والقوالب ، وخلوه من رسوم والأوضاع ، بل أعيب ذلك عليه وأراه عورة أخص بالرحمة والأسف - فأما بدي أحمدة مه فهو روحه ولابه ، وكل لباب وجوهه فلا يد أنه يلبس ريا ويسكن رسما وقانا . غير أن من الرسوم ما هو ملائم صالح ومنها ما هو غير صالح ولا ملائم . ولحد العاقل بين هذا ودك هو أن القلب الذى يمشو وحده حول الجوهر بقوة الطبيعة ، يحى ملائما لصنع الجوهر موافقا لعرصه وعابته ، فهو لذلك حسن صانع . وما القلب الذى يجمعه يد الإنسان حول الجوهر عمدا فهو قبيح فاسد ، وبأبى لأشبهكم ذلك وسعوا فيه النظر . فإنه العارف ما بين كادب الرسوم وصدقها . بين الإحلاص للمخلص وبين المظهر الساطل فى جميع الأمور والأشياء .

نعم يحسب أن يكون فى الرسوم عنصر صدق وبعث شديد من الحق ، وسأضرب لكم مثلا : الخطايا ، فنانا تقولون - آخركم الله - فى الخطب الذى

يلحن الخطية من قبل إلا أنه سواة وفاة ؟ ثم ماذا تقولون فى الرجل النصح الانسجام تتكلف الاختفاء للصوف والروا إلا أنه آفة كملك وسواة ؟ وإذا كنتم تعلمون مثل هدى عورة وبلية ، فما قولكم فى رجل يأتيك فى أمر من أجسم لمورك ، فى أمر الدين والعبادة مثلا ، يأتيك وقد غمر حلال الدين وروحك وحير لبك وألجم لسامك ، فمالك مطرق حائر ساكت من شدة الانفعال والوجد وفطر الشائثر والطرب ، معصل السكوت على الكلام ، واحدا لسان الصمت أقصح وأعرب عما يكتنه صدرك ويضمره خشاك من ذلك الوجدان العظيم والشعور الجسيم - يأتيت وأنت فى هذه الحال الشديدة فيعرض لأن يعرب لك عن مكتون وحدائك بكلام بعض ؟ ماذا تقول بل هل الرجل ؟ وماذا عدك له بلا العمد والإعاد ؟ لا أبعد - غيره - بلى لينهب ذلك الرجل عنك إذا كان يحب نفسه ! إنما مثله مثل من يأتيت وقد محنتك المون فى واحلك ، فأنت من شدة الحزن ملحم للسان حامد العين ، فيقيم لك استعصالا بشعائر الجهاد مولما من أعاب قدماء اليهود على هنة يونانية قديمة . مثل هذا الفصول والرو والتضع جدير بالقت ولإكسار وهو عير م كانت تسميه لأبناء وشية - أبى عبادة القوالب «عذرة والصورة جوفاء - تلك الذى يرفضه رسوم يرفضها كل مخلص صادق ، وكسبك يحكمكم أن تفهمو بعض بهم أعرض أو شئت أخرج ومفصدهم ، فترون فى الرئيس «لود» ودنه فى تأييد الكاثوليكية وحوشيتها من تلك الرسومات والإشارات والانحناءات والشعائر - ناظر المدرسة للمصر على تنفيذ قواعده وظلماته لا القسوس الحمر للمخلص المعنى الجوهر الذى صاهحا عن القوالب والتشور !

ولم يطق الخوارج هذه الرسوم فداصورها بالعمال ، وإنما نعلنهم إذ جعلوا يقولون : لا رسم مطلقا غير من هذه الرسوم . وقد جعل خطباؤهم يتكلمون بصوت عارية مقفرة إلا من الإنجيل بمحسوسه فى الأيدى - وهل ترون فى الكلمة تخرج من صمم فؤاد الرجل فتصيب حيات القلوب بلا أكمل مظاهر الدين وأجل صور العبادة ؟ وعندى أن أخلص بنقشة وأعراها خير من أنعم الرسوم وأثرها . عد زين الحقيقة متى وجدت فهى الكيفية لنسها باللباس والكسوة ، ومضى وحد الإنسان الحى كال كفيلا لعنه باللباس - إذا لم يصنها لدى العير

أخذها يله من مواد الأرض وصنعها بكفه . فلما أن نجىء بالثوب وحده فندعى أنه ثوب ورجل - ١ - نحن - أئزكم الله - لا يمكننا أن نحارب فرنسا بجيش مؤلف من ثلاثمائة ألف ثوب أحمر .. ولا نجحز على تقديم هذه الثياب إلى ساحة الحرب إلا إذا كان فيها ثلاثمائة ألف رجل حتى يتنفس ١ وإني لا أزال أقول إنه لا ينبغي للثوب أن يفصل عن الجوهر ، ولا للرسم أن يطلق الحقيقة ويبين منها . وإذا فعلت الرسوم ذلك قام لها أناس فثاروا ضلعا على أنها أكذوبة وزور . وكذلك نرون أن حرب الخوارج والرئيس « لود » لم تكن فى الحقيقة إلا - حرب الثوب والجوهر - حرب الرسم والحقيقة - حرب الباطل والحق - حربا ضرورسا ثارت فى إنكلترا حينذاك واستمرت حقيقة من الدهر ، وعادت علينا عواقبها بالنفع الجسم والخير الكثير . وكان الجليل الذى أعقب عصر الخوارج ليس بخلق أن يزن أعمالهم بقسطاس العدل . وكيف نرجو من مثل تشارلس الثانى ورجاله أن يعرفوا أقدار الخوارج أو يفقهوا معانى أعمالهم ؟ وأنى يكون ذلك المحكم العادل والنظر الناقب من فئة كان لا يخطر بأذهانهم أن فى حياة الإنسان فترة من الحق والصدق والمعاني المقدسة ؟ لقد ظل هذا الملك وأوليائه يمتثلون أشنع التمثيل بالمذهب البيوريتانى (مذهب الخوارج) كما يمتثلون برجاله - فلو شهدت الحال إذ ذاك لرأيت البيوريتانية مصلوبة على الأعراد كأحساد أربابها . ولكن الصلب والتمثيل لم يبق من مسير تراثها . لا بد للعمل الصالح من أن تسيير آثاره مهما مثلت بأهله وأصحابه . نعم إنا لنطرح البصر قسرا على آثار أولئك الخوارج ، ونرى الدستور والحرية والسعادة التى تنتبع بها الآن أغراسا زرعتها قرأهم وسقوها طورا بأوعية الدموع وتارة بسحال الدماء . وهم الذين سنوا المذهب القتال بأن جميع الناس أحرار بالفعل أو سيكونون أحرارا يوما ما - أحرارا تقوم حياتهم على أمن أسلم من الحق والعمل لا التقاليد والباطل ١ هذا وكثير غيره من حسن آثار الخوارج وحليل نعمهم علينا .

والواقع أنه اتضحت مآثر الخوارج هذه وعلت فى النفوس مكائاتهم وضروحت أقداءاتهم عن حواشى أعراسهم ، واستترلت عن أعواد الصلب ذكرى عهودهم وأحدا بعد واحد . بل لقد قدست أسماء بعضهم وعدوا ضمن أولياء الله المصطفين

وحسب من الأبطال أمثال إليوت وهامبدين ويسم ، حتى ليلو وهانشون وفان أولئك القساوسة السياسيين الذين إليهم يعزى ما نعلم به اليوم من حرية البلاد . أيقرو اليوم إنسان أن يلوث بالدم أعراض هؤلاء ؟ وهكذا أصبحت لا تكاد تجد من بين القوم إلا من له أنصار يقومون بعذره ، وشيعة تشيع فى الناس فضله وتشيد له صروح الإحلال والإكبار . كلهم قد برأ الله ساحته ، وجعل فى النفوس مكانته ، وأعذب فى الأفواه ذكره ، وأدال له إلا واحدا هو سيد الجميع وقضى القوم - الملك الأكبر رفع لواء الحق - أوليفار كرومويل . فإنى أرى عرضه لا يزال مجال الألسن السالفة الأظفار المزقة ، وأرى ذكراه لا تزال مصلوبة فى أعمال الجلع وماله من عاذر ولا نصير ، والناس مجموعون عليه بالذم والكبر ، وأنه شريز جيئ . هم لا ينكرون أنه كان رجلا كفوا حازما شجاعا مدبرا ، ولكنه عيان العهد فى نظريهم نقض العقيد ، وكان فيه أثره وحشع وغدر ومكر وتمنع ونفاق . حول ذلك بحداد العظيم الملبول فى سبيل الحرية إلى طريق منفعه الشخصية ، بهنده اختلال وأسوأ منها يعتنون أوليفار كرومويل ، ثم بقانونه بالزعماء واشتجوتن وسواه ، ولا سيما بالأبطال يسر وهامبدين وأليوت الذين سلبهم ثمار أعمالهم العالية ، ثم أوسع تلك الثمار إفسادا وتشويها .

وليس يعجب أن يكون ذلك رأى القبيح هو رأى القرن الثامن عشر ، والشئ من معدته لا يستغرب ، وما قلنا فى محادم غرفة الملك منطق تماما على الرجل الملحد ، كلاهما لا يفهم معنى بطولة ولا يعرف ليطل إذا رآه ١ والمخادمتنظر أن يسرى للملك ثيابا فاعرة مرصعة بالنذهب والفضة ، مرصعة بالدر والجوهر ، وحاشية كثيفة من الخنول والأنياب ، وأبوها تصيح وطبولا تفرع ، وأرجل الملحد - رجل القرن الثامن عشر - يتنظر أن يرى للإمام الرئيس قواعد محترمة ، أو ما يسمونه (مبادئ) . ويتنظر أيضا أسلوبا خطايا نعت الناس بالجوذة والبراعة . يحتاج عن نفسه ويدافع فى أفصح بيان وأنت لهجة ، فيفوز باستحسان قرن كاذب متصنع كالقرن الثامن عشر ، وجملته القول إن يتنظر ما يتنظره المخادمتن - أغنى زخارف ظاهرية وأثوابا وقشورا وقوالب ورسوم ليست من الحق فى شئ . كلاهما يريد أن يخرق والزينة السطحية ليقرب بأن صاحب

ملك وبطل ، فإذا برز لهم الملك في سيماء القشف والخشونة ، وزى الفقراء والصعاليك أنكره وقالوا ليس بملك .

وما كنت قط لأقول صراحة أو تلميحاً أدنى ما يحط من أقدار رجال كالبوت هامبدين وبيم ، أولئك أقر لهم بالنفع وأشهد لأعمالهم بالنفع ، ولقد قرأت كل ما يسر لي مما كتب ، وبتى وإرادتى أن أستلذ عهودهم وأعجب بأبائهم وسيرهم . أعيدهم عبادة الأبطال . هذه نيتى وإرادتى ولكنها لسوء الحظ لم تتحقق ، نعم لقد كنت أحمد ظواهر أولئك الرجال ولكن نفسى لم تجد تمام الارتياح لبواطنهم ، ولا أنكرتهم كانوا عصية كراماً أمجاداً يمشون الهوى عليهم برود العزلة وسرايل الجلال ، فإذا طلقوا فما شفت من حكمة ولب ، تجرى الفصاحة بين قلوبهم وأستشهم ، وتجول لفلسفة بين لهواتهم وشغافهم ، ويضحدون بالخطب البرمائية تحدر النيل ، ويتدفقون بها تدفق العيوب ، ويأخذون فى الأغراض التشريعية والاقتراحات الإدارية فيطيلون عنان القول ، ويملاؤون اللدلو إلى عقد الكرب (١) . مرسلين الحكمة فى عرض كلام كالجواهر المنثور ، تجول على صدره قلائد البيان ، ويطرده فى أمثاله ماء البديع ، ويتحير فى حواشيه رونق الحسن - فحينئذ هم من رجال أساطين علم وأمة تشريع وأولى عزلة بمجد وجلال . ولكن قلبى بعد كل ذلك لا يخف لهم ولا تحبش أحشائى ولا تهتر حوائجى ، اللهم إلا خيالى فإنه قد يحاول أن يجد لهم بعض الإحلال . رأى رجل فى وجود تعزوه الأرحية وهزه الطرب ويلتهب قلبه شوقاً لهؤلاء النفر ؟ كلا لقد أصبحت راجعهم وأبائهم غاية فى الجمال والنقل : نعم إن بلاغة أولئك الفحول قد تكون أبهر لأشياء وأروعها ولكنها شئء ثقيل - ثقيل كالرصاص ومجذب كالصخرة للساء . جملة القول إنه لم يبق فيها لقراء العصر غبار لذة ولا ظل مطرب ومستمتع ! فإن أبيت لا امتداحها فقل إنها كانت كأساً رشف الدهر أطيبها وأعذبها فلم يبق إلا صياحة مرة كلدة ! فسلام على أولئك الفحول ، ولندعهم تلوين مضاجع مجدهم وشرفهم ، ولتقبل

(١) قطعة من حبل نفقد بطرف الرشاء نرى حبل البر وتشد بها الدلو مثل فى توفية الناس ،
حقه وهو من قول لعليل بن عتبة بن أبى لهب :
من يساحلنى يساحل ساحداً ملاً الدلو إلى عقد الكرب

على الرجل الخشن التوعر الطريد النبوذ أوليفار كرومول فإن فيه وحده ضلالتنا من السادة الإنسانية ، وكنوز الكرم الصراح والبطولة العالية . إن فيه لذلك وإن لم يكن فيه فصاحة وكتابة وبلاغة وخطابة ، وبراعة ومعالجة . وكم من بلغاء مصقولى حوالب اللسان رفاق حواشى الطبع ليس ورائهم كبير فائدة ، وما سرنا من إنسان نفاقة كفيه إذا كان لا يقرب الأعمال إلا لاساققازة .

وبعد فلست أرى فى رضى القرن الثامن عشر عن خطباء الحوارج وزعمائهم إلا شعبة من رسميات ذلك القرن وكفرياته ، وكيف وهم (رجال القرن الثامن عشر) يعبروننا أن يكون سبب دستورنا وحريتنا هو « الحرافات الدينية » يقصدون بذلك مذهب الحوارج من « حرية العبادة » ، ويقولون : هلا كان لحريتنا مصدر أشرف وأسمى من « الحرافات الدينية » مثل « حرية وضع الضرائب » ؟ ويقولون : إنه كان من الزعم والخرافة والتعصب الأعمى والجهل المطبق بالفلسفة الدستورية أن يجعل آياتنا الأولى غايتهم الوحيدة هى « حرية العبادة » ، وإنما الغاية الوحيدة فى مذهب القرن الثامن عشر هى حرية وضع الضرائب « أسمى امتناع الإنسان عن دفع الدراهم من كيسه حتى يزن له السبب الذى يدفعها من أجله ، فأناس يجعلون هذا أول حقوق الإنسان لا ذلك جملة أغنياء ، وأرى أنه لن تكون الدراهم وحدها قط باعثاً للعاقل على أن يثور ضد حكومته . وما زال الإنسان يرضى بنفع المال لحكومته بشرط أن يبقى له سداد من عوز . وابتى أحد أن الإنكليزى حتى فى هذه الأوقات إذا لم يرض أن يدفع للحكومة ضرائب عديدة من غير أن يبين لها أسباب دفعها ، اضطرت إلى أن يهاجر وطنه إلى غيره من بلاد الله . وكانى بالإنكليزى يقول : « جابى الضرائب ! المال أخذوا مالى . بما أنكم قادرون على أخذهم ويحتاجون إليه خلوه واذهبوا ودعونى وشائى ، أتكونى وشغلى فائى لا أزال فى دارى ووطنى قادراً على تجديده المال بالعمل . قادراً على العيش السهل المرضى بعد كل ما سلبتمونه » . بهذا الكلام يجيب الإنكليزى رجال السلطة إذا أتوه يطلبون ماله ، فأما إذا جاءوه يقولون له : « اعتقد هذه الأكاذوبة ، وأحسب أنك تعبد الله وأنت لا تعبدته . ولا تؤمن بما تراه أنت أنه الحق . وإنما بما نراه نحن حقاً أو ندعى أننا نراه حقاً ! » كان جديراً أن يجيبهم

بقوله : « كلا وعين الله . اتم في حل من مال تأخذونه متى شئتم . ولكنى لا
أبيع دينى ولا أخسر عقيدتى . أما المال فذلك غنيمة باردة لأى قاطع طريق
يتهدنى بسلاحه . ولكن نفسى ملكى وملك الله ، ودينى لن تغلبونى عليه ولا
تخذعونى عنه ما دام فى حلقى نفس يتردد ، رسألفع عنه بأخر قطرة من دمي .

رقم الإيداع ٧٠٠٧ / ٩٤

I.S.B.N

977 - 11 - 0867 - 0

الفهرس

- المحاضرة الاولى - البطل في صورة اله 13
- المحاضرة الثانية - البطل في صورة رمول 52
- المحاضرة الثالثة - البطل في صورة شاعر 84
- المحاضرة الرابعة - البطل في صورة قصيد 118
- المحاضرة الخامسة - البطل في صورة كاتب 158
- المحاضرة السادسة - البطل في صورة ملك 199